التراث العربي في كتب

تفسير الأحلام

دراسة في اللغة والثقافة والحضارة

للدكتور

أحمد مصطفي أبو الخير

جامعة المنصورة

١٤٢٦هـ/٢٠٠٦م

www.geocities.com/abu elkher

Abu lkher@yahoo.com

مكتبة نانسي دمياط

هـاتف : ٤٠٨٥٥٣ - ٤٠٨٥٥٤ - ٣٢٣٣٦٩

فـاكس : ٠٥٧/٤٠٣٧٥٥

محمـول : ٠١٠١١٠٨٧١٩ - ٠١٢٧٥١٠١٠٦

البريـد الإلـكترونـي :

www.nashahean@yahoo.com

اسم الكتـاب : التراث العربي في كتب تفسير الأحـلام

اسم المـؤلف : أ.د/أحمـد مصطفـي أبـو الخـير

اسم النـاشر : مكتبـة نـانسـي دميـاط.

اسم الطـابع : مطبعـة نـانسـي دميـاط.

رقم الإيـداع : ٢٠٠٥/٢٢٩٢٨

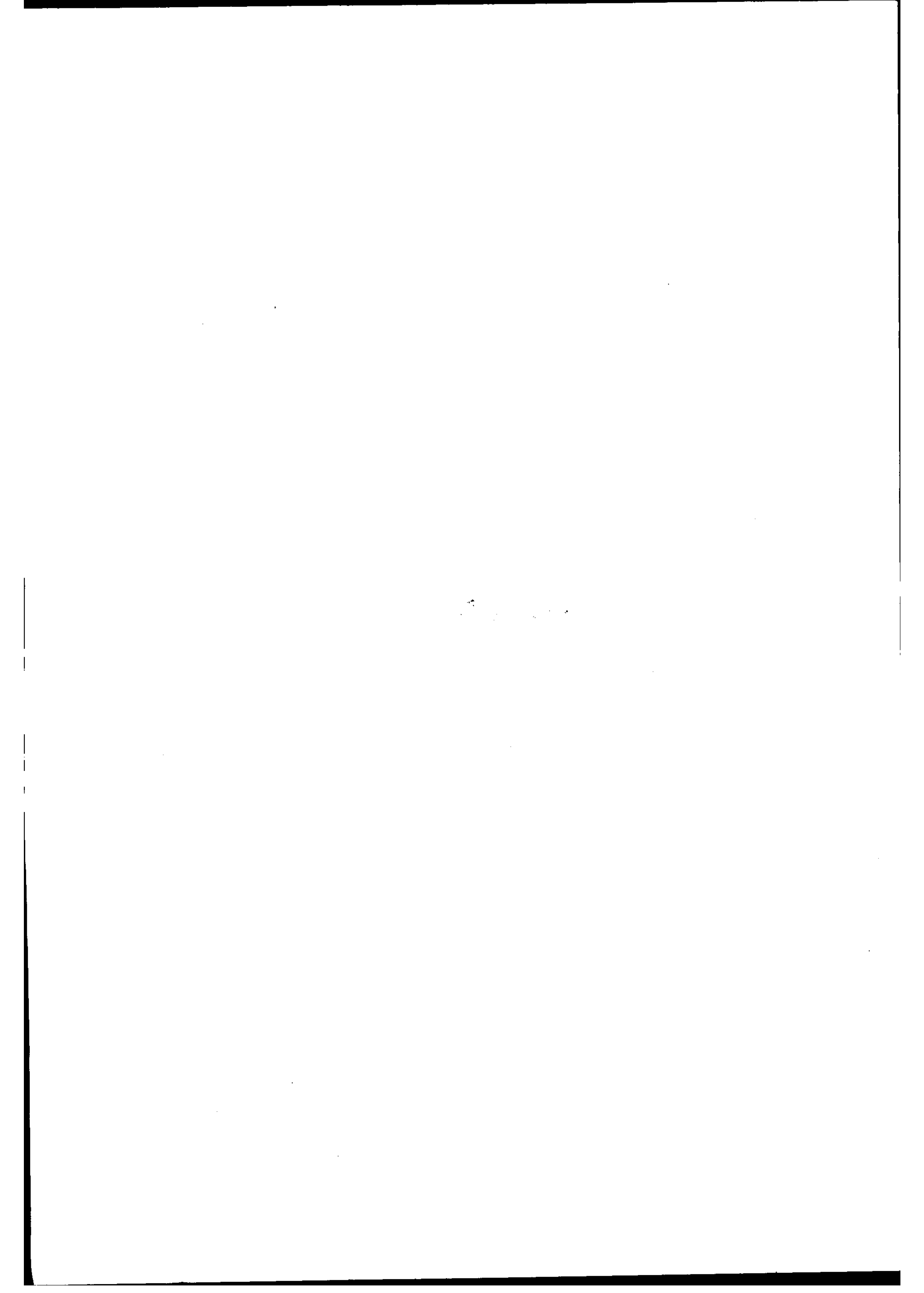
الترقيم الدولي : I.S.B.N 977- 6186 -66 -8

مونتاج : رانيـا

طباعـة : عمـاد

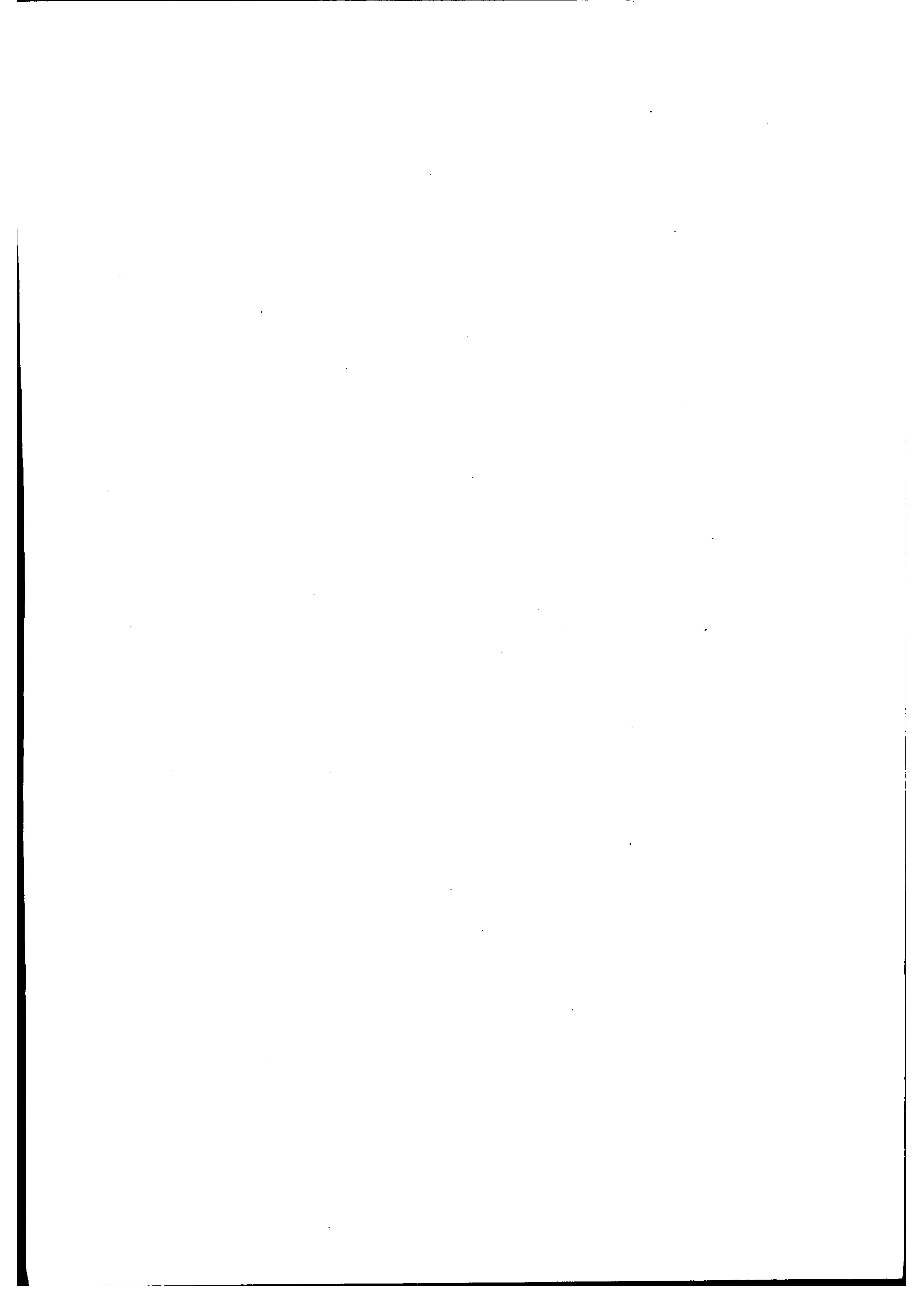
بشـر : السيد حامد- محمد أشرف

بسم الله الرحمن الرحيم



الإهداء

إلى الفضائيات العربية التي تألقت في سماء العرب والعالم والتي يؤمل عليها كثيراً في نهضة بني يعرب ، اعترافاً بجميلها وتحسباً لخطورتها ، إن هي حادت عن صالح الأمة ومصلحتها .



بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الدراسة

حكاية قديمة كنت كتبتها في بعض مؤلفاتي ، لقد جرت محاولة لسرقة جثمان النبي – صلي الله عليه وسلم – من قبره بالمدينة المنورة ، والذي كشف هذه المؤامرة منام رآه أحد أمراء المسلمين ، وفي محاولة لاستعادة تفاصيل هذه المحاولة ، ذهبت إلى مكتبة المسجد النبوي وجئت ببعض التفاصيل : الأمير هو نورالدين محمود زنكي (٥١١ – ٥٦٩ هـ) والمحاولة جرت بالفعل سنة ٥٥٧ هـ ، كيف ؟ كان نور الدين رجلاً تقياً صالحاً ، وكان له تهجد وأوراد كل ليلة ، وفي إحداها نام عقب تهجده ، فرأى النبي – صلى الله عليه وسلم – في نومه ، وهو يشير إلى رجلين أشقرين (غير عربيين) قائلاً : " يا محمود أنقذني من هذين " .

يقوم الرجل من نومه فزعاً ، يتوضأ ويصلي وينام ليرى نفس الرؤيا ، وفي المرة الثالثة قال لنفسه : " لم يبق نوم " ويستشير أخلص المقربين إليه الذي ينصحه بالسفر فوراً إلى المدينة المعطرة المنورة ، يقول لأميرها لقد جاء لأهل المدينة بهدايا ، كل باسمه وبشخصه ، وجاء الناس وحدانا أفرادا لاستلام هداياهم ، حتى أتى أهل المدينة كلهم .

ولم يجد نور الدين الرجلين اللذين رآهما في المنام . ، فسأل : هل بقى أحد ؟ فذكروا له رجلين مغربيين غنيين ، يكثران من الصدقة على الناس ، وذكروا من صلاتهما وصلاحهما ما رأوا منهما ، وأتى بهما فوجدهما اللذين رآهما في المنام ، فسألهما فذكرا أنهما جاءا للحج ، وكان منزلهما برباط قرب الحجرة النبوية الشريفة ، وذهب إلى المنزل فلم يجد ما يريبه ، وذكر الناس

عنده صلاحهما وعبادتهما ، ولكن نور الدين لم يقتنع بما سمع ورأى، فبقى يطوف في البيت ، يفتش فيه ، ويقلب أجزاءه ، وينظر في محتوياته ، حتى وجد حصيراً ارتاب فيه ، فلما رفعه وجد سردابا محفوراً ، ينتهي قرب جثمان الرسول ، صلي الله عليه وسلم .

اعترف الرجلان أنهما نصرانيان أتيا من المغرب لسرقة جسد النبي – صلي الله عليه وسلم – بتكليف من بعض ملوك النصارى ، ولم يعد نور الدين إلى دمشق حتى ضربت أعناقهما ، ثم أمر السلطان محمود ببناء سور حول الحجرة الشريفة فحفر خندقاً عميقاً ، وصب فيه الرصاص ، حماية للجسد الطاهر .

هذه المحاولة لم تك الأولى أو الأخيرة لسرقة الجسد المطهر ، ويمكن للقارئ أن يرجع لتفاصيل هذي المحاولات في مظانها ، مثل موقع :

www.alminbar.net

أو كتاب : (وفاء الوفا بأخبار دار المصطفى) لأبي الحسن ، نور الدين السمهودي .

كل ما سبق يثبت أن الرؤيا الصادقة أمر واقع في تاريخنا وحياتنا ، مما دفعني بالإضافة إلى عوامل أخرى إلى دراسة موضوعنا ، التراث العربي في كتب تفسير الأحلام ، محددين زوايا الموضوع في مثلث اللغة والثقافة والحضارة ، وكلها ببعضها مرتبط ، مؤتلف ومتلنب مؤتنف ، كما سيظهر في الدراسة .

أما العوامل الأخرى فهي شدة اهتمام الناس – سيما في مصر – بالأحلام وتفسيرها وتعبيرها ، ما يحفز الباحث إلى مواكبة اهتمام النّاس والعناية بما

يعنيهم ، مع التوكيد على شيء بالغ الأهمية وهو أن الدراسة ـ كما يظهر من عنوانها ومن مطالعتها ـ أنها أوسع بكثير من مسألة تفسير الأحلام ، إذ هي مسألة بسيطة وسهلة ـ من وجهة نظري ـ لا تستحق كل هذا العناء والجهد .

أما الصديق الدكتور حمادة وهدان أستاذ علم النفس بجامعة طنطا فقد ألح عليَّ كثيراً في دراسة ما جاء عن الرؤى والأحلام في القرآن الكريم مؤملاً أن يكون هذا بحثاً مشتركا بيني كلغوي ، وبينه كمتخصص في علم النفس ، ولذا وعد بقراءة الدراسة والتعليق عليها ، من وجهة نظر علم النفس .

إنها أول دراسة تبقر الموضوع بقراً ، وتأتي على جميع جوانبه ـ من وجهة نظري ـ مما استدعى الرجوع إلى عدد ضخم من المراجع والكتب والمؤلفات ، في مكتبتي التي قلبتها عقباً على عقب حتى رجعت إلى معظم ما فيها ، حتى احتجت إلى الرجوع لرسالتي الماجستير والدكتوراه ، ليس مكتبتي فقط ، بل مكتبة كليتي (تربية دمياط) ومكتبة مركز التراث بها ، ومكتبة كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدمياط الجديدة (جامعة الأزهر) ومكتبة المدينة المنورة ، ومكتبات الأصدقاء ، كما احتجنا إلى استشارة كثير من المتخصصين في التاريخ والأدب وفي الدراسات الإسلامية ، فضلاً عن الرجوع إلى بعض مواقع الشبكة الدولية .

كل هذا لتوثيق كل معلومة مهما صغرت ودقت ، خاصة أن كتب تفسير الأحلام التي اعتمدنا عليها لم تك محققة ، مما اضطرنا إلى التحقق من كل فتيل أو قطمير ذكر فيها ، واستطعنا تصويب كثير مما رجعنا إليه .

راجين من الله أن يتقبل عملنا ليوضع في ميزان الحسنات ، وأن يتلقاه الناس بقبول حسن ، كما تلقوا دراساتنا ومترجماتنا السابقات ، في مصرنا الحبيب وخارجها ، والله المستعان وعليه التكلان .

والآن نترك القارئ للاستمتاع بالدراسة

د . أحمد مصطفى أبو الخير – جامعة المنصورة

الموقع : www.geocities.com/abu_elkher

البريد : abu_elkher@yahoo.com

مصطلحات الدراسة

يحسن في البدء أن نستفتح بنهاية العنوان ، ليس بدايته ، فنفرق بين الحضارة والثقافة ، ونرضى هنا ما ذهب إليه المجمع الخالد في الحاضرة القاهرة ، أو قاهرة المعز ، ففي كبير معجمه ، أي المعجم الكبير [1] جاء ما يلي :

الثقافة culture [2] كل ما فيه تنوير للذهن ، وتهذيب للذوق ، وتنمية لملكة النقد ، والحكم لدى الفرد والمجتمع ، وتشمل المعارف والمعتقدات والفن والأخلاق ، وجميع القدرات التي يسهم بها الفرد في مجتمعه ، ولها طرق ونماذج عملية وفكرية وروحية ، وتنتقل من جيل إلى جيل ، ولكل جيل ثقافته التي استمدها من الماضي ، وأضاف إليها ما أضاف في الحاضر ، وهي عنوان المجتمعات البشرية .

ويفرق بين الثقافة وبين الحضارة على أساس أن الأولى تنصب على الجوانب الروحية ، في حين إن الحضارة ذات طابع مادي ، غير أن الاستعمال المعاصر يكاد يسوى بين المصطلحين .

وبعد الاقتباس نعقب على ما سبق بما يلي :

١ـ إذا كان استعمال بعض المعاصرين يكاد – أو يمكن – أن يسوى بين المصطلحين فإن هذا النهج لا يناسب البحث العلمي الذي يتوخى الدقة

١ـ ٣ / ٢٩١ .

٢ـ هي كلمة فرنسية انتقلت إلى الإنجليزية بذات الهجاء مع اختلاف في النطق ، كما هو معروف في اللغتين ، والكلمة من أصل لاتيني ، وهو ما يتسق مع مقولة أن اللغة الإنجليزية هي – في الأصل – إحدى اللهجات الفرنسية ، أو على وجه التحديد (لهجة نورماندي) على الشواطئ الغربية الفرنسية المقابلة للشاطئ الشرقي لبريطانيا ، ومشهور أيضاً أن الفرنسية هي الأخرى إحدى لهجات اللاتينية القديمة ، انظر كتابنا : اللغة العربية في القانون الدولي : القاهرة ٢٠٠٤ ، ص ١٤ .

خاصة في تعامله مع المصطلح ، وبشكل أخص مع المصطلحات الرئيسة والأساس – أو قل – التي هي من مفاتيح الدراسة وعمدها وركائزها .

٢- ومن ثم فإن الثقافة عندنا هي الجانب غير المادي المتمثل في الأفكار ووجهات النظر التي تُختمر وتختذل داخل عقولنا وكياناتنا ، والتي توجه سلوكنا ، أو ما يعبر عنه في منهج البرمجة اللغوية العصبية بـ الطيار الآلي ، أي طريقة التفكير التلقائية التي تقودك عند حدوث أي موقف مع الناس أو الأشياء .

هذه الثقافة أو الجانب غير المادي في حياتنا هو الذي يسير الجانب المادي أو الحضاري في حياتنا ، خذ على سبيل المثال تخصيص حجرة للاستقبال في بيوتنا ، إنها في بعض الأحيان تتسع لتصبح شقة كاملة أو حتى طابقاً كاملاً عند بعض المقتدرين الميسورين ، إنها تعكس ثقافة المرحب بالضيف وإكرامه ، وهذا جزء من ثقافتنا .

إضافة إلى شيء مهم هو الحرص على انفصال حجرة الجلوس عن الشقة بأن يكون لها باب مستقل عن باب الشقة ومنعزل عنها ، حتى لا يختلط ضيوف الرجل بأهل البيت خاصة من النساء والولدان ، وكذا ضيفات المرأة تكن بمنأى عن الرجال والبالغين في المنزل ، هذا أيضاً جزء من ثقافتنا .

في حين تجد في بعض الثقافات الأخرى العكس تماماً ، المنزل لقاطنيه فقط ، أما الضيفان فلا مكان لهم ، ولا تفكير في شأنهم ، أما في الثقافة العربية فالأمر جد مختلف ، ليس في الوطن العربي فقط ، بل أيضاً لدى الجاليات

العربية في البلدان غير العربية ، يقول بروس [1] آينجهام عن عرب الأهواز في إيران ونظام المجلس لديهم : " في معظم البيوتات العربية البارزة ، خاصة تلك التي لها علاقات قبلية قوية ، أو ذات مكانة مرموقة في النظام القبلي كانت تخصص حجرة في أحد أركان المنزل كمجلس ، أو حجرة الجلوس - مَضْيَفة - تفتح في أوقات معينة من اليوم ، ويستطيع أي زائر أن يدخل إليها يتناول القهوة أو الشاي لقد كانت هذه سمة مميزة في ثقافة العرب " [2] .

هذا ما قاله باحث غير عربي عن ثقافة العرب في الضيافة والكرم حتى من عاش منهم خارج وطن العرب ، ومالنا نذهب قريبا أو بعيدا ففي أي بيت مصري - مهما كان فقر أصحابه - حجرة للجلوس والضيفان بعيدة عن الحُجَر الأخرى ، بل تخصص حجرة أخرى أو ركن في الشقة للسفرة والتي تقتصر في بعض البيوت على أكل الضيفان وليس أصحاب البيت ، هذه السفرة أو المنضدة إلى جوارها مجموعة من الكراسي ، لا تقل الآن بحال من الأحوال عن ستة ولا أقل ، بل ربما تزيد إلى ثمانية أو إلى ضعف هاتيك الستة .

كل ما سبق تجده في الأسر الفقيرة أو العادية ، أما الأثرياء ومن لديهم بسطة في المال أو سعة في المنازل فإنهم يفردون شقة مستقلة - وربما دورا كاملا في البيت - لضيوفهم ، ليس فقط حجرة للجلوس ومثلها للسفرة والأكل بل حمام ومطبخ ، وحجرة نوم ، كل هذا لراحة الضيوف ومن أجل إكرامهم .

أما عن الأسرة غير العربية سيما غير المسلمة فالأمر مختلف ، فإذا كان لدى الأسرة منضدة للأكل عليها فهذا لأهل البيت فقط ، ولذا فإن عدد هذه

---

١ - أستاذ في جامعة لندن .

٢ - العربية في إيران ، ترجمة الدكتور أحمد مصطفى أبو الخير والدكتور أحمد فريد ، القاهرة ٢٠٠٣ م ، ص ٣٢ .

المقاعد بعدد الأسرة ليس إلا ، الزوجان ، ومن معهم من الأبناء بعددهم فقط ، فإن أتى البيت زائر فقد يقع القوم في حيص بيص ، ولا يجدون للضيف كرسياً يجلس عليه ، ولذا فإن مفهوم الشقة لدى الغربيين لا يخرج في الغالب عن حجرة للنوم ومنافعها ، أي الحمام والمطبخ ، أما السفرة والصالون (حجرة الجلوس) فهذا غير وارد في ثقافة هؤلاء الأقوام ، لا الفقراء ، ولا الأغنياء منهم .

وإذا كانت سمة الكرم مميزة في ثقافة العرب فقد جاء الإسلام معمقا ومجذرا لهذي السمة الطيبة ، ففي وصيته – صلى الله عليه وسلم – لعلى بن أبي طالب – كرم الله وجهه : " يا علي . . . وأكرم الضيف ؛ فإنه إذا نزل بقوم نزل مع رزقه ، وإذا ارتحل ارتحل بذنوب أهل المنزل فليقيها في البحر يا علي لم تدخل الملائكة بيتا فيه تصاوير أو تماثيل أو عاق لوالديه أو بيت لا يدخله ضيف " [1] فإذا كان هذا البيت لا يضيف البشر من أمثاله ونظرائه فكيف ترضى الملائكة – عليهم السلام – أن يكونوا ضيوفا في مثل هاتيك البيوت .

ولا يقف الأمر عند هذا الحد ، بل يصل إلى منتهاه ، كيف ؟ إن جبريل – عليه السلام – يتمنى أن يكون من بني آدم ، يا إلهي ، لماذا ؟! يقول سيد الخلق – صلى الله عليه وسلم - : " لسبع خصال : الصلوات الخمس مع الإمام ومجالسة العلماء ، وعيادة المريض ، وتشييع الجنازة ، وسقى الماء والصلح بين الاثنين ، وإكرام الجار واليتيم " فإذا كان سقى الماء- وهو أدنى القِرَى وأقل ما يقدم للضيف - مما جعل جبريل يتمنى أن يكون منا – نحن بني آدم –

١- أبو الخير ، د.أحمد ، والدكتور على الغريب : قراءات في أدب العربية ، جـ ٢ ، القاهرة ٢٠٠٤ ، ص ٢٩ .

فكيف يكون ثواب أنواع القِرَى الأخرى من الإطعام والاستضافة ، وكافة أنواع الإكرام التي يُتحف بها الضيف ؟؟ .

ومن الثقافة نعود سريعا سريعا إلى اللغة – والعود من أحمد المحامد – لنتحدث عما جاء عن الأحلام والرؤى في القرآن الكريم ، نردف بما جاء في حديثه – صلى الله عليه وسلم – عن ذياك الموضوع ، فنقول بادئين بالمعاجم :

فرقت العربية بين تيك الكليمات : (الحِلم بكسر الحاء - الحُلم بضمها – الحُلُم بضم الحاء واللام) كيف ؟ نميل إلى المعجم الكبير [1] نستفتيه ونستوضحه ليُعجم لنا ما نبغي تجلية غموضه واللبس فيه :

- حَلم فلان حُلما وحُلما : رأى في نومه رؤيا .
- الحِلم : الأناة وضبط النفس وكظم الغيظ ، ومن مأثور القول : " الحِلم سيد الأخلاق " والحِلم أيضا العقل ، جمع أحلام وحُلوم ، في القرآن الكريم : " أم تأمرهم أحلامهم بهذا [2] " .
- الحُلم : الإدراك وبلوغ الطفل مبلغ الرجال ، ففي التنزيل : " وإذا بلغ الأطفال منكم الحُلم فليستأذنوا [3] " .

قال ابن منظور[4] : " والحُلم والاحتلام الجماع ونحوه في النوم، والاسم الحُلم ، وفي التنزيل : لم يبلغوا الحلم ، وفي الحديث : الغسل يوم الجمعة على

١- ٦٣٦/٥
٢- ٣٢ الطور .
٣- ٩٥ النور .
٤- ٣٥/١٥

كل حالم ، إنما هو على من بلغ الحلم ، أي بلغ أن يحتلم ، أو احتلم قبل ذلك ، وفي رواية " محتلم [1] " .

هذا الاحتلام هو نوع من المنامات أيضاً ، أو نوع من الأحلام ، يحدث عند النوم ، وهو لا يختص بالذكران دون الإناث ، فقد روت أم سلمة [2] – رضي الله عنها – أن أم سليم جاءت إلى الرسول – صلى الله عليه وسلم – تقول : يا رسول الله ، إن الله لا يستحيي من الحق ، فهل على المرأة من غسل إذا احتلمت ؟ قال النبي – صلى الله عليه وسلم : " إذا رأت الماء " فغطت أم سلمة وجهها ، وقالت يا رسول الله : وتحتلم المرأة ؟ قال : " نعم – تربت يمينك – فبم يشبهها ولدها ؟ " .

ومن الملاحظ أن صيغة (احتلم – احتلام) لم تأت في القرآن الكريم ، بل جاءت في الأحاديث النبوية فقط ، كما سبق .

وتستخدم الفصحى المعاصرة (الحُلم) بمعنى الرؤيا ، ولا تستخدم الصيغة الأخرى (حُلُم) بضمتين ، أما العامية المصرية فتنطق الأولى بكسر الحاء ، أي (حِلم) .

على أية حال فإن العربية فرقت بين الكلمتين : (حِلم) بمعنى الأناة وضبط النفس وبمعنى العقل ، وبين (حُلم) بمعنى الرؤيا فقط ، أما الصيغة الثالثة (حُلُم) فقد استخدمت بمعنى الاحتلام والبلوغ ، حيث إن هذا الاحتلام لا يكون إلا عند المنام ، فكأنه (حُلم) منامي ، ولكنه من نوع هذا خاص ، أو قل كان هذا تخصيص للمعنى أو تضييق له ، بعد أن كان متسعا لكل ما يحلم به

١ـ وهو ما جاء في البخاري ٢ / ١٥٨١ ، ١٥٩ : " غسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم " وفي الرواية الأخرى عن البخاري أيضاً : " الغسل يوم الجمعة واجب على كل محتلم " .

٢ـ البخاري ١ / ١١٠ .

الإنسان ، إذن فالكسرة في (حِلم) جعلت للكلمة معنى مخالفا لمعنى كلمة حُلم، بضم الحاء ، وكثيراً ما تفعل العربية هذا ، فتفرق بين الكلمتين بتغيير حركة واحدة في الكلمة على قصر هذه الحركة ، أو بالرغم أن تيك الحركة قصيرة ، لا طويلة ، مثال :

- المطلع معناه الطلوع (الحدث) في حين نجد (المطلِع) بمعنى مكان الطلوع .
- مِفتح تدل على آلة الفتح ، وبفتح الميم تعني موضع الفتح .
- مستعمِر اسم فاعل ، وبفتح ما قبل الآخر اسم مفعول ، وهكذا في كل الأفعال غير الثلاثية تفرق حركة ما قبل الآخر بين اسم الفاعل وبين اسم المفعول .
- فِرح وصف ، وبفتح الراء المصدر [1] .

وبعد هذي التقدمة عن الفرق بين : (الحِلم – الحُلم) ندلف إلى ما جاء حول هذه الأخيرة في الكتاب الكريم :

لم يأت الفعل (حَلَم) لا ماضيا ومضارعا ولا أمراً في الكتاب الكريم ، بل لم يأت (الحُلم) مفردا ، ولا مثنى ، وإنما جاء مكسرا فقط ، وذلك في موضعين من كتاب ربنا ، أو قل في آيتين ثنتين فقط :

- قالوا أضغاث أحلام ، وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين [2] .
- بل قالوا : أضغاث أحلام ، بل افتراه ، بل هو شاعر [3] .

١- حيدر ، د. فريد : علم الدلالة ، ص ٣٢ .
٢- ٤٤ يوسف .
٣- ٥ الأنبياء .

وفي المرتين جاءت (الأحلام) مضافة إلى كلمة (أضغاث) فما معنى هذه الكلمة ، وما ترى السر في ارتباط هاتين الكلمتين ببعضهما ؟

نحاول استشارة المفسرين علنا نجد لما نطرح تفسيرا مبررا معقولا ، أو على الأقل مقبولا ، لكن ليس قبل أن نبدي ملاحظتين :

أولاهما : إن سياق الآية في سورة يوسف مختلف تماما عن سياق آية الأنبياء ، كيف ؟ في قصة يوسف – عليه السلام – تذكر الآيات أن عزيز مصر رأى : " سبع بقرات سمان يأكلهن سبع عجاف ، وسبعَ سنبلات خضر [١] " فالآية تتحدث هنا عن رؤيا منامية ، ومن ثم فإنه يلتفت إلى من حوله قائلاً : " يا أيها الملأ : أفتوني في رؤياي " أما في السياق الآخر ، في سورة الأنبياء فالحديث في الآية المقصودة حول رأي مشركي مكة في محمد – صلى الله عليه وسلم – أو قل فيما جاء به من القرآن الكريم .

إن رأي المشركين يعكس تعنتهم وحيرتهم واختلافهم في الكتاب الكريم ، مرة يصفونه بأنه " أضغاث أحلام " ومرة : " بل افتراه " وثالثة : " بل هو شاعر " ولا يثبتون على قول ، لأنهم كانوا – كما مر – متعنتين محتارين .

ثاني الملاحظتين : أن الملك يقول لحضور مجلسه : " يا أيها الملأ أفتوني في رؤياي ، إن كنتم للرؤيا تعبرن " لكن هؤلاء الملأ يردون على الفور وفي ساعتها ، لقد : " قالوا : أضغاث أحلام ، وما نحن بتأويل الأحلام بعاملين " .

١ـ ٤٣ يوسف .

لقد استخدم الملك مصطلح (الرؤيا) واستخدام الملأ مصطلح (الحُلم) وإن جاء مجموعا مكسرا ، بل ونكروه في جوابهم على الملك – ليس مرة واحدة – بل مرتين ثنتين .

كما يلاحظ أن الملك استخدم التعبير للرؤيا " إن كنتم للرؤيا تعبرون " في حين جاء رد الملأ : " وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين " فكأن القرآن الكريم هنا استخدم التعبير - أو بمعنى أدق العَبْر - للرؤيا ، واستخدم التأويل للأحلام .

على أية حال ماذا يقول المفسرون في كلمة (أضغاث) ؟ ابن كثير [١] يرى أنها الأخلاط ، أي الأمور المختلطة المتناقضة وغير المنطقية ، بمعني أنها ليست من قبيل الرؤى الصحيحة .

إلا أن الإمام الزمخشري[٢] يفصل الأمر قليلاً فيذكر : " أضغاث أحلام : تخاليطها وأباطيلها وما يكون منها من حديث نفس ، أو وسوسة شيطان ، وأصل الأضغاث ما جمع من أخلاط النبات ، وحزم الواحد ضِغْث ، فاستعيرت لذلك ، والإضافة بمعنى من أي أضغاث من الأحلام ، والمعنى : هي أضغاث أحلام " .

وفي القرآن الكريم جاء كلمة (ضغث) المفردة في قوله تعالى : " وخذ بيدك ضغثا ، فاضرب به ، ولا تحنث [٣] " فالضغث : الحزمة الصغيرة من

١- تفسير القرآن العظيم ٢ / ٤٨٠ .
٢- الكشاف ٢/٢٥٩ .
٣- ٤٤ ص .

حشيش ــ عشب ــ أو ريحان أو غير ذلك ، قال ابن عباس : " قبضة من الشجر [1] " .

ونختم ما ذكر عن الأضغاث بما نص عليه صاحب القاموس المحيط [2] :

" الضغث بالكسر قبضة حشيش مختلطة ، الرَّطب باليابس . . . وأضغاث أحلام رؤيا لا يصلح تأويلها لاختلاطها " واضطرابها .

صفوة القول في كل ما سبق ، وبعد كل ما سبق أن كلمة (الأحلام) وردت ثلاث مرات فقط في القرآن الكريم ، في آيتي يوسف وص ، ولم يأت مفردها ــ أي حلم ــ البتة ، بل لم يأت فعلها ، لا في الماضي ولا في المضارع ولا الأمر أيضا ، إضافة إلى شيء مهم أن الأحلام جاءت مرتين مضافة إلى الأضغاث .

أما الرؤيا فلها تفصيل يختلف عن (الأحلام) إذ جاءت الأولى في القرآن عدة مرات ، وفي كل مرة جاءت معرفة ، غير منكرة :

- الرؤيا : بالألف واللام محلاة ، في أربعة مواضع ، أربع مرات ، هي :

" إن كنتم للرؤيا تعبرون [3] ــ وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس [4] ــ قد صدقت الرؤيا [5] ، إنا كذلك نجزي المحسنين ــ لقد صدق الله رسوله الرؤيا [6] بالحق " .

١ـ الكشاف ٣/٣٣٠ .
٢ـ ١/١٦٨ .
٣ـ ٤٣ يوسف .
٤ـ ٦٠ الإسراء .
٥ـ ١٠٥ الصافات .
٦ـ ٢٧ الفتح .

ومن الملاحظ في المواضع الأربعة أن الكلمة جاءت مفردة فقط ، ولم تأت مثناة ، ولا مجموعة ، أي (رُؤَى) كما وجدنا في الأحلام ، هذا من ناحية صرف الكلمة .

ومن ناحية أخرى فإنها من مواضعها الأربعة كانت رؤيا أنبياء ، عدا الموضع الأول ، أي رؤيا ملك مصر ، ولكن من الطريف أن هاتيك الرؤيا التي لم تنسب لنبي ، لم يفسرها إلا نبي من أنبياء الله ، هو يوسف ، عليه السلام .

- أما الموضعان الآخران ، والمعرّفان أيضا ، وإن بالإضافة إلى الضمير المفرد ، أو ضمير المفرد ، المخاطب مرة ، والمتكلم في الأخرى ، ففي الأولى يقول نبي الله يعقوب – عليه السلام – لابنه يوسف : " يا بني: لا تقصص رؤياك [1] على إخوتك ، فيكيدوا لك كيدا " فالمتحدث نبي وهو يوجه كلامه إلى ابنه الذي أصبح نبيا ، فالرؤيا هنا جاءت على لسان نبي ، وهي رؤيا طفل ، صحيح أنه كان كذلك ، ولكنه أصبح نبيا فيما بعد .

- وفي الموضع الثاني " رؤياي " صحيح أنها لم تك لنبي – كما سبق – ولكن الذي فسرها نبي ، هو يوسف – عليه السلام – ولذا استخدم صاحبها – أو قل جعلها القرآن الكريم على لسان صاحبها – رؤيا وليست حلما .

١ـ ٥ يوسف .

الرؤى في القرآن الكريم:

ومن كل ما سردنا نستطيع القول بأن الرؤى التي ورد الحديث عنها في كتابنا الكريم إما أن تكون لنبي أو من سيصبح نبيا ، أو على الأقل يفسرها نبي ، وهاك التفصيل :

١- إبراهيم – عليه السلام : وهو ليس نبيا فقط ، بل هو أبو الأنبياء – عليهم جميعا السلام – والتي يجملها القرآن الكريم في قولة إبراهيم أبي الأنبياء لابنه إسماعيل – عليهم السلام : " يا بني : إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى ؟ قال : يا أبت ، افعل ما تؤمر ستجدني – إن شاء الله – من الصابرين [١] . . . " لقد استجاب الابن فوراً ، لماذا ؟ يقول خاتم النبيين – عليه الصلاة والسلام : " رؤيا الأنبياء في المنام وحي [٢] " ومن ثم فهو أمر واجب النفاذ والتنفيذ.

جاء في الكتاب الكريم : " فلما أسلما وتله للجبين ، وناديناه أن يا إبراهيم ، قد صدقت الرؤيا ، إنا كذلك نجزي المحسنين ، إن هذا لهو البلاء المبين ، وفديناه بذبح عظيم [٣] " .

وتفصيلات هذه القصة مبسوطة في كتب التفسير وقصص الأنبياء، ولكن المهم هنا هو أن إبراهيم – عليه السلام – قد نفذ ما رآه في منامه ؛ لأن رؤيا الأنبياء – كما سبق – وحي من الله ، تعالى .

١- ١٠٢ الصافات .
٢- ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ١٤/٤ .
٣- ١٠٣ – ١٠٧ الصافات .

٢- محمد – صلى الله عليه وسلم - : من الرؤى التي رآها سيد الخلق – عليه الصلاة والسلام – وجاء ذكرها في القرآن :

أ- قال تعالى : " لقد صدق الله رسوله الرؤيا بالحق لتدخلن المسجد الحرام – إن شاء الله – آمنين محلقين رءوسكم ومقصرين، لا تخافون ، فعلم ما لم تعلموا فجعل من دون ذلك فتحا قريبا [١] ".

رأى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – قبل خروجه إلى الحديبية كأنه وأصحابه قد دخلوا مكة آمنين ، وقد حلقوا وقصروا ، فقص الرؤيا على أصحابه ففرحوا ، واستبشروا ، وحسبوا أنهم داخلو مكة في عامهم ؛ وقالوا إن رؤيا محمد – صلى الله عليه وسلم – حق ، فلما تأخر ذلك قال عبد الله بن أبي بن سلول : " والله ما حلقنا ، ولا قصرنا ، ولا رأينا المسجد الحرام " فنزلت الآية السابقة ، والتي أخبرت بصدق رؤياه – صلى الله عليه وسلم – والتي تحققت ، وإن بعد عام ، قال تعالى : " فعلم ما لم تعلموا ، وجعل من دون ذلك فتحا قريبا " أي علم الله - تعالى - ما لم تعلموا من الحكمة والصواب في تأخير فتح مكة إلى عام قابل ، وجعل من دون فتح مكة فتحا قريبا [٢] وهو فتح خيبر الذي جاء قبل فتح مكة بسنة [٣] .

ب- وقال تعالى مخاطبا سيد الخلق – صلى الله عليه وسلم : " وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس والشجرة الملعونة في القرآن ونخوفهم فما يزيدهم إلا طغيانا كبيرا [٤] " .

١- ٢٧ الفتح .
٢- الزمخشري : الكشاف ٤٦٨/٣ .
٣- فتحت خيبر سنة ٧ هـ ، ومكة ٨ هـ .
٤- ٦٠ الإسراء .

وبعد الرجوع إلى مجموعة من المفسرين نري أن (الرؤيا) في الآية منامية ، لا (رؤية) عين وبصر ، جاء في تفسير ابن كثير : " رأى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بنى فلان ينزون على منبره نزو القرود ، فساءه ذلك ، فما استجمع ضاحكا حتى مات . . . وأنزل الله : وما جعلنا الرؤيا التي أريناك إلا فتنة للناس . . . " أما الشجرة الملعونة في القرآن فقيل هي شجرة الزقوم " وقيل المراد بالشجرة الملعونة بنو أمية " ويعقب ابن كثير بقوله : " وهو غريب ضعيف [1] .

أما الإمام الزمخشري [2] فينقل : " وقيل رأى في المنام أن ولد الحكم [3] يتداولون منبره ، كما يتداول الصبيان الكرة " ويمكن لمن شاء مراجعة المفسرين للوقوف على المقصود بالرؤيا التي رآها محمد – صلى الله عليه وسلم – وكل ما نوكده هنا أن الرؤيا منامية ، لا بصرية .

٣- في سورة يوسف عليه السلام : في هذي السورة أربع رؤى ، بدأت برؤيا يوسف – عليه السلام – وانتهت بتحقق تلك الرؤيا على أرض الواقع وتيكم تفاصيل الرؤى التي وردت بالسورة :

أ- رؤيا يوسف – عليه السلام - : تبدأ السورة بشكل ملفت ، يوكد أن ما يقال في تيك السورة هو جد ليس بهزل ، فالذي يقص هو رب العزة – جل وعلا – انظر إلى الآيات التي افتتحت السورة : الر ، تلك

١- ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ٣ /٤٩ .

٢- الكشاف ٣٦٦/٢ .

٣- المقصود الحكم بن أبي العاصي الأموي الذي كان يتطلع على بيوت النبي وقد رآه – صلى الله عليه وسلم – يتخلج في مشيته تقليدا لرسول الله وسخرية منه ، فقال له : " كن كذلك " فكان كذا ، أي لا يستطيع أن يمشي إلا بهذه الطريقة التي يسخر بها من سيد الخلق – صلى الله عليه وسلم – ثم نفاه إلى الطائف ، تقول السيدة عائشة – رضي الله عنها – لمروان بن لحكم : " أما أنت يا مروان فأشهد أن رسول الله لعن أباك وأنت في صلبه " انظر – ابن الأثير : أسد الغابة في معرفة الصحابة ١٦/٢ .

آيات الكتاب المبين ،إنا أنزلناه قرآنا عربيا لعلكم تعقلون ، نحن نقص عليك أحسن القصص بما أوحينا إليك هذا القرآن ، وإن كنت من قبله لمن الغافلين [1] .

وبعد ذلك تبدأ القصة برؤيا يوسف ـ عليه السلام : " إذ قال يوسف لأبيه : يا أبت ، إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين " ولا يملك نبي الله يعقوب ـ عليه السلام ـ إلا النصح : " قال : يا بني ، لا تقصص رؤياك على إخوتك ، فيكيدوا لك كيدا ، إن الشيطان للإنسان عدو مبين وكذلك يجتبيك ربك ويعلمك من تأويل الأحاديث ويتم نعمته عليك ، وعلى آل يعقوب ، كما أتمها على أبويك من قبل إبراهيم وإسحاق ، إن ربك عليم حكيم[2]" .

وتستمر القصة التي بدأت بهذه الرؤيا إلى أن تختمها بتحقق الرؤيا على أرض الواقع ، قال تعالى : " فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه ، وقال : ادخلوا مصر ـ إن شاء الله ـ آمنين ، ورفع أبويه على العرش ، وخروا له سجدا ، وقال : يا أبت ، هذا تأويل رؤياي من قبل ، قد جعلها ربي حقا ، وقد أحسن بي ، إذ أخرجني من السجن ، وجاء بكم من البدو من بعد أن نزغ الشيطان بيني وبين إخوتي ، إن ربي لطيف لما يشاء ، إنه هو العليم الحكيم رب قد آتيتني من الملك ، وعلمتني من تأويل الأحاديث [3] . . . "

والمراد بالأحاديث في الآيتين الرؤيا ، لأنها : " إما حديث نفس أو ملك أو شيطان ، وتأويلها عبارتها وتفسيرها ، وكان يوسف عليه السلام ـ أعبر

١ـ ١ـ٣ يوسف .
٢ـ الآيات ٤ ـ ٦ .
٣ـ الآيات ٩٩ ـ ١٠١ .

الناس للرؤيا ، وأصحهم عبارة [1] ويلاحظ أن يعقوب قال لابنه عند قص رؤياه : " وكذلك يجتبيك ربك ، ويعلمك من تأويل الأحاديث " هذه نبوءة من الأب لابنه ، ولذا جاءت في صيغة المضارع ، والتي تفيد هنا الاستقبال ، أي سوف يجتبيك ربك ، ويعلمك من تأويل الأحاديث .

ويعيد يوسف عليه السلام ـ ذات العبارة ، ولكن بصيغة الماضي ، الذي تأكد تحقيقه وتحقق توكيده ، إنه يناجي ربه : " رب ، قد آتيتني من الملك وعلمتني من تأويل الأحاديث . . . "

ب- رؤيا صاحبي السجن : دخل نبي الله يوسف ـ عليه السلام ـ السجن ظلما برغم كل الأدلة على براءته ، قال تعالى : " ثم بدا لهم من بعد ما رأوا الآيات ليسجننه حتى حين [2] " وفي غياهب السجن وحنادسه المظلمة بدا شعاع من النور ، هذا الشعاع تمثل فيما رآه زميلاه .

يقول القرآن الكريم : " ودخل معه السجن فتيان ، قال أحدهما : إني أراني أعصر خمرا ، وقال الآخر : إني أراني أحمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه ، نبئنا بتأويله ؛ إنا نراك من المحسنين [3] " ويرد نبي الله بكل تواضع : " قال : لا يأتيكما طعام ترزقانه إلا نبأتكما بتأويله قبل أن يأتيكما ذلكما مما علمني ربي [4] " إنه لا يفسر الرؤيا من عندياته ، بل مما علمه ربه

١- الكشاف ٢ / ٢٤٢ .
٢- ٣٥ يوسف .
٣- ٣٦ يوسف .
٤- ٣٧ يوسف .

ما يشير إلى أهمية ما يراه الإنسان في نومه من رؤى صادقة ، ولو لم تك كذلك ما فسرها نبي من أنبياء الله .

ويأتي جواب يوسف – عليه السلام – على صاحبيه بقوله : " يا صاحبي السجن : أما أحدكما فيسقى ربه خمرا – وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه ، قضى الأمر الذي فيه تستفتيان [1] ".

والفتيان عبدان للملك وفي سورة النور [2] : " ولا تكرهوا فتياتكم على البغاء إن أردن تحصنا " وفي النساء [3] : " ومن لم يستطع منكم طولا أن ينكح المحصنات المؤمنات مما ملكت أيمانكم من فتياتكم المؤمنات " وهكذا أدب القرآن الكريم ، إنه لا يستخدم كلمتي عبد وأمة ، وإنما يستخدم فتى وفتاة [4] ، أما في قوله تعالى : " الحر بالحر ، والعبد بالعبد ، والأنثى بالأنثى [5] " فإن الأمر يتعلق بحق القصاص ، فلابد من اللفظ الصريح الذي لبْس فيه ، إذ الآية السابقة بدأت بقوله تعالى : " يا أيها الذين آمنوا : كتب عليكم القصاص في القتلى " أمر القتل والقصاص فيه من الخطورة بحيث يوجب استخدام لفظة " العبد " في مقابل : " الحّر " وهكذا .

نعود إلى حلمى الفتيين أو ما رآياهما ، لقد وُشِيَ بهما إلى الملك بأنهما سوف يسمانه ، فأحدهما خبازه ، والثاني ساقيه ، ولذا أدخلهما السجن ، وفي نفس اليوم الذي دخل فيه نبي الله يوسف – عليه السلام – أما الساقي فقد رأى

---

١ - ٤١ يوسف .
٢ - الآية ٣٣
٣ - الآية ٢٥ .
٤ - راجع المعجم المفهرس لألفاظ القرآن الكريم ، ص ٥١٢ .
٥ - ١٧٨ البقرة .

أنـه فـي بسـتان ، يقطـف ثلاثـة عناقيد من العنـب ، و يعصرها فـي كـأس الملـك يسقيه منها .

إذ المقصود بالخمر في رؤيا ساقي الملك هو العنب ؛ لأن الخمر لا تعصر ، بـل تشـرب مباشـرة ، وممـا يؤيـد أن الخمـر هـي العنـب قـراءة عبـد الله بـن مسعود: " إني أراني أعصر عنباً " وينص في الكشاف على أن الخمر هـي العنب بلهجة عُمان ، على أية حال فإن هذي الرؤيا تناسب الساقي [١] .

وفسر نبي الله ـ عليه السلام ـ للفتى بأنـه سيسقي سيده الملك عصير العنب ، كما كان يفعل قبل ذلك ، أما العناقيد الثلاثة فقد عبرت بأنها ثلاثـة أيام يقضيها في السجن ، ثم يفرج عنه ليعود إلى سابق عمله لدى الملك .

وفي رؤيا الفتي الآخر الخباز : رأى فوق رأسه ثلاث سلال ، فيها أنـواع الأطعمة ، تنهش منهـا سباع الطير وتأكل ، وهنـا فسر يوسـف السـلال الثـلاث بأنـهن ثلاثة أيام أيضا ، ثم يخرج ، ليعاد إلى عملـه السابق ؛ كـلا... بـل ليقتـل صلبا ، وتأتي جوارح الطير لتأكل من رأسه .

جـ ـ رؤيا الملك : لما دنا فرج يوسف بخروجه من السجن رأى ملك مصر رؤيا عجيبة هالته ، لقد رأى سبع بقرات سمان خرجن مـن نـهر يـابس وسبع بقرات عجاف ، فابتلعت العجاف السمان ، فإن المقبول أن تبتلع السمان العجاف، وليس العكس ، كما رأى سبع سنبلات خضر قد انعقد حبهـا ، وسـبعا أخر يابسـات قد آن حصـادها لشـدة نضـجها ، فـالتوت اليابسات والتفت على الخضر حتى غلبن عليها وتغلبن [٢] .

١ـ الكشاف ٢/٢٥٥ .
٢ـ السابق ٢ / ٢٥٨ .

وكان تفسير نبي الله ما يلي : يأتيكم الخصب والمطر سبع سنين متواليات ، ففسر البقر بالسنين ؛ لأنها تثير الأرض التي تنبت منها الثمار والزروع ، أي السنبلات الخضر ، ينصح يوسف أهل مصر بادخار ما تجود به الأرض – مهما كان كثيرا – في سنابله حتى لا يتطرق إليه الفساد ، باستثناء القدر القليل جدا الذي يأكلونه ، بدون إسراف ولا تبذير .

أما الباقي المدخر في السنابل فسوف ينتفع به في السبع سنوات الشداد التي تأتي عقب سنوات الخصب والنماء ، وهي البقرات العجاف اللاتي تأكل السمان ، لأن سني الجدب يؤكل فيها ما جمعوه في سنى الخصب ، ثم يبشر المصريين بأنه بعد الجدب العام المتوالي سيأتي عام يأتيهم فيه المطر ، وتغل البلاد ، ويعصر الناس ما كانوا يعصرون – على عاداتهم – من السمسم والقصب ، ليستخرجوا الزيت والسكر ونحوهما ، ويفيض الزرع والضرع [١] .

وهكذا احتوت سورة يوسف ليس علي أحسن القصص فقط ، بل أيضا على أربع رؤى ، فسر يوسف – عليه السلام – ثلاثا منها ، أما رؤياه في صباه فلم تعبر فقط ، بل حدثت على أرض الواقع ، كما جاء في السورة ، " فلما دخلوا على يوسف آوى إليه أبويه ، وقال : ادخلوا مصر – إن شاء الله آمنين – ورفع أبويه على العرش ، وخروا له سجدا ، وقال : يا أبت ، هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا [٢] . . . " التي قصها على أبيه من قبل والتي جاءت في أول السورة [٣] : " إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين " .

١- ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ٢ / ٤٨٠ .
٢- ٩٩ ، ١٠٠ يوسف .
٣- الآية الرابعة .

أما السجود للعظيم والكبير فقد كان سائغا في شرائعهم إذا سلموا على كبرائهم ، وكان هذا جائزا من لدن آدم إلى شريعة عيسى – عليه السلام – ولم يحرم إلا في ملة الإسلام ، حيث أصبح السجود مختصا بجناب الرب – سبحانه وتعالى – ففي الحديث أن معاذ بن جبل قدم الشام فرآهم يسجدون لأساقفتهم فلما رجع سجد لرسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال : " ما هذا يا معاذ ؟ فقال : إني رأيتهم يسجدون لأساقفتهم ، وأنت أحق أن يسجد لك يا رسول الله فقال : لو كنت آمرا أحد أن يسجد لأحد لأمرت المرأة أن تسجد لزوجها ؛ لعظيم حقه عليها [1] " .

وفي حديث آخر : لقي سلمان – عليه السلام – رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في بعض طرق المدينة فسجد له احتراما وتبجيلا ، فقال : " لا تسجد لي يا سلمان ، واسجد للحي الذي لا يموت [2] والغرض أن أبوي يوسف – عليهم السلام – وإخوته عندما سجدوا جميعا له كان هذا سائغا معمولا به في شريعتهم ، حتى نسخ هذا في الملة المحمدية .

فهل فرق القرآن الكريم بين الرؤيا المنامية والرؤية البصرية ؟ نعم كيف؟ لقد استخدم القرآن الكريم لفظة (الرؤيا) لما يرى في النوم ، أما كلمة (رؤية) فلم ترد في النص القرآني ، وردت ألفاظ أخر ، هي : (رأى – الرأى – رئيا) ونبدأ بالحديث عن اللفظة الأولى ، ثم ما تلاها :

١- ابن كثير : ٢٩١/٢ .
٢- السابق .

١- رأى : جاءت في قول الله – تعالى : " قد كان لكم آية في فئتين التقتا فئة تقاتل في سبيل الله ، وأخرى كافره ، يرونهم مثليهم رأى العين ، والله يؤيد بنصره من يشاء ، إن في ذلك لعبرة لأولي الأبصار [١] ".

عندما انتصر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فى معركة بدر في العام الثاني للهجرة ، قال يهود بني قينقاع : " هذا – والله – النبي الأمي الذي بشرنا به موسى " وهموا باتباعه " ولكن فئة مناونة قالت لهم :" لا تعجلوا حتى ننظر إلى وقعة أخرى ".

فلما كان يوم أحد وأصيب المسلمون شك القوم وترددوا ، فالآية إذن موجهة لهؤلاء القوم من بني قينقاع ومعنى : " رأى العين " رؤية ظاهرة مكشوفة ، لا لبس فيها ، معاينة بالعين كسائر المعاينات البصرية [٢] ، إذ لم يكتف الكتاب الكريم بإضافة العين إلى لفظة (رَأيْ) بل ختمت الآية بشكل مناسب لكلمتي (رأى العين) هو : " إن في ذلك لعبرة ؟ " عبرة لمن ؟ " لأولي الأبصار " .

قال ابن منظور [٣] : " رَأى عيني زيد فعل [٤] ذلك ، وهو من نادر المصادر عند سيبويه ، ونظيره سَمْع أذني ، ولا نظير لهما في المتعديات " وقد غصت في كتاب الشيخ العظيم سيبويه فخر العرب والعربية فوجدته يقول : " إذا قلت أرى أنه منطلق ، فإنما وقع الرّأي على شيء لا يكون الكاف التي في : وجدتك ونحوها ، من الأسماء [٥] " .

١- ١٣ آل عمران .
٢- الكشاف : ١٧٧/١ .
٣- ٣ / ١٣٠ .
٤- توكيد على أن المتكلم رأى بعينه زيدا ، وهو يفعل ما فعل .
٥- ٣ / ١٣٠ .

وبصرف النظر عن القضية التي يناقشها شيخ العربية فإنه قد استخدم المصدر (رَأى) الذي يقول عنه المحقق في الهامش إنه : " مصدر[1] كالرؤية والرأية والراءة " وأرى أن هذا المصدر (رَأى) قد اكتسب معناه أو جزءا منه على الأقل من إضافته إلى العين في قوله تعالى : " وما نراك اتبعك إلا الذين أراذلنا بادي الرأي " فهذه الكلمة الأخيرة لا تعني (الرؤية) وإنما معناها الاعتقاد[2] ، فهي مصدر رأى يرى رأيا .

جاء في تفسير ابن كثير[3] : " ما نراك اتبعك إلا الذين هم أراذلنا كالباعة والحاكة وأشباههم ، ولم يتبعك الأشراف ، ولا الرؤساء منا ، ثم هؤلاء الذين اتبعوك لم يكن عن ترو منهم ، ولا فكر ولا نظر ، بل بمجرد ما دعوتهم أجابوك فاتبعوك . . . بادئ الرأي ، أي في أول بادئ الرأي " وفي بعض القراءات : " بادئ الرأي " بهمز الكلمة الأولى ، أي من الفعل بدأ والمعنى ظاهر الرأي ، دون باطنه ، أي : لو تأمل لظهر له[4] الرأي الصحيح الحقيقي .

وبالإضافة إلى كلمتي (رأى) بمعنى الرؤية ، والتي وردت في القرآن مرة واحدة ، وكذا (الرأى) بمعنى الاعتقاد ، جاءت كلمة ثالثة هي (رئيا) في قوله تعالى : " وكم أهلكنا قبلهم من قرن ، هم أحسن أثاثا ورئيا "[5] فالرِّئي هو المنظر الحسن[6] .

---

١ ـ ١٣٠/٣ ، هامش ٤ .
٢ ـ معجم ألفاظ القرآن الكريم : ٤٦٢/١ .
٣ ـ ٤٤٢/٢ .
٤ ـ الدمياطي : إتحاف فضلاء البشر ، ص ٢٥٥ .
٥ ـ ٧٤ مريم .
٦ ـ معجم ألفاظ القرآن الكريم : ٤٦٢/١ .

وفي الكشاف [1] : " الأثاث متاع البيت .. رئيا هو المنظر والهيئة فِعْل بمعنى مفعول من رأيت " فالله سبحانه وتعالى يهدد قريشا المغترة بما لديها من البيوت وأثاثها ، وبما أعطاهم الله من شكل وسيم ومنظر حسن بأنه – تعالى – قد أهلك قبلهم أقواما كانوا أحسن منهم وأفخم في الأثاث والشكل والمنظر .

بقيت كلمة أخيرة في هذا المجال ، هي (رئاء) والتي وردت في القرآن ثلاث مرات [2] ، وهي مصدر من الفعل (يرائي) خداعا بإظهار المرء لغير حالته [3] ، هذا المضارع ورد مرتين :

- يراءون الناس ، ولا يذكرون الله إلا قليلا [4] .
- الذين هم يراءون ، ويمنعون الماعون [5] .

جاء في أساس البلاغة [6] : " وهو يرائي الناس مراءاة ورياء ، وفعل الخير رئاء الناس " أي مراءاة للناس ، فالرئاء هو الرياء ، كما يعرف اليوم في النطق المعاصر ، الذي لا يهمز الكلمة ، بل يضع الياء بدل الهمزة الأولى هذا النطق ليس أقل فصاحة من نطق الكلمة بهمزتين ، ولذا قرأ أبو جعفر يزيد ابن القعقاع وهو من القراء العشرة – ت ١٣٠ هـ - (رئاء) بإبدال الهمزة الأولى ياء خالصة وصلا ووقفا ، وذلك في مواضعها الثلاثة ، في البقرة والنساء والأنفال .

١- ٤٢٠/٢ .
٢- ٢٦٤ البقرة ، ٣٨ النساء ، ٤٧ ، الأنفال .
٣- معجم ألفاظ القرآن الكريم : ٤٦٢/١ .
٤- ١٤٢ النساء .
٥- ٦ الماعون .
٦- ٣١١/١ .

بقى أن نتساءل في ختم ما سبق ، هل يفرق القرآن بين (رأى) في اليقظة وبين رأي المنامية ؟ كلا ، إن الكتاب الكريم يستخدم الكلمة للمعنيين ، تاركا التمييز بينهما للسياق والمقام ، أو للنص على المنام بشكل صريح ، فمن الثاني قول نبي الله إبراهيم – عليه السلام : " يا بني : إني أرى في المنام أني أذبحك ، فانظر ماذا ترى ؟ " لقد نصت الآية على أن ما رؤى كان(في المنام).

ومن الأول ، أي ما فهم من السياق أن الرؤيا كانت منامية قوله تعالى : " قال أحدهما : إني أراني أعصر خمراً – وقال الآخر : إني أراني أحمل فوق رأسي خبزاً تأكل الطير منه " هذان الفتيان رأيا يوسف – عليه السلام – يجيد تعبير الرؤيا ، ومن ثم كان بعض السجناء يقصون رؤاهم ليعبرها ؛ ومن هنا كان كلامهما موجها ليوسف ، إضافة إلى أن الفعل ليس (رأى) فقط ، بل: (أراني) أي أرى نفسي ، وهذا لا يناسب إلا رؤيا المنام .

- وعلى لسان يوسف : " يا أبت : إني رأيت أحد عشر كوكبا والشمس والقمر رأيتهم لي ساجدين " لا يمكن أن يتصور أن يوسف ذي الاثنى عشر [1] عاماً يمكن أن تسجد له الشمس والقمر، والكواكب الأحد عشر ومن ثم فلابد أن الحديث كان عن رؤيا ، وليس رؤية .

- وفي رؤيا الملك في السورة ذاتها ، السياق سياق منامي ، وليس يقظة ، كيف ؟ إنه يقول في نهاية كلامه : " يا أيها الملأ : أفتوني في رؤياي، إن كنتم للرؤيا تعبرون ؟ " فمن يا ترى هؤلاء الملأ الذين يخاطبهم ملك مصرنا ؟

إنه جمع من الكهنة وكبار رجال دولته وأمرائه [1] ، ولا يمكن أن يجمع كل هذا الملأ ليسألهم عن شيء رآه رأى العين .

وفي العامية المصرية أيضا الفعل (شاف) بمعني (رأى) لا تختص برأى البصر ، أو المنام ، إذ الشائع أن يقال : " شُفت خير ، اللهم اجعله خير " فكلمة (خير) الأولى ، أو العبارة التي تليها : (اللهم اجعله . . .) سواء من المتكلم راوي الرؤيا ، أو من السامع ، أو منهما معاً ، هو ما يؤشر إلى أن الرؤيا منامية ، ليس إلا ، وقد يستخدم الفعل (حلمت) بنصه على (الحِلم) .

كما يلاحظ أن العامية المصرية تستخدم فقط كلمة (الحلم) بكسر الحاء وليس بالضم ، كما في الفصحى التي تفرق حركة الحاء بين كلمتين ثنتين: (الحُلم) المنامي ، و (الحِلم) بمعنى العقل والتعقُّل [2] ، ففي الذكر الحكيم : " أم تأمرهم أحلامهم بهذا ، أم هم قوم طاغون ؟ [3] " أي عتولهم ، كما سبق.

على أية حال الفعل فإن الفعل (رأى) في الفصحى لا يختص ببصر، ولا منام ، ولكن النص أو السياق ، أو هما معاً اللذان يمكن أن يوجها الفعل إلى رَأى العين ، أو إلى ما يراه النائم ، لكن العربية لم تفعل هذا في المصدر ، يقول الزمخشري [4] : " والرؤيا بمعنى الرؤية ، إلا أنها مختصة بما كان منها في المنام ، دون اليقظة " فرق بينهما بحرفي التأنيث ، الألف أو التاء ، كما في : (القربى والقربة) و(الزلفى والزلفة) .

١- ابن كثير ٤٨٠/٢ .
٢- المعجم الوسيط ٢٠١/١ .
٣- ٣٢ الطور .
٤- الكشاف ٢٤٢/٢ .

فالقُربى هي القرابة والدنو في النسب والقربى في الرحم [1] ، قال تعالى على لسان نبيه : " قل لا أسألكم عليه أجرا إلا المودة في القربى [2] " أي : لا تؤذوني في قرابتي من أهل بيتي ، أو أقربائي .

أما (القُربة) فغير هذا ، جاء في أساس البلاغة : " تقرب إلى الله بكذا وفعل ذلك تقربا إلى الله ، وطلبت بذلك القربة والحسبة " وعلى هذا المعنى تجمع (قربة) على قربات ، وقد جاء كل من الجمع ومفرده مرة واحدة في كتاب ربنا ، بل في آية واحدة وفي موضوع واحد ، في ذات السورة بطبيعة الحال ، هي قول الله تعالى : " ومن الأعراب من يؤمن بالله واليوم الآخر ، ويتخذ ما ينفق قربات عند الله ، وصلوات الرسول ألا إنها قربة لهم ، سيدخلهم الله في رحمته ، إن الله غفور رحيم [3] " .

أما كلمة (قربى) محلاة بالألف واللام أو بدونها فقد جاءت في القرآن الكريم ست عشرة مرة ، ومن طريف ما يلاحظ أنها سبقت دائما بالآتي : (ذو) بمعنى صاحب المعربة إعراب الأسماء الخمسة ، أو بجمعها (ذوي) أو (أولو) الملحقة بجمع المذكر السالم ، إلا أنها جاءت في حالة واحدة فقط بدون شيء مما سبق ، وهي آية : " إلا المودة في القربى " السابق ذكرها ، والتي تتحدث عن قرابته – صلى الله عليه وسلم – ملاحظة تحتاج تعليلاً وتفصيلا في مكانهما المناسبين .

١- لسان العرب ١٥٩/٢ .
٢- ٢٣ الشورى .
٣- ٩٩ التوبة .

أما لفظة (زلفى) فوردت في القرآن الكريم أربع مرات ، منها قوله تعالى : " وإن له عندنا لزلفى وحسن مآب [1] " كما وقعت لفظة (زلفة) مفردة مرة واحدة في القرآن الكريم : " فلما رأوه زلفة سيئت وجوه الذين كفروا " والمعنى فلما رأى الكفار العذاب قريبا ، فـ (زلفة) معناها قريب ، أما (الزلفى) بألف التأنيث المقصورة فمعناها " منزلة ودرجة " أي في القرب والدنو .

على أية حال فإننا نستطيع القول بعد كل ما سبق أن الفعل (رأى) لا يختص بروؤيا منامية أو بصرية إلا بنص أو سياق ، كما أن القرآن الكريم لم يستخدم المصدر (رؤية) وإنما استخدم بدل هذا (رأى العين) كما فرقت العربية بين الكلمتين (الرؤيا – الرؤية) بعلامة التأنيث ، الألف المقصورة في الأولى ، وتاء التأنيث في الثانية ، كما فرقت في المعنى بين (قربى) و(قربة) وبين (زلفى) و(زلفة) .

وكل ما سبق من تفصيل مسهب حول (الرؤى الصادقات) في القرآن الكريم ليشير إلى تجذر هذا الأمر في الثقافة العربية والإسلامية ، أو قل إن هذا كله قد أدى إلى تسرب الأمر إلى ثقافتنا العربية والإسلامية ، يضاف إليه ما جاء على لسان نبينا وصحابته ، وما كان منهم من اهتمام بالرؤى والمنامات لسبب سوف نبرزه فيما بعد .

١ـ ٢٥ . ٤٠ ص .

الرؤى في الأحاديث الشريفة :

قبل أن ندخل في تفاصيل الموضوع ودقائقه نشير في مقدم الكلام هنا إلى شيئين مهمين في هذا الجانب المنامي من الحياة :

١- هذا الأمر الذي يختص بمقدمات بعثته – صلى الله عليه وسلم – تروي السيدة عائشة – أم المؤمنين – رضي الله عنها : " إن أول ما بدئ به رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من النبوة حين أراد الله كرامته ورحمة العباد به الرؤيا الصادقة ، لا يرى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – رؤيا في نومه إلا جاءت كفلق الصبح [١] " .

٢- وفي أمر آخر بالغ الأهمية كان للرؤيا الصادقة الاعتبار الأول ، إنه ألفاظ الأذان والإقامة التي مازلنا نأخذ بها إلى الآن ، جاء في سنن [٢] أبي داود : " عن عبد الله بن زيد ، قال : لما أمر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بالناقوس يعمل ليضرب به الناس لجمع الصلاة طاف بي وأنا نائم رجل يحمل ناقوسا في يده ، فقلت يا عبد الله : أتبيع الناقوس ؟ قال : وما تصنع به ؟ فقلت : ندعو به إلى الصلاة ، فقال : أفلا أدلك على خير من ذلك ، فقلت : بلى ، فقال : تقول :

الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر ، الله أكبر

أشهد أن لا إله إلا الله ، أشهد أن لا إله إلا الله

أشهد أن محمد رسول الله ، أشهد أن محمد رسول الله

١- ابن هشام : السيرة النبوية ٢٣٤/١ .
٢- ١٣٢/١ .

حي على الصلاة ، حي على الصلاة

حي على الفلاح ، حي على الفلاح

الله أكبر ، الله أكبر

لا إله إلا الله

قال : ثم إستاخر عني وهو غير بعيد ، ثم قال : وتقول إذا أقمت الصلاة :

الله أكبر ، الله أكبر

أشهد أن لا إله إلا الله

أشهد أن محمد رسول الله

حي على الصلاة ، حي على الصلاة

قد قامت الصلاة ، قد قامت الصلاة

الله أكبر ، الله أكبر

لا إله إلا الله

فلما أصبحت أتيت النبي – صلى الله عليه وسلم – فأخبرته بما رأيت فقال : إنها لرؤيا حق إن شاء الله – فقم مع بلال ، فألق عليه ما رأيت فليؤذن به ، فإنه أندى صوتا منك ، فقمت مع بلال ، فجعلت ألقيه عليه ويؤذن به فسمع ذلك عمر بن الخطاب وهو في بيته فخرج يجر رداءه ، ويقول : والذي بعثك بالحق يا رسول الله لقد رأيتُ مثل ما رأي ، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم : فلله الحمد " انتهت الرواية عن الصحابي الجليل عبد الله بن زيد رضي الله عنه وأرضاه .

هل رأيت أمرا أجل خطرا في حياة الأمة من الأذان والإقامة ، لقد كان هذا في رؤيا ، لكنها وصفت من قبل خاتم النبيين – صلى الله عليه وسلم –

بأنها رؤيا حق ، ومن ثم كان التنفيذ الفوري لها ، إذن فهي رؤيا صحابي ، ولكن النبي – صلى الله عليه وسلم – أقرها ؛ لأنها لم تك إلا رؤيا حق ، ولو كانت غير هذا ، أو كانت من قبيل أضغاث الأحلام وأخلاطها ما التفت إليها رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فضلا عن الأخذ بها .

بعد التقدمة السابقة ندلف إلى التفرقة بين الحُلم والرؤيا في الأحاديث النبوية الشريفة ، نميل إلى المعجم المفهرس [1] لألفاظ الحديث ، بهذا المعجم المهم نستضيء ونستهدي ، ثم حاولنا الرجوع إلى بعض كتب الحديث الأخرى أو كتب السيرة أو غيرها .

ومن كل ما رجعنا إليه من أحاديث نستطيع القول بأننا خرجنا من كل تلك الثروة الحديثية المصطفوية بما يلي :

١- رؤيا الأنبياء وحي : وهو ما ينبغي أن يقال هنا ، وما نص عليه الصحابي الجليل عبيد بن عمير [2] مستدلا بقول نبي الله إبراهيم – عليه السلام – في القرآن الكريم : " إني أرى في المنام أني أذبحك فانظر ماذا ترى ؟ " وانظر إلى رد ابنه إسماعيل : " يا أبت : افعل ما تؤمر [3] . . . " لم يقل يا أبت : افعل ما ترى ، بل استخدم الفعل (تؤمر) ليقينه أن رؤيا أبيه مع أنها كانت في المنام إلا أنها أمر ووحي من السماء إلى والده ، وهكذا رؤيا الأنبياء جميعا ، إذ العبرة بعموم اللفظ ، لا بخصوص السبب والنزول .

١- انظر ١/٥٠٣ – ٥٠٤ .
٢- ابن حجر العسقلاني : فتح الباري بشرح صحيح البخاري ، القاهرة ١٩٩٢ ، جـ ١ ، ص ٤٠٢ .
٣- ١٠٢ الصافات .

أما رؤى الصالحين فهي بشارات ، جاء في الحديث : " ذهبت النبوة وبقيت المبشرات [1] " فهي لا تصل إلى درجة الوحي الذي انقطع بوفاة الرسول الخاتم – صلى الله عليه وسلم – الذي سأله الصحابي الجليل عبادة بن الصامت عن قوله تعالى : " لهم البشرى في الحياة الدنيا ، وفي الآخرة ؟ " قال : هي الرؤيا الصالحة ، يراها المسلم ، أو ترى له " .

ومعنى هذا ما يلي :

أ- لا فرق بين أن يرى المسلم الرؤيا لنفسه أو أن يراها أحد له ، فكلاهما واحد ، المهم من دارت حوله الرؤيا ، لا من رأى .

ب- إنك يا رسول الله لم تنس أمتك حتى وأنت في مرض الموت ، ومن ثم فإن هذا التوقيت بالذات يجعل لما يقول أهمية أكبر وأعظم ، برغم أهمية كل ما قال سيد الخلق ، صلى الله عليه وسلم .

كأنك يا سيدي يا رسول تقول للخلق الذين آمنوا بك بأنك مقبل على ربك سوف تغادرهم ، تترك دنياهم ، ومع هذا فإنه سيبقى شيء من مبشرات النبوة إنها الرؤيا الصالحة .

جـ- لقد نص الحديث على استخدام تعبير (مبشرات النبوة) لم يستخدم لفظة (النبوة) أو (الوحي) فهذا الأخير – كما سبق – انقطع بوفاة الخاتم – صلى الله عليه وسلم – ولم يعد إليه من سبيل ، وفي الرواية الأخرى : " ذهبت النبوة ، وبقيت المبشرات " فأفرد النبوة دون أن يضيفها إلى المبشرات ، وكذا (المبشرات) أفردها عن الإضافة ، أو عن إضافة النبوة لها .

١- ابن ماجة : ١٢٨٣/٢ .

٢- الرؤيا والحُلم : أول ما يطالعنا من الأحاديث المصطفوية : " الرؤيا من الله ، والحُلم من الشيطان [١] " نفس التفرقة التي أومأ إليها القرآن الكريم في سورة يوسف – عليه السلام – على لسان الملك : " يا أيها الملأ : أفتوني في رؤياي ، إن كنتم للرؤيا تعبرون " انظر : لقد استخدم الملك لفظة (الرؤيا) ولكن الملأ من حوله ردوا: "أضغاث أحلام ، وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين " فاستخدم الملأ لفظة (أحلام) مفرد حلم ، ولم يستخدموا (رؤيا) أو جمعها .

وفي رواية أخرى لمسلم [٢] أيضاً : " الرؤيا الصالحة من الله ، والرؤيا السوء من الشيطان " فلفظة الرؤيا وحدها معناه أنها من الله ، وأنها صالحة ، فإن كانت غير ذلك فهي (الحلم) أو (الرؤيا السوء) ولو لم توصف بأنها سوء ما تطابقت مع معنى (الحلم) واتفقت .

وفي بعض الأحاديث تفصيل لما سبق ، مع تحديد أكثر : " والرؤيا ثلاثة" :

- فرؤيا الصالحة بشرى من الله .
- ورؤيا تحزين من الشيطان .
- ورؤيا مما يحدث المرء نفسه " .

هكذا نرى أنواع الرؤيا الثلاث توصف في الحديث ، ولا تُترك عاطلة عن الوصف ، معنى هذا أنها إذا أطلقت انصرفت إلى الصالحة ، أو كما عبر الحديث بوصفها بأنها من الله ، وليس من الشيطان فهذا شأن الحلم .

١- صحيح مسلم : ٣٠٤/٢ .
٢- السابق .

وإذا كانت هذه الرؤيا الصالحة من الله فهي كما عبر سيد الخلق – صلى الله عليه وسلم – في حديث سابق : " من مبشرات النبوة " إنها ليست وحيا – كما قيل قبلا – لانقطاعه بوفاة خاتم النبيين – صلى الله عليه وسلم – وإنما هي تلحق بمبشرات النبوة ، إذ يكفي أنها من الله ، سبحانه وتعالى .

جـ - ففي الترمذي قال سيد الخلق : " إن الرسالة والنبوة قد انقطعت ، فلا رسول بعدي ، ولا نبي " فشق هذا على الناس من صحابته ، فقال : " لكن المبشرات " قالوا يا رسول الله : وما المبشرات ؟ قال : " رؤيا المسلم ، وهي جزء من أجزاء النبوة [1] " .

والنوع الثاني من المنامات ما يحدث المرء نفسه ، ولذا يحققه له ربه وقت النوم ، وهذه أيضا من الله رحمة بالغة ، ورفق كبير وإشفاق على الخلق الذين ربما لا يصبرون حتى يتحقق لهم ما يريدون في واقعهم ويقظتهم .

أما النوع الأخير فهو ما يحاول الشيطان تحقيقه من الهم والحَزَن لابن آدم حتى في نومه،ومن ثم حذر القرآن العظيم من هذا العدو الذي يتربص بنا :

- إن الشيطان كان للإنسان عدوا مبينا [2] .
- إن الشيطان للإنسان عدو مبين [3] .
- الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء [4] .

يقول النبي [5] الأكرم – صلى الله عليه وسلم : " إن للشيطان لمة بابن آدم وللملك لمة ، فأما لمة الشيطان فإيعاد بالشر ، وتكذيب بالحق ، وأما لمة

١- ٥٣٣/٤ .
٢- ٥٣ الإسراء .
٣- ٥ يوسف .
٤- ٢٦٨ البقرة .
٥- الترمذي : ٢١٩/٥ – ٢٢٠ .

الملك فإيعاد بالخير ، وتصديق بالحق ، فمن وجد ذلك فليعلم أنه من الله ، وليحمد الله ، ومن وجد الأخرى فليتعوذ من الشيطان ، ثم قرأ : الشيطان يعدكم الفقر ويأمركم بالفحشاء ، والله يعدكم منه مغفرة وفضلاً " .

واللمة هي ما يقع في القلب بواسطة الشيطان أو الملك ، في المنام أو اليقظة [1] .

على أية حال فإن ابن ماجة [2] يقدم روايتين أخريين للتقسيم الثلاثي للرؤيا : " فبشرى من الله ، وحديث النفس ، وتخويف من الشيطان " والأخرى : " الرؤيا ثلاث : منها أهاويل من الشيطان ليحزن بها ابن آدم ، ومنها ما يهم به الرجل في يقظته ، فيراه في منامه ومنها جزء من ستة وأربعين جزءا من النبوة " وهي التي وصفت قبلا بأنها من مبشرات النبوة .

وبرغم أن الروايات تختلف في عدد أجزاء النبوة ، إذ يذكر بعضها أنها : " جزء من خمسة وأربعين جزءا من النبوة [3] " أو:" جزء من سبعين جزءا من النبوة [4] " نقول برغم هذا كله تشير الأحاديث إلى أن الرؤيا الصالحة جزء من النبوة ، وإن كان هذا الجزء صغيرا أومحدودا.

فليس المقصود بالعدد حقيقته ، بحيث لا يزيد ، ولا ينقص ، وإنما القصد الكثرة والتعدد ، تماما كما قال ربنا : " استغفر لهم أولا تستغفر لهم ، إن تستغفر لهم سبعين مرة فلن يغفر الله لهم [5] " فهل معنى هذا أن نبي الله لو

١- السابق .
٢- ١٢٨٥/٢ .
٣- مسلم : ٣٠٥/٢ .
٤- السابق ٣٠٦/٢ .
٥- ٨٠ التوبة .

استغفر لهم إحدى وسبعين مرة أو أكثر فإن الله سيغفر لهم ؟ كلا . . . إنما المعنى مهما استغفرت لهؤلاء القوم فإن ربك لن يغفر لهم .

وكذلكم الشأن في قول المولى – جل في علاه : " ولو أنما في الأرض من شجرة أقلام ، والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله [١] " فهل هذي الأبحر لو زادت عن السبعة نفدت كلمات الله ؟ كلا . . . إذ القصد مهما كانت هاتيك البحار كثرة واتساعا فإنها لن تكفي لكتابة كلمات رب العزة .

وهذا الاستخدام للأرقام والأعداد لا يزال يستخدمه الناس إلى الآن ، فقد يقول أحدهم مثلا : (حاولت مائة مرة أو خمسين مرة ، أو عشرين وقد يكون حاول ثلاث مرات ، أو أربعا ، ليس إلا ، ولكن الاستخدام العربي ليس هكذا في جميع الأحوال ، ففي قول الله تعالى : " فمن لم يجد فصيام ثلاثة أيام ، وسبعة إذا رجعتم ، تلك عشرة كاملة [٢] - فمن لم يجد فصيام شهرين متتابعين من قبل أن يتماسا ، فمن لم يستطع فإطعام ستين [٣] مسكينا " فهذي كلها أعداد وأرقام محددة – بكسر الدال الأولى وفتحها – بدقة ، لا شية فيها ولا ريب .

٣- علامات الرؤيا الصادقة : أول علامات الرؤيا الصادقة صدق الحديث في اليقظة ، فإذا المرء كان غير صادق مع الناس فلن يكون صادقا مع الله ، ولن يكون أمينا على مبشرات النبوة ، فضلا عن جزء ولو صغير جدا من النبوة ، ويضيف سيد الخلق شرطا آخر لصدق الرؤيا ، هو

١- ٢٧ لقمان .
٢- ١٩٦ البقرة .
٣- ٤ المجادلة .

اقتراب الزمان ، أي من نهايته ، جاء في مسلم : " إذا اقترب الزمان لم تكد رؤيا المسلم تكذب ، وأصدقكم رؤيا أصدقكم حديثا [١] " .

ويلاحظ في الحديث أن المصطفى – صلى الله عليه وسلم – يستخدم لفظة (الرؤيا) وليس الحلم ، إذ الرؤيا الصادقة هي كما جاء في حديث آخر : " رؤيا المسلم يراها أو ترى له [٢] " أو كما سبق في حديث ابن ماجة : " الرؤيا الصالحة يراها المسلم ، أو ترى له " ومعنى هذا أن المسلم إن كان موضع الرؤيا فهذا من علامات الرؤيا الصالحة والصادقة ، التي تكون للمسلم هو نفسه من رآها ، أو غيره رآها له .

على أية حال فإن الإسلام إذا كان يفرض الصدق في كلام اليقظة فإن الأمر ليمتد من حديث الأيقاظ إلى الرقود ، والنيام أيضا ، جاء في الحديث الشريف التحذير المشدد من الكذب في حديث المنامات : " من تحلم حلما كاذبا كلف أن يعقد بين شعرتين ، ويعذب على ذلك [٣] " .

من تحلّم حلما كاذبا ، أي من ادعى كاذبا حلما لم يره كلف بأن يعقد بين حبلين ، بين فتلتين ؟ كلا ، بين شعرتين ، ثم يعذب بعد ذلك على هذا الكذب ، برغم أنه كان مناما ، ليس يقظة ، هكذا قيم الإسلام ، صدق في اليقظة والمنام أيضا .

آخر ما يمكن أن يقال في علائم الرؤى الصادقات هنا هو وقت الرؤيا أتكون صادقة في وقت دون آخر ؟ كلا ، كلا ، إن الرؤيا الصادقة يمكن أن تكون في أي وقت من الليل والنهار ، ولذا جاء في الحديث الشريف : " أصدق

١- مسلم : ٣٠٥/٢ .
٢- السابق .
٣- ابن ماجة : ١٢٨٦/٢ .

الرؤيا بالأسحار [1]" إن الملاحظ أن سيد الخلق استخدم اسم التفصيل (أصدق) عن رؤيا الأسحار ، ولم يقصر الصدق على ذياك الوقت بالذات ، فلم يقل : الرؤيا الصادقة بالأسحار ، أو : لا تكون الرؤيا صادقة إلا بالأسحار . . . الخ .

يؤيد هذا ما جاء نصا في صحيح البخاري : "رؤيا النهار مثل رؤيا الليل" فقد تكون صادقة أو غير صادقة بالليل أو بالنهار .

٤- الموقف من المنامات : في الرؤيا الحسنة ينصح الرسول – صلى الله عليه وسلم – بقوله : " فإن رأى رؤيا حسنة فليبشر ، ولا يخبر إلا من يحب [2] " إذن هناك أمران بعد الرؤيا الحسنة ، أولهما أن يبشر الرائي بما رآه ، فهذي إذن من المبشرات ، أو من مبشرات النبوة . والثاني لا يخبر إلا من يحب فقط ، فإن الكاره الشانئ يمكن أن يعبر المنام بغير المرضى والصح ، إما لحسده أو جهله ، إذ ربما يغش في تفسير المنام .

على أية حال فإن الرؤيا الحسنة لا مشكلة فيها ، إنما المشكلة الكبرى في الرؤيا السوء التي يكرهها الإنسان ، فماذا نصنع في هذه الحالة ؟ عن أبي سلمة- رضي الله عنه- قال : كنت أرى الرؤيا أعرق منها ، غير أني لا أُزمل[3] حتى لقيت أبا قتادة ، فذكرت ذلك له ، فقال سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول : " فإذا حلم أحدكم حلما يكرهه " ماذا يصنع ؟ :

- فلينفث عن يساره ثلاث .

١- الترمذي ٥٣٤/٤ ، وسنن الدارمي : ١٦٩/٢ .
٢- مسلم ٣٠٥/٢ .
٣- ألف كما يلف ويغطي المحموم حتى يشعر بشيء من الدفء أو يعرق ، أي يحدث له هذا العرق دون أن يتغطى كما يفعل المصاب بالحمى ، انظر : مسلم ٣٠٥/٢ .

- وليتعوذ بالله من شرها ، فإنها لا تضره .

وفي رواية أخرى :

- فليبصق عن يساره حين يهب من نومه ثلاث مرات .
- وليتحول عن جنبه الذي كان عليه .

وفي رواية : " فمن رأي رؤيا فكره منها شيئا " فعليه :

- وليتعوذ بالله من الشيطان ، لا تضره .
- ولا يخبر بها أحدا [1] .

وجاء أعرابي إلى الرسول – صلى الله عليه وسلم – فقال : يا رسول الله رأيت في المنام كأن رأسي ضرب فتدحرج ، فاشتددت على إثره ، فقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – للأعرابي :

- لا تحدث الناس بتلعب الشيطان بك في منامك .

ولا يكتفي الرسول بما سبق من حديث للأعرابي ، بل يقوم للناس خطيبا كما يقول الصحابي الجليل جابر – رضي الله عنه – راوي الحديث السابق ، ليقول :

- لا يحدث أحدكم بتلعب الشيطان به في منامه .

فكان الخطاب والنصح عاما للأمة ، وليس لهذا الأعرابي الذي رفع شكاته إلى سيد الخلق من هذا المنام المقلق .

نعود مرة أخرى إلى الرؤية الحسنة التي تعجب الإنسان وترضيه ، يقول سيد الخلق : " فإن رأى أحدكم رؤيا تعجبه فليقص ، إن شاء " فلك – أيها

١ـ لأنه إذا أخبر بها أحدا فإنها ربما تقع فيتضرر الرائي بها .

الرائي – إن رأيت ما يعجبك أن تقص رؤياك أو لا تقصها ، أما إن كانت الأخرى ، أي : " وإن كان شيء يكرهه " فماذا يفعل ؟ هناك نصيحتان :

- فلا يقصه على أحد .
- وليقم يصلي .

آخر الأحاديث هنا عن هدي سيد الخلق عندما يرى أحدنا ما يكرهه :

- إذا رأى أحدكم رؤيا يكرهها فليتحول [١] .
- وليسأل الله من خيرها .
- وليتعوذ من شرها [٢] .

هذا هدى سيدي رسول الله في رد الفعل المطلوب عندما يرى المرء ما يكره من المنامات ، هذا الهدى الناصح الذي يمكن إجماله فيما يلي : (أن يبصق عن يساره حين يستيقظ ثلاث مرات – أن يغير وضع نومه الذي كان عليه ساعة الحلم – يقوم إلى الصلاة – يسأل الله من خير ما رآه ويستعيذ من شره – لا يقص ما رأى على أحد) .

فإذا رأى الإنسان ما يكرهه فلا ينبغي أن يركبه الهم والحزَن ؛ لأن هذا ربما يربك مسيرة الحياة وينغص على الإنسان يقظته والمنام ، وتجنبا لكل ما سبق كان الهدي المحمدي الذي فصلناه وأجملناه قبلا .

ومما يشار إليه هنا أنني رأيت ما كرهته مرة في منامي إلا أنني رأيت كأن إنسانا يلفت انتباهي إلى مصحف كان قريبا من الوسادة ، فوضعت يدي

١- في الرواية السابقة : " وليتحول عن جنبه الذي كان عليه " أي فليغير من وضع جسمه عندما رأى ما أهمه وكرهه إلى وضع آخر .

٢- أخذنا هاتيك الأحاديث عن هديه – صلى الله عليه وسلم – عندما يرى المرء في منامه ما يكره ، من صحيح مسلم وسنن ابن ماجة ، ففي الأول انظر : ٢/٢٠٤ ، ٢٠٧ ، وفي الثاني ٢/١٢٨٥ – ١٢٨٦ .

عليه فانصرف عني هذا الكابوس ، ومن يومها وأنا حريص على وضع مصحف قريب مني وعلى وسادتي ، فما رأي القارئ في هذا الاقتراح ؟ .

٥- من يعبر الرؤى ؟ : إذا كانت رؤيا الأنبياء وحي فإن أولى الناس بتفسير كل هذا هم الأنبياء – عليهم السلام – فلقد رأينا قبلا أن كل ما جاء في القرآن الكريم من منامات لم يفسرها غير أنبياء الله ورسله – عليهم وعلى نبينا أفضل الصلوات – وهذا ما كان يفعله سيد الأولين والآخرين ، لقد قال للصحب الكرام – رضي الله عنهم أجمعين : " من رأى منكم رؤيا فليقصها أعبرها له [١] " .

وفي رواية : إذا صلى الصبح أقبل عليهم بوجهه ، فقال : " هل أحد رأى منكم البارحة رؤيا [٢] ؟ " ففي سنن ابن ماجة [٣] أن أم الفضل قالت : يا رسول ، رأيت كأن في بيتي عضوا من أعضائك ؟ قال : " خيرا رأيت ، تلد فاطمة غلاما ، فترضعيه " فولدت فاطمة الحسين فأرضعته بلبن قُثَم ، قالت أم الفضل : فجئت به إلى النبي فوضعته في حِجره فبال ، فضربت كتفه ، فقال النبي : " أوجعت ابني [٤] ، رحمك الله " .

ويمكن أن يسمح النبي لمن في حضرته أن يعبر الرؤيا أمامه ، فإن أقر ما قيل كان الإقرار كالتصريح ، والتأويل بنفسه ، وهذا محض مثال على المقال الذي ذكرنا الآن :

١- مسلم ٢/٣٠٩ .
٢- السابق ٢/٢١٠ .
٣- ٢/١٢٩٣ .
٤- قال هذا لمن ضربت كتفه ، وهو طفل صغير لا يدري من أمر الدنيا شيئا ، فما بالنا بمن قتله أمام أبنائه وأهله ونسائه ، أو بمن اتهم بوضع السم لأخيه ، وما لنا بقوم يدافعون عن الظالمين بكل قوة وإخلاص .

عن ابن عباس : كان يحدث أن رجلا أتى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال : يا رسول الله ، إني رأيت الليلة في المنام ظلة تنطِف [1] السمن والعسل ، فرأيت الناس يتكففون [2] منها بأيديهم ، المستكثر [3] والمستقل ، وأرى سببا واصلا من السماء إلى الأرض ، فأراك أخذت به فعلوت ، ثم أخذ به رجل من بعدك فعلا ، ثم أخذ به رجل آخر فعلا ، ثم أخذ به رجل آخر فانقطع به ثم وصل له فعلا ، ثم أخذ به رجل آخر فعلا ، ثم أخذ به رجل آخر فانقطع به ، ثم وصل له فعلا .

فقال أبو بكر : يا رسول بأبي أنت وأمي – لتدعني فأعبرنها ، قال : اعبرها ، قال أبو بكر : أما الظلة فهي ظلة الإسلام ، وأما الذي ينطف من السمن والعسل فالقرآن ، حلاوته ولينه ، وأما ما يتكفف الناس من ذلك فالمستكثر من القرآن والمستقل ، وأما السبب الواصل من السماء إلى الأرض فالحق الذي أنت عليه ، تأخذ به فيعطيك الله به ، ثم يأخذ به رجل من بعدك فيعلو به ، ثم يأخذ به رجل آخر فيعلو به ، ثم يأخذ به رجل آخر فينقطع به ، ثم يوصل له فيعلو به .

فأخبرني يا رسول الله – بأبي أنت وأمي – هل أصبت أم أخطأت ؟ قال رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أصبت بعضا وأخطأت بعضا ، قال أبو بكر : فو الله يا رسول الله لتحدثني ما الذي أخطأت ، قال : " لا تقسم " ولم يبر

١- الفعل نطف ينطِف ، بفتح الطاء في الماضي وكسرها في المضارع بمعنى قطر يقطر ، أي سال يسيل ، تقول : جَهد حتى نطف عرَقه ، ونطف السحاب أي أمطر ، وليلة نطوف ماطرة ، جاء سيفه ينطِف دما ، أما نطِف بكسر الطاء في الماضي وفتحها في المضارع فإن معناها (فسَدَ) وهكذا فرقت العربية بين المعنيين ، بفتح العين أو كسرها ، انظر في معنى الأفعال السابقة : المعجم الوسيط ٩٦٨/٢ ، ولسان العرب ٢٤٨/١١ وكتاب الأفعال ٢١٨/٣ .

٢- يتكفف الشيء يأخذه بكفه ، انظر المعجم الوسيط ٨٢٤/٢ .

٣- المستكثر : الراغب في الكثير منه والآخذ منه كثيرا ، وعكسه المستقل ، أي الآخذ قليلا ، أو الراغب في قليله ، المعجم الوسيط ٨٠٨/٢ .

قسم أبي بكر لما رآه من المصلحة في ذلك [1] ، وبما أن سيد الخلق لم يصرح بما أخطأ فيه صاحبه فإن من الصعب أن نحاول معرفة الخطأ من الصواب ، ففيهما هنا لا نملك إلا أن نقول : الله ورسوله أعلم .

فمن يعبر الرؤيا بعد سيدي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – من ؟ في البدء علينا أن نرجع إلى هديه – صلى الله عليه وسلم – في أول شيء نفعله وهو الإخبار عما رأيناه في المنام ، إن الهادي يقول لأمته : " . . . ولا يخبر إلا من يحب [2] " أي من يحبنا أو من نحبه ، أي من يحب للناس الخير ، هذا في المنام الحسن ، فما بالنا بالآخر ؟ إن هذا الذي يحب سوف يكون مخلص النصح لنا ، إما أن يعبر لنا رؤيانا أو أن يدل على من يعبرها .

وفي حديث سابق : " الرؤيا على رجل طائر ، ما لم تعبر ، فإن عبرت وقعت " أي : كأنها معلقة بطائر ، هذا مثل ، والمراد لا يستقر قرارها ، أو لا تستقر قرارَها ، حتى تعبر ، وفي نهاية الحديث المذكور يقول الراوي : وأحسبه قال : " لا يقصها إلا على وادّ ، أو ذي رأي " والوادّ اسم فاعل من (وَدّ) والودُ كالحب لفظا ومعنى [3] ، أي لا يقص رؤياه إلا على حبيب أو(ذي رأي) صاحب رأي وعقل ومشورة .

انظر كيف قدم الحديثُ المحبَ الوادَّ على صاحب الرأي ؟ وعلى أية حال فقد جاء في الرواية الأخرى : " ولا يخبر إلا من يحب " مجرد الإخبار لا يكون إلا لمن يحب ، أما أن يقصها فإن هذا لا يكون إلا على (وادّ أو ذي رأي)

١ـ مسلم : ٣٠٨/٢ .
٢ـ السابق ٣٠٥/٢ .
٣ـ ابن ماجة : ١٢٨٨/٢ .

أي أن يقصها بتفاصيلها بالتمام والكمال ، هذا هو الفرق – في رأيي – بين الإخبار باختصار وإجمال ، وبين القص بتفصيل وإسهاب .

وهذه أيضا نصيحة مهمة لنا جميعا في أن نستعين في حياتنا ، منامنا واليقظة ، بذوي المحبة لنا ، وأصحاب الرأي والعقل .

وفي نصيحة أخرى مهمة لسيد الخلق – صلوات ربي وسلامه عليه : " والرؤيا لأول عابر [١] " أي أننا إن وجدنا من يعبرها في أول مرة نقصها فقد انتهى الأمر ، فلا نبقى نرددها على مسامع كل من نراه لنناقش أو لنجادل في عبرها ، والغرض هنا أن لا نعطي الرؤيا أكبر من حجمها في صراع الحياة والواقع المعاش ، حتى لا نستغرق فيها أو تستغرقنا بعيدا عن ميادين العمل الحقيقي المثمر والمغير للسير والمسير .

أما باقي النصح النبوي فهو : " اعتبروها بأسمائها ، وكنوها بكناها [٢] " يقول العلامة محمد فؤاد عبد الباقي محقق سنن ابن ماجة : معنى اعتبروها بأسمائها ، اجعلوا أسماء ما يرى في المنام قياسا ، كأن يرى رجلا يسمى سالما ، فأوله بالسلامة ، أو غانما فأوله بالغنيمة ، أو رأى غرابا فأوله بالرجل الفاسق ، فقد سمى الغراب – في الحديث – فاسقا ، ورأى ضلعا فعبّر بالمرأة لتسميتها – في الحديث – ضلعا ، ونحو ذلك " .

أما (كَنُّوها بكُناها) فالفعل (كَنَّى) عن كذا كناية ، تكلم بما يستدل به ، ولم يصرح ، وقد (كَنَّى) عن كذا بكذا ، فهو (كانٍ) . . . والكناية عن الشيء بما يدل عليه ، والجمع (كُنَى [٣]) .

١- ابن ماجة : ١٢٨٦/٢ .
٢- السابق .
٣- المعجم الوسيط ٨٣٤/٢ .

وقال ابن منظور [1] : " وكُنى الرؤيا هي الأمثال التي يضربها ملك الرؤيا يُكنى بها عن أعيان الأمور ، وفي الحديث : إن للرؤيا كُنى ، ولها أسماء ، فكَنّوها بكناها ، واعتبروها بأسمائها . . . من قولك : كنيت عن الأمر وكنوت عنه ، إذا ورّيت عنه بغيره ، أراد: مثلوا لها أمثالا ، إذا عبرتموها ، وهي التي يضربها ملك الرؤيا للرجل في منامه ؛ لأنه يكنى بها عن أعيان الأمور ، كقولهم في تعبير النخل : إنها رجال ذوو أحساب من العرب ، وفي الجوز : إنها رجال من العجم ، لأن النخل أكثر ما يكون في بلاد العرب ، والجوز أكثر ما يكون في بلاد العجم " .

وفي حديث آخر يوضح سيد الخلق – صلى الله عليه وسلم – ماذا تعني هذه الأشياء في المنام : " اللبن الفطرة ، والسفينة نجاة ، والجمل حزن ، والخضرة جنة ، والمرأة خير [2] " .

ونذكّر هنا بما قال محقق سنن ابن ماجة في معنى : " والرؤيا لأول عابر " إن الرؤيا إذا احتملت تأويلين أو أكثر ، فعبرها من يعرف عبارتها ، وقعت على ما أولها الأول ، وانتفى عنها غيره من التأويل .

آخر ما نذكره من نصحه – صلى الله عليه وسلم – في تعبير الرؤيا أن نؤول ما يراه المسلم على الخير دائما ، وهذي قصة مهمة في هذا الشأن : قالت عائشة – رضي الله عنها : كانت امرأة من أهل المدينة لها زوج يختلف[3] ، فكانت ترى رؤيا كلما غاب عنها زوجها - وقلما يغيب إلا تركها حاملا – فتأتي رسول الله فتقول : إن زوجي خرج تاجرا فتركني حاملا ، فرأيت

١- لسان العرب ٩٩/٢٠ .
٢- سنن الدرامي ١٧٢/٢ .
٣- يغيب عنها .

فيما يرى النائم أن سارية بيتي انكسرت وأني ولدت غلاما أعور ، فقال رسول الله : خير ، يرجع زوجك إليك – إن شاء الله تعالى – صالحا ، وتلدين غلاما برا ، فكانت تراها مرة ، أو مرتين أو ثلاثا .

كل ذلك تأتي رسول الله فيقول ذلك لها ، فيرجع زوجها ، وتلد غلاما ، فجاءت يوما كما كانت تأتيه ، ورسول الله غائب ، وقد رأت تلك الرؤيا ، فقلت عما تسألين الرسول ، يا أمة الله ؟ فقالت رؤيا كنت أراها ، فآتي رسول الله ، فأسأله عنها ، فيقول خيرا ، فيكون كما قال ، فقلت فأخبريني ما هي ؟ قالت : حتى يأتي رسول الله فأعرضها عليه ، كما كنت أعرض ، تقول عائشة : فو الله ما تركتها حتى أخبرتني ، فقلت : والله لئن صدقت رؤياكِ ليموتن زوجك ، وتلدين غلاما فاجرا ، فقعدت تبكي ، فقال رسول الله : " ما لها يا عائشة ؟ " فأخبرته الخبر ، وما تأولت لها ، فقال رسول الله : " مه [1] يا عائشة ، إذا عبرتم المسلم الرؤيا فاعبروها على الخير ، فإن الرؤيا تكون على ما يعبرها صاحبها " تقول عائشة : فمات – والله – زوجها ، وما أراها إلا ولدت غلاما فاجرا [2] .

وهكذا وقعت الرؤيا كما عبرتها السيدة عائشة – رضي الله عنها – مما يشير إلى ضرورة تنفيذ ما أمر به نبي الرحمة – صلى الله عليه وسلم – من وجوب أن تعبر الرؤيا للمسلم دائما على الخير ، مهما كانت مؤشراتها ، لأنها تقع على ما تعبر وتفسر .

١- معناها كُفّي يا عائشة عما فعلتِ ، ولا تعودي إليه مرة أخرى .
٢- سنن الدارمي : ١٧٤١٢ – ١٧٥ .

بقى أن نعلق على نص ابن منظور السالف بأنه إذا كانت الرؤيا من الله ورؤيا الأنبياء وحي ، ورؤيا الصالحين جزء من أجزاء النبوة ، أو هي بقية من مبشرات النبوة فإن من المنطقي بعد ذلك أن يكون لها ملك موكل بها ، أما الأخرى أي الأحلام ورؤى السوء فمن المنطقي أيضا أن تكون من الشيطان لأنه لا يبغي بها إلا أن يتلعب بابن آدم ويدخل عليه الهم والحزن .

أما تخصيص ملك من قبل رب العزة للرؤيا فهو تكريم من الله – تعالى – لهذا المخلوق الذي نزل إلى الأرض لعمارتها وخلافة ربه فيها ، حتى بعد انقطاع الوحي والرسل بقى منها بقية ، وهي الرؤيا الصادقة .

وعندما ارتفعت النبوة عن الناس بقى ورثة الأنبياء ، يقول سيد الخلق – صلى الله عليه وسلم : " وإن العلماء ورثة الأنبياء ، وإن الأنبياء لم يورثوا دينارا ، ولا درهما ، وإنما ورثوا العلم [1] " .

حتى عندما توفى خاتم الرسل والنبيين ما تركنا نضيع ونتيه ، بل كما قال: " وأيم الله ، لقد تركتكم على مثل البيضاء ، ليلها كنهارها سواء [2]" وفي حديث آخر يقول : " يشفع يوم القيامة الأنبياء ، ثم العلماء ، ثم الشهداء " بل قال : " إنه يوزن مداد العلماء بدم الشهداء ، فيرجح مداد العلماء [3] ".

وعندما أحس سيدي رسول الله بدنو أجله قام في الناس خطيبا في ماء خم بين مكة والمدينة ، فحمد الله وأثنى عليه ، ووعظ وذكر ، ثم قال : " إنما أنا بشر ، يوشك أن يأتني رسول ربي فأجيبه ، وإني تارك فيكم الثقلين أحدهما كتاب الله ، فيه الهُدى والنور ، فخذوا بكتاب الله ، واستمسكوا به "

١- الحنبلي : ورثة الأنبياء ، ص ١٤٠ .
٢- ابن ماجة ٤/١ .
٣- السابق ، ص ١٠٤ .

يقول زيد بن أرقم راوي الحديث : فحث على كتاب الله ورغب فيه ، ثم قال : " أهل بيتيّ أذكّركم الله في أهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي ، أذكركم الله في أهل بيتي[1] ".

ما كان سيد الخلق – صلى الله عليه وسلم – ليجاهد منذ بعثته إلى الوفاة من أجل هذا الدين ، ثم يترك الدنيا ليضيع كل هذا الجهد ، ولينقض البناء من بعده ، ولكنه حرص على استمرار المسيرة من بعده ، بل وضع لها كل أسس النجاح وضماناته التي تعصمنا – نحن المسلمين – من الزلل والضياع .

وفي ختم هذه الباقة من الأحاديث العاطرة المعطرة نشير إلى :

٦- من رؤى الرسول الأعظم : والتي قصها على أصحابه – رضي الله عنهم – وعبرها بنفسه ، بل أشار إلى وقوعها على أرض واقع الحال مثل :

أ- في صحيح مسلم [2] : " رأيت في المنام أني أهاجر من مكة إلى أرض بها نخل ، فذهب وهلي إلى أنها اليمامة أو هَجَر ، فإذا هي المدينة ، يثرب " والوهل هو الوهم والاعتقاد ، ولم يكن تعبير الرؤيا صحيحا لأنه كان مجرد وهم أو وهل ، ولم يك وحيا ، إذ لو كان كذلك لما انصرف عن المكان الصحيح الذي رآه سيد الخلق صلى الله عليه وسلم .

١- الطبراني : المعجم الكبير ١٨٣/٥ ، حديث رقم ٥٠٢٨ ، ويقال : إن هذا كان في حجة الوداع قبل موته – صلى الله عليه وسلم – بمائة يوم .
٢- ٣٠٩/٢ .

" ورأيت في رؤياي هذه أنني هززت سيفا فانقطع صدره ، فإذا هو ما أصيب من المؤمنين يوم أحد ، ثم هززته أخرى ، فعاد أحسن ما كان ، فإذا هو ما جاء الله به من الفتح واجتماع المؤمنين [1] " .

ب- " بينا أنا نائم رأيت في يدي سوارين من ذهب فأهمني شأنهما فأوحي إليّ في المنام أن انفخهما ، فنفختهما فطارا ، فأولتهما كذابين يخرجان من بعدي [2]" وفي رواية البخاري[3] :" فقظِعْتهما وكرهتهما فأذن لي فنفختهما فطارا ، فأولتهما كذابين يخرجان " أحدهما الأسود العنسي صاحب صنعاء باليمن ، والآخر مسيلمة الكذاب ، وقد قتل الكذابان كلاهما في حروب الردةِ في عهد أبي بكر رضي الله عنه .

الفعل عَبَرَ : يلاحظ في الأحاديث السابقة أن الرسول – صلى الله عليه وسلم – استخدم الفعل (عبر) مفتوح العين بدون تشديد ، بدليل قوله : " والرؤيا لأول عابر " فاسم الفاعل (عابر) والفعل (عبر) بفتح الباء مخففة غير مشددة ، ولو كانت مشددة (عبَّر) لكان اسم الفاعل (معبر) .

وفي القرآن الكريم : " يا أيها الملأ : أفتوني في رؤياي ، إن كنتم للرؤيا تعبرون " بالتخفيف أيضا ، فهل جاء الفعل – أو صح الفعل – بتشديد عينه ؟ نعم ، ففي المعجم الوسيط [4] : " عبَر الرؤيا عَبْرا وعبارة فسَّرها . . . وعَبَّر الرؤيا فسَّرها " .

١- السابق .
٢- السابق .
٣- ٦٢/٧ ، حديث ٣٨٠٦ .
٤- ٦٠١/٢ .

وفي اللسان [1] : " عبر الرؤيا يعبرها عبرا وعبارة وعبرها فسرها وأخبر بما يئول إليه أمرها . . . وفي الحديث : الرؤيا لأول عابر ، العابر الناظر في الشيء ، والمعتبر المستدل بالشيء على الشيء ، وفي الحديث : للرؤيا كنى وأسماء ، فكنوها بكناها ، واعتبروها بأسمائها ولذا كان ابن سيرين يعتبر الرؤيا بالحديث الشريف ، كما يعتبرها بالقرآن الكريم [2] ، وهذا له تفصيل قادم ، ليس الآن .

إذن فقد استخدم الفعل (عبر) ثلاثي مخفف العين ، إضافة إلى (عبّر) مضعف الوسط ، كما استخدم أيضا الفعل مزيدا بحرفين ،وليس بالتضعيف كما جاء في الحديث (واعتبروها) بزيادة الألف والتاء على أصول الفعل (ع ب ر).

ولكن العربية استخدمت فعلا آخر في ذياك المعنى ، وهو الفعل (أوّل) يؤول ، والمصدر (التأويل) هذا المصدر الذي ورد في التنزيل سبع عشرة مرة ، في ثماني مرات جاء التأويل للرؤى والأحلام ، وليس للأخيرة فقط ، وقد جاءت كلها في سورة يوسف – عليه السلام – وإن كان من الملاحظ أن فعل هذا المصدر – من أي أنواعه الثلاثة – لم يرد في القرآن الكريم مطلقا .

وقد بدا لي في آية : " وقال الملك . . . يا أيها الملأ : أفتوني في رؤياي إن كنتم للرؤيا تعبرون "مقارنة بالتي تليها : " قالوا : أضغاث أحلام ، وما نحن بتأويل الأحلام بعالمين [3] " بدا لي أن التأويل خاص بالأحلام ، و (العَبْر) أو (التعبير) خاص بالرؤيا ، لأن التفرقة مرتبطة بما رآه هذا الملك ، أو في هذا الموضع فقط ، أما المواضع الأخرى التي وردت فيه لفظة (التأويل) فقد

١ـ ٢٠٣/٦ ، ٢٠٤ .
٢ـ السابق بتصرف .
٣ـ ٤٤ يوسف .

انصرف إلى الأحلام والرؤى كليهما ، خاصة الأخيرة ، بل على نفس ما رآه ملك مصر ، كيف ؟ .

عندما نسمع أحد الفتيين صاحبي السجن عن حيرة الملك مما رآه قال : " أنا أنبئكم بتأويله فارسلون " أي بتأويل هذا الحلم أو المنام ، ولكن آية أخرى تصرح بلفظة (الرؤيا) مضافة إلى التأويل ، وعلى لسان يوسف – عليه السلام - : " وقال : يا أبت ، هذا تأويل رؤياي من قبل قد جعلها ربي حقا[1] " فقد جاء التأويل هنا للرؤيا وليس للحلم فقط .

وفي الأحاديث الشريفة استخدم ذات الفعل السابق ، ومع الرؤيا ، بل مع رؤياه – صلى الله عليه وسلم – مثل :

- " رأيت في يدي سوارين من ذهب ، فنفختهما ، فأولتهما هذين الكذابين ، مسيلمة والعنسي [2] " .
- " رأيت امرأة سوداء ثائرة الرأس خرجت من المدينة حتى قامت بالمَهْيَعة ، وهي الجُحْفة ، فأولتها وباءً بالمدينة ، فنقل إلى الجحفة[3] ".

وهنا نرى سيد الخلائق – صلى الله عليه وسلم – قد استخدم الفعل (أوّل) وليس (عبر) مخففة الباء أو مشددة .

فما معنى هذا الفعل (أوّل) ؟ قال ابن منظور [4] : " أوّل الكلام وتأوله دبّره وقدّره ، وأوّله وتأوله فسره . . . وفي حديث ابن عباس : اللهم فقهه في

١- ١٠٠ يوسف .
٢- ابن ماجة : ١٢٩٣/٢ .
٣- السابق .
٤- ٣٤/١٣ .

الدين ، وعلمه التأويل ، وهو من آل يئول إلى كذا ، أي رجع وصار إليه والمراد بالتأويل نقل ظاهر اللفظ عن وضعه الأصلي إلى ما يحتاج إلى دليل لولاه ما تُرك ظاهر اللفظ . . . التأويل والتفسير واحد " .

وعليه فإن تأويل الحلم أو الرؤيا نقل ظاهر اللفظ فيهما عن وضعه الأصلي إلى ما يحتاج إلى دليل وترك ظاهر اللفظ ، فالفعل أوّل هنا هو بمعنى فسَّر والمصدر التأويل أي التفسير ، هذا اللفظ هو ما يشيع الآن استخدامه فيقال دائما (تفسير الأحلام) فهذه اللفظة الأخيرة الأكثر شيوعا من (الرؤيا – الرؤى) ولذا أخذنا بالكلمتين الأوليين في عنوان الدراسة ، حيث قلنا : التراث العربي في كتب تفسير الأحلام .

وبما أننا ذكرنا العنوان هنا فإنه يحسن بنا أن نشير إلى أن المقصود ليس عروبة العنصر والأرومة – مع طيب هذا العنصر وخيرية هاتيك الأرومة – وإنما القصد اللغة واللسان ، ففي الحديث الشريف : " وإن العربية ليست لأحدكم بأب ولا أم ، وإنما هي لسان ، فمن تكلم بالعربية فهو عربي [1] " .

فالذي يتكلم بالعربية ويكتب بها هو الموصوف بأنه عربي ، بصرف النظر عن جنسه أو أصله وفصله ، فالإمام ابن سيرين – مثلا – وهو أشهر مفسري الأحلام ليس بين العرب ، بل بين العالمين ، لا يمكن أن يشكك أحد في عروبته لأنه كان مولى ، أو لم يعش في جزيرة العرب ، وليس من أبناء العرب لحما ودما ونسبا ؛ لأنه كان يتكلم بلغة العرب ، وهاك شيئا من معلومات عن حياته :

---

١ - ابن تيمية : اقتضاء الصراط المستقيم ، ص ١٥٢ .

محمد بن سيرين البصري ، كنيته أبو بكر ، من التابعين ، لم ير الرسول – صلى الله عليه وسلم – وإنما رأى أصحابه فقط ، توفى بالبصرة ، ت ١١٠ هـ " صنف جوامع التعبير في الرؤيا [١] " .

وكان أبوه سيرين مولى الصحابي الجليل أنس بن مالك – رضي الله عنهما – أصله من أهل (جرجرايا) من أعمال النهروان ، بين واسط وبغداد من الجانب الشرقي ، خرج منها جماعة من العلماء والشعراء ، وكان يحترف صناعة قدور النحاس ، وعندما جاء إلى عين التمر – بلدة قريبة من الأنبار غربي الكوفة – سباه خالد بن الوليد [٢] .

ولكن الصحابي الجليل كاتب مولاه ، ومما جاء في هذه المكاتبة : " هذا ما كاتب عليه أنس بن مالك فتاه شيرون – اسمه السابق – على كذا وكذا ألف وعلى غلامين يعملان عمله [٣] . . . " .

والمكاتبة عقد بين العبد وسيده على ثمن معين – مال أو عمل – يقدمه الفتى إلى سيده ليفوز بحريته ، قال تعالى : " والذين يبتغون الكتاب مما ملكت أيمانكم فكاتبوهم – إن علمتم فيهم خيرا – وآتوهم من مال الله الذي آتاكم [٤] " وقال سيد البشر – صلى الله عليه وسلم : " ثلاثة حق على الله عونهم ، الناكح يريد العفاف ، والمكاتب يريد الأداء ، والغازي في سبيل [٥] " .

على أية حال فإن هذا الرجل لم يك مولى فقط ، بل كانت أمه كذلك ، فمن هذه الأم العظيمة التي أنجبت هذا الرجل العظيم ؟ اسمها صفية ، كان مولاة

١- البغدادي ، إسماعيل باشا : هدية العارفين – ٧/٦ .
٢- ابن الجوزي : صفوة الصفوة ٣ ٢٤١١ .
٣- السابق .
٤- ٣٣ النور .
٥- ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ، ٢٨٧/٣ .

أبي بكر الصديق – رضي الله عنهما – حضر إملاكها – بيعها لمولاها – ثمانية عشر ممن شهد بدرا ، منهم أبي بن كعب – رضي الله عنه – يدعو ، وهم يؤمّنون [1] .

أية حضارة تلك التي ترفع مقام الموالي والعبيد إلى درجة تجعلهم أحيانا فوق ساداتهم الحاضرين أو السابقين !! فقط حضارة الإسلام هي التي تفعل هذا ، ليس ابن سيرين فقط الذي جاء مع السبي ، بل غيره كثيرون ، من هؤلاء السبي ، جاءوا أطفالا صغارا ، ثم تبوءوا أعلى الدرجات في المجتمع العربي الإسلامي ، الذي سعد بتلك الحضارة التي كانت عربية اللغة واللسان إسلامية العقيدة والبنيان .

أما هذا المثل الذي نشير إليه هنا من السبي فهو الإمام نافع بن أبي نعيم قارئ المدينة المنورة (ت ١٦٩ هـ) الذي جاء من سبى [2] أصبهان التي تقع جنوب الحاضرة طهران ، جاء إلى المدينة طفلا صغيرا ، وما لبث أن أصبح من أشهر القراء السبعة في مدينة الرسول – صلى الله عليه وسلم – يتزاحم عليه أبناء الأنصار والمهاجرين ليقرءوا عليه ، بل كان يأتيه الناس من شتى الأقطار للقراءة عليه خاصة [3] .

نعود مرة أخرى إلى ابن سيرين الذي توفى بعد الحسن البصري – رضي الله عنهما – بمائة يوم ، وقد عمّر الأول فوق الثمانين سنة [4] .

١- ابن الجوزي : صفوة الصفوة ٢٤٢/٣ .
٢- لا يكون السبي إلا للطفل والمرأة ، أما الأسر فهو للرجال فقط خاصة المحاربين .
٣- أبو الخير : قراءة أهل المدينة ، ماجستير بكلية دار العلوم ١٩٧٧ ، ص ٦٥ .
٤- ابن الجوزي : السابق ٢٤٨/٣ .

وبعد ترجمة ابن سيرين العابر الأشهر للرؤى في عالم العرب والعجم فإنا نعود سراعا إلى عنوان الدراسة في ختمه ونهايته ، هي – كما عنونا – دراسة في اللغة والثقافة والحضارة ،ونبدأ بالأولى ونثني بما بعدها على هذا الترتيب:

أولا : اللغة :-

فما الذي يمكن أن يقال هنا ، أي ما موقع اللغة في عملية الرؤى وما دخلها في المنام ؟ إن هذا لبشير إلى أن عملية اللغة إن هي إلا عملية مستمرة في المنام وفي اليقظة على السواء والدوام ، وأن هاتيك اللغة لا تفارقنا على مدى الأربع والعشرين ساعة،من يومنا وليلنا، ناهيك عن دورها في تعبير رؤانا والمنامات .

وما نراه في النوم لهو دليل أكيد على وجود شيء فوق المادة ، هذا الشيء لا يفسره – في رأيي – إلا اليقين بوجود الخالق الأعظم الذي يعطي الإنسان القدرة على أن يعي ما يحدث في نومه برغم تعطل كثير من الحواس عن العمل ، خاصة الأسماع والأبصار .

إن هذا كله – في نظري – دليل مقنع لمن كان له قلب (عقل) أو ألقى السمع وهو شهيد [1] ، وإلا فكيف تفسر لي عزيزي القارئ كيف يسمع النائم ويرى ويتذكر كل هذا بعد نهوضه من نومه ، وكيف يأتيك إنسان آخر من مكان بعيد عن فراشك ، وربما يكون في دولة بعيدة كل البعد عن مكان نومك ؟ بل وانظروا – قارئي الأكارم – كيف يأتي الأموات إلي الأحياء يقولون لهم ما يقولون ، ثم نجد أن ما يقال صحيح ؟ .

١- هذا التعبير مقتبس من الذكر الحكيم : " إن في ذلك لذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع ، وهو شهيد " ٣٧ ق .

وكل منا لابد مر بهذه التجربة ، فعندما كنت في الحاضرة الأكرانية كييف رأيت ابني الأصغر في المنام ، يقول لي : " خالك يقول لك : إن هيئة التليفونات قد وافقت على التليفون الثاني تعالى لتركبه " وبالفعل كنت قد قدمت قبل سفري طلبا لتركيب هاتف آخر في منزلي .

وعندما سعيت إلى إحدى الوظائف وضع أولاد الحلال أمامي عقبة كئود ، ولكن بعد شهور جاءني أحد مشايخ الأزهر المرموقين ، والذي كنت اجله من القلب ليقول لي في المنام : " سوف يوافق القوم على الوظيفة ، ولكن لا تترك الحق " فكيف نتصور أن يأتي هذا الرجل بعد وفاته ليخبرني بشيء لا يخصه ، ثم يتحقق ما يقول ، برغم أنه في قد انتقل إلى دار الحق .

على أية حال فالنوم – كما عبرت الأحاديث – أخو الموت : " قيل : يا رسول الله ، أينام أهل الجنة ، قال : لا ، النوم أخو الموت ، وأهل الجنة لا يموتون ولا ينامون [1] فالنوم هو مقدمة للموت ، أو هو تجربة في حياة المرء يجب النظر إليها ، والاعتبار بها .

وقد أشار الإمام الغزالي في الإحياء إلى تلكم الحقيقة ، مما نحاول تلخيصه فيما يلي :

١- لما كانت الغشاوة منقشعة عن أعين الأنبياء – عليهم السلام – فلا جرم نظروا إلى الملكوت ، وشاهدوا عجائبه ، ومن الممكن لأمثالنا أن يحظوا بمشاهدة أخرى ضعيفة ، إلا أنها أيضا مشاهدة نبوية ، وهي المشاهدة في المنام ، وهي من أنوار النبوة ، فالرؤيا الصادقة – كما سلف – جزء من النبوة .

١- العجلوني : مرجع سابق ، ٣٢٩/٢ .

٢- إن الرؤيا انكشاف لا يحصل إلا بانقشاع الغشاوة عن القلب ، فلذلك لا يوثق إلا برؤيا الرجل الصالح الصادق ، ومن كثر كذبه لم تصدق رؤياه ، ومن كثر فساده ومعاصيه أظلم قلبه ، فكان ما يراه أضغاث أحلام ، ولذا أمر رسول الله – صلى الله عليه وسلم – بالطهارة عند النوم لينام المسلم طاهرا ، وهو إشارة إلى طهارة الباطن إذ هي الأصل وطهارة الظاهر تتمه وتكملة للأولى ، وعندما يصفو الباطن ينكشف في القلب ما سيكون في المستقبل .

٣- قلما يخلو المرء من منامات دلت على أمور فوجدها صحيحة ، والرؤيا ومعرفة الغيب في النوم من عجائب صنع الله ، وبدائع فطرة الإنسان ، وهو من أوضح الأدلة على عالم الغيب والملكوت ، وعلى وجود الله ولكن الخلق غافلون عنه غفلتهم عن سائر عجائب العالم .

٤- ففي النوم تركد الحواس فلا تورد شيئا على القلب ، فإذا فرغ القلب وتخلص من الشواغل ومن إشارات الحواس ، وكان هذا القلب صافيا في جوهره ، ارتفع الحجاب بينه وبين اللوح المحفوظ ، فوقع في قلبه شيء مما في اللوح ، كما تقع الصورة على المرآة إذا غاب الحاجز بينهما ، غير أن النوم يمنع عامة الحواس من العمل ، بيد انه لا يمنع الخيال عن عمله وعن تحركه ، فما يقع في القلب يلتقطه الخيال فيحاكيه بمثال يقاربه ، وتكون المتخيلات أثبت في الحفظ من غيرها ، فإذا استيقظ المرء لم يتذكر إلا الخيال ، فيحتاج المعبر أو العابر إلى هذا الخيال .

٥- ويعطي الإمام الغزالي مثالا على ما سبق ، لقد جاء رجل إلى ابن سيرين قائلا : " رأيت كان بيدي خاتما أختم به أفواه الرجال " فقال : " أنت مؤذن تؤذن قبل الصبح في رمضان " قال الرائي : صدقت لقد فهم ابن سيرين أن الخاتم يعني المنع ، فإن كان على الأفواه كان هذا منعا لهم من الأكل والشرب ، وما لا يكون إلا من طريق الفم .

٦- ويخلص صاحب الإحياء إلى أن : " علم الرؤيا لا تنقضي عجائبه وكيف لا ، وهو اخو الموت ، وإنما الموت عجب من العجائب ، والمنام يشبهه من جهة كشف الغطاء عن عالم الغيب ، حتى صار النائم يعرف ماذا سكون في المستقبل ، فماذا ترى في الموت الذي يخرق الحجاب ويكشف الغطاء بالكلية[1] " قال تعالى : لقد كنت في غفلة من هذا فكشفنا عنك غطاءك فبصرك اليوم حديد " .

ننتقل الآن إلى التراث العربي في كتب تفسير الأحلام ، كيف تُدرس اللغة في ذياك التراث ؟ رأينا أننا أمام نوعين من الكتب ، الأول يستخدم نظرية الحقول الدلالية ، والثاني يحتاج إلى دراسة معجمية ، كيف ؟ .

١- الحقول الدلالية : إن صناعة المعجم العربي بدأت بجمع (اللغة) أي الألفاظ ومعانيها من أفواه البدو ، وجاءت المرحلة الثانية من هذا العمل حيث حاول اللغويون العرب إدخال ما جمعوه إلى الكتب والمعاجم ، ومن ثم بدأوا

١- وفي كتاب الروح لابن القيم : وأما قوله تعالى : " الله يتوفى الأنفس حين موتها ، والتي لم تمت في منامها ، فيمسك التي قضى عليها الموت ، ويرسل الأخرى إلى أجل مسمى " فإمساكه – سبحانه وتعالى – التي قضى عليها لا ينافي ردها إلى جسدها الميت في وقت ما ردا عارضا ، لا يوجب له الحياة المعهودة في الدنيا ويضيف ابن القيم : وإذا كانت روح النائم في جسده ، وهو حي ، وحياته غير حياة المستيقظ ، فإن النوم شقيق الموت ، فهكذا الميت إذا أعيدت روحه إلى جسده كانت حال متوسطة بين الحي وبين الميت الذي لم ترد روحه إلى بدنه كحال النائم المتوسطة بين الحي والميت .

بما يسمى كتب الموضوعات ، أي وضع الألفاظ التي تنتمي إلى موضوع ما في كتاب واحد بعينه ، مثل [1] :

- كتاب الحشرات لأبي خيرة الأعرابي ، الذي روى عنه أبو عمرو ابن العلاء (ت ١٥٤ هـ) .
- كتاب النحل والعسل لأبي عمرو الشيباني (ت ٢٠٦ هـ) .
- كتاب الوحوش للأصمعي ، عبد الله بن قريب (ت ٢١٦ هـ [2]).

أمثال هاتيك الكتب كانت اللبنة الأولى في نظرية الحقول الدلالية ، أو المجالات الدلالية والتي تعني :

- الوحدة المعجمية عضو في حقل دلالي واحد ، لا أكثر .
- الوحدة المعجمية لابد لها من حقل لغوي تنتمي إليه .

وبرغم هذا فإن النظرية لم تغفل مبدأين مهمين :

- دور السياق في معنى الكلمة ، وربما في تغيير مجالها .
- ومن ثم فإن المحال أن تدرس اللفظة بعيدا عن تركيبها ، خاصة النحوي [3] .

وبذا تحاول هذه النظرية وضع كل مفردة من مفردات اللغة في حقل دلالي معين مسمى ، مثل : (الركوع – السجود – التشهد) هي في حقل دلالي هو (الصلاة) ومثل :(الطواف – السعي – الصفا – المروة) في حقل: (الحج) وكذلكم : (الجمع – الطرح – القسمة – الضرب) في (الحساب) وهكذا .

١ـ حيدر ، د. فريد : علم الدلالة ، دراسة نظرية وتطبيقية ، ص ١٧٧ .
٢ـ عبد التواب ، د. رمضان : فصول في فقه اللغة ، ص ٢٣١ .
٣ـ حيدر : مرجع سابق ص ١٧٥ .

فماذا عن هذي النظرية في كتب تفسير الأحلام أو ما صلتها بتلك الكتب ؟ الرأي أن ابن سيرين (ت ١١٠ هـ) رحمه الله ، قد طبق مبادئ هذي النظرية الدلالية منذ وقت مبكر جدا ، لعله يصل إلى القرن الأول الهجري كيف ؟ لقد قسم الرجل كتابه (منتخب الكلام في تفسير الأحلام) إلى تسعة وخمسين بابا ، هي في عامتها تسير وفق هذه النظرية ، فكل باب من تيك الأبواب هو حقل دلالي قائم بذاته من تلكم الأبواب :

- رؤيا الأنبياء والمرسلين عموما ، ورؤيا محمد ـ صلى الله عليه وسلم ـ خصوصا : إنه مجال دلالي واحد ، هو النبوة أو الأنبياء .
- في تأويل رؤيا الحج والعمرة والحجر الأسود والمقام وزمزم . . . الخ ، المجال هو الحج ، أو العمرة .
- في تأويل رؤيا الموت والأموات والمقابر والأكفان وما يتصل به . . . الخ : المجال هو الموت .
- في الجنة وخزنتها وحورها وقصورها وأنهارها وثمارها : المجال الجنة ، كما هو ظاهر .

وننتقل من هذي الأمثلة من كتاب ابن سيرين إلى كتاب آخر استخدم نفس الأسلوب ، وذات النظرية ، إنه كتاب : (الإشارات في علم العبارات) لمؤلفه خليل بن شاهين ، فمن هو هذا الرجل ؟ إنه غرس الدين الظاهري المصري لكنه توفى بطرابلس [1] سنة ٨٩٣ هـ ، يقول إسماعيل باشا البغدادي [2] : " له من الكتب الإشارات إلى علم العبارات ، في التعبير ، مطبوع مجلد ، الدرة

١ـ تقع الآن على الساحل اللبناني ، أقصى الشمال منه .
٢ـ هدية العارفين ، أسماء المؤلفين وآثار المصنفين ، من كشف الظنون ، دار الفكر ، ١٩٨٢ ، ٣٥٣/٥ .

المضية في السير المرضية ، ديوان شعر ، زبدة كشف الممالك في بيان الطرق والمسالك في فضائل مصر ، الصفوة في تلخيص الزبدة ، الكوكب المنير في أصول التعبير ، المنيف في الإنشاء الشريف ، المواهب في اختلاف المذاهب".

ونخص كتابه في فضائل مصر بكليمة قصيرة ، اسم الكتاب : زبدة كشف الممالك في بيان الطرق والمسالك ، في فضائل مصر وأعمالها وتعظيم سلطانها وأمرائها ، وهي على اثنى عشر بابا ، اختصرها من كتابه المسمى : بكشف الممالك ، أولها : الحمد لله بارئ القسم . . . الخ ، قال : " أودع فيها من نفائس الجواهر ما يعجز عن وصفه الناظم والناثر ، وفي خلالها ذكر تواريخ ونوادر ، فلخصت المقصود منه ، وهو محاسن أحوال المملكة ، وخواصها ، معرضا عن ذكر التاريخ والنوادر " ثم لخصها بعض العلماء ، وسماها الصفوة .

وقد جاءت هذه الاستطرادة عن فضائل مصر لبعض القراء الذين ربما لا يعرفون ذيّاك الكتاب ، أو ربما لم يسمعوا عنه أصلا ، وعلى أي الأحوال فالملاحظ أن عنوان كتاب ابن شاهين عن عَبْر الرؤى والمنامات اختلف في كتاب هدية العارفين لإسماعيل البغدادي عما جاء عنوانا للكتاب الذي نشره الحلبي بالقاهرة (بدون تاريخ) ففي هذا الأخير جاء العنوان : (الإشارات في علم العبارات) في حين جاء في نفس العنوان في كتاب البغدادي ، لكن مع وضع (إلى) بدل (في) أي الإشارات إلى علم العبارات ، وليس : في .

المهم أن هذا الكتاب الأخير قد جاء في ثمانين بابا ، يبدأ الأول برؤيا الله – تعالى – والعرش والكرسي واللوح والقلم وسورة المنتهى ، وفي الباب الثمانين يختم الكتاب " في رؤيا نوادر ، يستعين بها الإنسان على التعبير "

مع الإشارة إلى أن كل الأبواب قبل هذا الأخير تستخدم نفس أسلوب ابن سيرين السابق ، في اختصاص كل باب بحقل دلالي واحد ، برغم اختلافٍ في عدد الأبواب هنا ، غن عددها عند الأول والتي ذكرنا أنها تسعة وخمسون فقط ، ولكن النظرية هي هيه ، أي نظرية الحقول ، ونعود إلى المثال ففيه يتضح المقال ، ويفهم الكلام ؟ .

ويأتي المثال ههنا على هيئة جدول يبدأ بالباب ، ويثني بالمجال الدلالي هكذا :

الباب	المجال الدلالي
في رؤيا القيامة وأشراطها والجنة والنار والصراط والميزان والحوض والحساب.	القيامة
في رؤيا السنين والأعياد والأشهر والفصول والأيام والجمع والساعات .	الزمن
في رؤيا ما يلحق الإنسان من الأمراض والطاعون والقروح والنوابت والبرص والجرب والجذام والجنون وجميع الآفات .	المرض
في رؤيا الخطبة والتزويج والعرس والطلاق والجماع والقبلة والملامسة ونحوها .	النكاح
في رؤيا الدور والغرف والبيوت والسقوف والجدران ونحو ذلك.	المنزل
في رؤيا أنواع الأسلحة والدروع واللبوس وما يناسب ذلك [١] .	السلاح

١ـ فهرس كتاب الإشارات في علم العبارات ، ص ٣٦٥ ــ ٣٦٨ .

ومن الواجب الاعتراف أن عناوين الأبواب واضحة الطول ، وكان يمكن أن تكون أقل طولا وأميل إلى الاختصار والإيجاز ، لكن هكذا كانت ثقافة العصر وأسلوب الكتابة فيه ، خاصة في التبويب ، إضافة إلى أن نظرية الحقول الدلالية لم تك قد ظهرت واتضحت ، وبهذه الصورة في العصر الحديث [1] .

٢ـ الدراسة المعجمية : وإذا كانت بعض كتب تفسير الأحلام تتكئ على الحقول الدلالية في تبويبها كما سبق فإن بعضها الآخر قد اعتمد الترتيب المعجمي للألفاظ التي يراها أو التي يمكن أن يراها المرء في المنامات ، فجاء بكل ما تصوره من الأشياء والألفاظ التي تحتاج إلى عَبْر وتفسير ، وهو ما يعتبر معجما بكل المقاييس ، بل هو معجم بالغ الأهمية والتأثير في حياة المرء ، بدليل أنها لم تتركه حتى في نومه ولو لم تك كذلك ما تسللت إلى فراشه .

وهو ما يعني أيضا عمق تأثير اللغة التي لا تتركنا على مدى الساعة ولو وصلنا إلى الموتة الصغرى (النوم) هذه اللغة هي جزء من لغة الحياة اليومية التي تسربت وتسللت إلى جميع مناحي حياتنا ودقائقها وتفاصيلها والجزئيات ، في الصغير والحقير والكبير من حياتنا ، وفي الفتيل والقطمير .

وقبل أن نسترسل في الجانب المعجمي من تفسير الأحلام نشير إلى بعض المؤلفين الذين ساروا على هذا الدرب ، مع ترجمة مختصرة لحياته بغية معرفة العصر الذي عاش فيه هذا المؤلف ؛ لأن ما نكره من ألفاظ إنما هو تصوير لمفردات تلك اللغة التي استخدمها الناس آنئذ .

١ـ حول بداية نظرية الحقول الدلالية ، انظر : حيدر ، د. فريد – مرجع سابق ، ص ١٧٢ .

الكتاب المعني هو : (تعطير الأنام في تفسير الأحلام) للنابلسي فمن هذا النابلسي ؟ إنه : عبد الغني بن إسماعيل ، النابلسي الدمشقي العارف بالله الحنفي الصوفي النقشبندي القادري ، ولد بدمشق سنة ١٠٥٠ هـ ، وتوفى بها سنة ١١٤٣ هـ [١] .

ويلاحظ أننا اخترنا إلى الآن ثلاثة كتب ، الأول لابن سيرين (ت ١١٠ هـ) والثاني لابن شاهين (ت ٨٩٣ هـ) وثالثها الأخير للنابلسي ، والذي نص في نهاية كتابه على أنه فرغ من تصنيفه : " عشية نهار الخميس ، الثامن عشر من ربيع الأول من شهور سنة ١٠٩٦ من هجرة من له العز والشرف [٢] ".

أي أنه فرغ من تأليفه وله من العمر ستة وأربعون عاما هجريا ،وعليه فإننا نعتبر هذه الكتب مصورة لمفردات الناس الأكثر أهمية في حياتهم ، في عصور ثلاثة ، الأول نهاية القرن الأول الهجري والثاني نهاية القرن التاسع ، والأخير مختتم الحادي عشر ، تلك إذن وثائق مهمة للغة العرب في ثلاثة قرون متباعدات ، تبدأ بالأول ، وتنتهي بالحادي عشر ، وهو الأقرب إلينا في القرن الخامس عشر ، حيث نعيش الآن العام السادس والعشرين من قرننا الهجري .

ومن ثم فإن هذي الثلاثة وغيرها بحاجة ماسة إلى دراسات مفصلة ومعمقة على ذياك الاعتبار ، أي باعتبارها وثائق لغوية بالغة الأهمية للأعصر التي ألفت فيها ولها ، فحبذا لو خصصت أطروحات دكتوراه أو أكثر لكل واحد

١- إسماعيل البغدادي : مرجع سابق ٥٩٠/٥ .

٢- النابلسي : تعطير الأنام في تفسير الأحلام ٣٦٢/٢ ، هكذا كان اسم الكتاب على الغلاف ، أما في فهرس الكتاب فقد جاء العنوان هكذا : (تعطير الأنام في تعبير المنام) وهو الصح ، ويبدو أنه الكتاب الوحيد المطبوع للمؤلف .

منها لتجلية كل الجوانب المتعلقة بها خاصة جانبي اللغة والثقافة ، ولكن كثيرا من مختصي العربية لا يلتفتون إلى مثل هاتيك الموضوعات ، لقد اعتادوا على موضوعات نمطية لعلها غير مثمرة ، أو أن غناءها أو نفعها قليل ، لا يساوي ما بذل فيها من جهد ومال .

على أية فإننا لا نترك ترجمة النابلسي هذا قبل الإشارة إلى ملحوظة مهمة من الملاحظ أو الملاحيظ ، لقد لاحظت غزارة إنتاج هذا الرجل في كتاباته ومصنفاته التي عددت منها ما يقرب من مائتين وعشرة عناوين [1] ، منها في تفسير الأحلام فقط :

- تعطير الأنام في تعبير المنام .
- رسالة في تعبير رؤيا سئل عنها .
- العبير في التعبير .
- النوائح الفائحة بروائح الرؤيا الصالحة .

نعود مرة أخرى إلى نوعي التصنيف في تفسير الأحلام بين النهج المعجمي وبين الاتكاء على الحقول الدلالية لنشير إلى أن هذا النهج الأخير يمكن أن يعاد تنظيمه معجميا ، وهذا ما يتيحه بسهولة إمكانيات الحاسوب الحديثة ، جاء في طبعة ابن الهيثم القاهرية ، وعنوانها : (معجم تفسير الأحلام وتعطيره ، قديمه وحديثه ، مرتبا على الحروف الأبجدية) تأليف الإمامين محمد بن سيرين والنابلسي [2] .

---

١ - البغدادي : مرجع سابق ، انظر ٥/٥٩٠ – ٥٩٤ .
٢ - طبع بالقاهرة ٢٠٠٢ م .

فكأن الطبعة جاءت مزجا بين مصنف ابن سيرين ، وهو المبوب على الحقول الدلالية ، وبين النابلسي الذي اتخذ الترتيب المعجمي ، واعتمد عليه في كتابه ، وهذا المنحى أسهل على الناس من ترتيب ابن سيرين ، ومن ثم تميل إليه دور النشر الحديثة عند إعادة طباعة كتب تفسير الأحلام .

والآن بعد ما سبق من الملاحظ نشير إلى بعض الأمثلة على أن كتب تفسير الأحلام هي وثائق مهمة مصورة للعصور التي ألفت فيها ، فمن هاتيك الأمثلة:

١- في الباب السابع والثلاثين من كتاب ابن سيرين [١] جاء العنوان: (في الهوام والحشرات ودواب الأرض) إن هذا الباب يتحدث عن الهوام أو ما يمكن أن يسمى (خشاش الأرض) ويصور هذا النوع من المخلوقات التي تؤذي الإنسان أو تضايقه ، وهي كما جاءت في الباب المذكور : (الحيات – التنين – الضب – العقرب – الوزغة – العظاية – العلَق – الحرباء – الأرَضة – بنات وردان – الجعل – الخنفساء – دابة الأذن [٢] – الدود – دودة القز – سوس – العنكبوت – الفأرة – اليربوع – القنفذ – القمل – النمل – اليسروع – خشاش الأرض) = ٢٤ لفظا .

وفي الغالب يترك المؤلف بيان معاني الألفاظ التي يوردها اعتمادا على ثقافة القارئ آنئذ ، ولكنه في أحيان قلائل يفسر بعض ألفاظه ، أو القلائل منها

١- مرجع سابق ١/١٥٤ .

٢- يقول عنها النابلسي : " وهي التي تدخل في الأذن " ويظهر من كلامه أنه يقصد أية حشرة تدخل إلى الأذن .

فقد ذكر مثلا : " اليسروع دود أخضر . . . " ولكن باقي الألفاظ تركت بدون إشارة إلى معانيها .

هذي الألفاظ الأربعة والعشرون تصور الحشرات التي كانت تعيش مع الناس وتضايقهم ، بل إن تفسير هذي الألفاظ في المنامات يمثل وجهة نظر الناس فيها ، وتصورهم لها ، ووزن الضرر والضيق اللذين تمثلهما كل هاتيك المخلوقات ، وكل هذا من وجهة نظري تدخل في الدلالة الهامشية لتيك الألفاظ كيف ؟

يقول ابن سيرين [1] : " أما الحيّات فإنها أعداء . . . وعداوة كل حية على قدر نكايتها وعِظمها وسمها " أما عن بنات وردان فيقول : " عدو ضعيف [2] " أما بنت وردات هذه فهي حشرة : " تشبه الخنفساء ، حمراء اللون ، وأكثر ما تكون في الحمامات وفي الكُنُف [3] " أما النمل فللمجتمع رأي آخر فيه ، إنه لا يراه عدوا له ، فإن رؤيته في المنام [4] : " جند ، ورؤيته على الفراش تدل على الأولاد ، وقيل تدل على قراباته . . . ومن رأى النمل يدخل داره بالطعام يكثر خير داره ، ومن رأى النمل يخرج بالطعام من داره افتقر . . . والنمل إنسان ضعيف حريص . . . وكثرة النمل في بلد من غير إضرار بأحد يدل على كثرة أهل البلد " وهكذا صورة النمل لدى المجتمع : إنسان ضعيف حريص ، ذرية أو أقرباء يأتي بالخير ، كثرته تدل على كثرة

١ـ ١/١٥٤ .
٢ـ السابق ١/١٥٢ .
٣ـ المعجم الوسيط ٢/١٠٦٦ .
٤ـ ابن سيرين : مرجع سابق ١/١٥٥ .

الناس ، وليس عدوا على أي حال ، وهو ما يمكن أن يدخل في الدلالة الهامشية للفظة .

ولذا من المناسب أن تخصص رسالة دكتوراه أو بحث موسع لدراسة الدلالة الهامشية للألفاظ كما جاءت في كتب تفسير الأحلام ، نتمنى هذا على متخصصي العربية وفلاسفتها والمتصدرين لها ، أو بها وبفضلها .

٢- مثال آخر نأخذه من معبر آخر ، هو ابن شاهين [1] (ت ٨٩٣ هـ) ففي الباب الحادي والثلاثين في رؤيا : " المدن والأمصار " يتحدث عن عبر الرؤيا لهذي المدن والأقطار : (مكة – المدينة – الطائف – البصرة – واسط – الكوفة – بغداد – حلوان – أصفهان – كرمان – دمشق – الموصل – حلب – عكة . . مصر – أسيوط – قوص – الفيوم – دمنهور – الإسكندرية – رشيد – فوة – دمياط – بلبيس – المحلة – المنصورة – الصالحية – الرملة – صفد – صيدا – بيروت) ... الخ .

تلكم المدن والأقطار التي ذكرت هنا ، والتي لم نذكرها مما أثبته ابن شاهين في هذا الباب إنما هي الأقطار والمدن التي عرفها الناس آنذاك ، بل تجذرت في لغتهم وثقافتهم وحياتهم حتى جاءتهم في مناماتهم ، إنها خريطتهم في ذياك الوقت من القرن التاسع الهجري ، وفي الملاحق سنصور خرائط لتيكم البلدان التي تمثل العالم أو عالم الناس في العالم الإسلامي .

ومن جانب آخر فإننا تفسير رؤيا هذا المصر أو ذاك إنما تمثل ثقافة الناس وقتها وتصورهم لهذه المدن ، كيف ؟

١- مرجع سابق ، انظر ١٤٦/٢ وما بعدها .

أ- انظر كيف وضع العالم الإسلامي مدينتي مكة ثم المدينة على قمة تلك المدن ، لما لهما من قيمة كبرى لدى المسلمين قاطبة ، وجاء بعد هاتين المدينتين القدس الشريف .

وانظر إلى تفسير تيك المدن الثلاث المقدسات الشريفات ، " فرؤيا مكة صلاح ودين وتوبة وأمن وربح [1] " إن هذي الكلمات تمثل رؤية المجتمع للمدينة المقدسة ، فمن أين جاءت هذه الرؤية ؟

الربح جاء من التجارة والشطارة التي عرف المكيون بها حتى قبل الإسلام ، ففي التنزيل : " لإيلاف قريش ، إيلافهم رحلة الشتاء والصيف " تجارة الشتاء إلى اليمن ، وتجارة الصيف إلى الشام ، ولأهمية التجارة في حياة العرب والبشر قال سيد الخلق – صلى الله عليه وسلم : " تسعة أعشراء البركة في التجارة ، وعشر في السابياء [2] " أي الزراعة والنتاج، تربية الحيوان والداجنات ، أما عبارة : " تسعة أعشار الرزق في التجارة " التي يرددها العامة في مصرنا فلم أجده أو أقرأه في أي مرجع أو كتاب ، كما لم أسمعه - كحديث – ممن يوثق به من علمائنا المعاصرين .

أما الأمن فقد أخذ من التنزيل أيضا ففي ذات السورة التي سميت بـ (قريش) بعد الآيتين الأوليين يقول ربنا – جل وعلا : " فليعبدوا رب هذا البيت الذي أطعمهم من جوع وآمنهم من خوف " وفي سورة أخرى : " وإذا جعلنا البيت مثابة [3] للناس وأمنا . . . وإذ قال إبراهيم : رب اجعل هذا بلدا آمنا

١- السابق ، ٢/١٤٧ .

٢- لسان العرب ١٩/٨٩ .

٣- مثابة : ملجأ وموضعا للثواب ، من زاره مرة أحب أن يعود في كل مرة ، قال الشاعر :

جعل البيت مثابة لهم ليس منه الدهر يقضون الوتر

وارزق أهله من الثمرات [1] " هذا عن الربح والأمن ، أما الصلاح والدين والتوبة ، ففي التنزيل أيضا : " وعهدنا إلى إبراهيم وإسماعيل أن طهرا بيتي للطائفين والعاكفين والركع السجود [2] " فإن كانت مكة فيها هذا البيت الذي طهره نبيان من أنبياء الله – عليهما السلام – للمؤمنين ، كما أن المسلمين في شتى أقطار الأرض يتجهون إليه في صلواتهم إن هذه المدينة لجديرة إذن أن تبشر رائيها في منامه بصلاح ودين وتوبة من الله .

ومن مكة المكرمة نتجه شمالا إلى حيث مدينة الخاتم – صلى الله عليه وسلم – رؤياها : " حصول اجتماع بالأحباب ، وبلوغ أمل ، والتشفع بساكنها – عليه أفضل الصلاة والسلام – يوم القيامة " حصول اجتماع بالأحباب كما حدث لسيد الخلق عندما اجتمع بأحبابه وأنصاره ، وكان يحبهم حبا جما ، ويوصى بهم خيرا ، يثنى عليهم ، ويستغفر لهم ، جاء في صحيح مسلم :

- اللهم اغفر للأنصار ، ولأبناء الأنصار ، ولأبناء أبناء الأنصار .
- حدث الصحابي الجليل أنس بن مالك – رضي الله عنه – أن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – استغفر للأنصار ولذراري الأنصار ولموالي الأنصار .
- وعن أنس أيضا أن النبي – صلى الله عليه وسلم – رأى صبيانا ونساء مقبلين من عرس ، فقام نبي الله ، وقال : " اللهم أنتم من أحب الناس إليّ ، اللهم أنتم من أحب الناس إليّ " يعني الأنصار ،

١- ١٢٥ ، ١٢٦ البقرة .
٢- ١٢٥ البقرة .

موضع آخر يقول : " والذي نفسي بيده ، إنكم لأحب الناس إليَّ " ثلاث مرات قالها .

- إن الأنصار كرشي وعيبتي [1] ، وإن الناس سيكثرون [2] ، ويقلون ، فاقبلوا من محسنهم واعفوا عن مسيئهم .

أما أن رؤيا المدينة المنورة بلوغ أمل فهذا لأن دعوة محمد – صلى الله عليه وسلم – لم تشتد وتقوَ إلا بعد الهجرة إلى يثرب ، وأما أن رؤياها تشفع بساكنها يوم القيامة فإن التوق إلى هذه المدينة وزيارتها هو توق إلى ساكنها – عليه الصلاة والسلام - وكل هذا رغبة في شفاعته لنا يوم الدين .

ب- وإذا نظرنا إلى تأويل باقي المدن والأمصار وجدناه يعتمد على أمرين الأول مشتق من اسم المدينة نفسها ، والثاني معتمد متكئ على موقف المجتمع آنذاك من هاتيك المدينة أو تلك ، فمن الأول [3] :

- رؤيا (عجلون) في فلسطين من العجلة .
- (الصلت) تسليط الأعداء .
- (صيدا) تؤول من اسمها ، أي (الصيد) .
- (المنصورة) نصر ونجاح .
- (الصالحية) صلاح في الأمور .
- (رشيد) رشد وصلاح ، فتعبيرها مشتق من اسمها .

ومن الثاني ما يلي :

١- موضع سري .
٢- أي عند الطمع سيكثر الناس ، في حين يقل الأنصار ، مبتعدين عن مواطن الطمع .
٣- ابن شاهين : مرجع سابق ١٤٧/٢ .

- (أصفهان) التي تقع الآن وسط إيران ، من رأى أنه في هذه المدينة يدل على مصاحبة الأكابر ، كيف ؟ .

جاء في اقتضاء الصراط المستقيم لابن تيمية :" ولهذا لما علم المؤمنون من أبناء فارس وغيرهم هذا الأمر " أي مشابهة صحابة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وتابعيه والإقتداء بهم " أخذ من وفقه الله منهم نفسه بالاجتهاد في تحقيق المشابهة بالسابقين ، فصار أولئك من أفضل التابعين بإحسان إلى يوم القيامة ، وصار كثير منهم أئمة لكثير من غيرهم ، ولهذا كانوا يفضلون من الفرس من رأوه أقرب إلى متابعة السابقين حتى قال الأصمعي – عبد الله بن قريب ت ٢١٦ هـ - في كتابه : فضل الفرس : " عجم أصبهان قريش العجم " أي تُشبِّه بقريش ومكانتها بين العرب .

وعن سعيد بن المسيب – فقيه قريش من التابعين ت ٩٤ هـ - أنه قال : " لولا أنني رجل من قريش لتمنيت أن أكون من أهل أصبهان ؛ لقول النبي – صلى الله عليه وسلم : لو كان الدين معلقا بالثريا لتناوله ناس من فارس من أبناء العجم " أسعد الناس بها فارس وأصبهان .

ويكفي هذه المدينة فخرا أن الصحابي الجليل سلمان الفارسي كان من أهل أصبهان ، وكان منها أيضا قارئ المدينة المنورة من السبعة المشهورين نافع بن أبي نعيم – رضي الله عنه – ت ١٦٩ هـ ، وغيرهما كثير وكثير .

ويقول ابن تيمية أيضا : " إن آثار الإسلام كانت بأصبهان أظهر منها بغيرها حتى قال الحافظ عبد القادر الرهاوي – رحمة الله : ما رأيت بلدا بعد بغداد أكثر حديثا من أصبهان ، وكان أئمة السنة علما وفقها والعارفون

بالحديث وسائر الإسلام المحض فيهم أكثر من غيرهم حتى قيل : إن قضاتهم كانوا من فقهاء الحديث ، مثل صالح بن أحمد بن حنبل . . . " .

ولهذا كله ، ولكل ما سبق من العظماء والعلماء بدءا من سلمان – رضي الله عنه – إلى غيره من الفقهاء والصلحاء كانت رؤيا أصبهان دالة على مصاحبة الأكابر من الناس .

- (دمياط) مدينة أخرى من ثغور مصر ، فماذا عنها في الرؤى والمنامات ؟ " رؤيا دمياط جهاد ، وإغنام أجر ومكسب [1] " من أين جاء هذا التصور ؟ فأما الجهاد فإن هذي المدينة كانت :" ثغرا جليلا وحصنا عامرا آهلا يضاهي ثغر الإسكندرية في الحصانة والمنعة . . . قصده أي ثغر دمياط في سنة ٦٤٥ هـ الفرنج فملكوه ، ثم إن الله – تعالى – نصر المسلمين ، فاستنقذوه منهم ، وأسروا ملكهم لويس التاسع بعد أن قتلوا منهم ألوفا " لقد كان سكانها مستنفرين دائما " يرقبون نزول الفرنج صباحا ومساء [2] " وهذا ما يبرر أن نعبر رؤيتها بالجهاد ، فقد كانت أحد ثغور مصر ، وعاش أهلها دائما في رباط متوقعين هجوم الفرنجة في أي وقت من الليل أو النهار .

أما المكسب وإغنام الأجر فقد عرفت دمياط قديما [3] وحديثا بشطارة أهلها وحذقهم واحترافهم ففيها الزراعة والتجارة والصيد ، والصناعة بدءا من المنسوجات والأحذية ومنتجات الألبان والحلويات والفطائر ، ثم على القمة منها صناعة الأثاث الخشبي الذي وصل في شهرته إلى العالمية ، ثم الميناء

١- السابق .
٢- انوطواط : من مباهج الفكر ومناهج العين ، الكويت ١٩٨١ ، ص ١٣٦ – ١٣٧ .
٣- يوسف : تاريخ دمياط منذ أقدم العصور ، القاهرة ١٩٥٩ ، انظر ص ٣٢٢ .

الجديد الحديث ، ومدينته الجديدة والطريق الدولي الذي يمر عبرها ليصل بين مصرنا بالشمال الأفريقي حتى مغرب العرب ، كل هذه التطورات الأخيرة مما فتح مجالات واسعة لفرص العمل في الميناء والمدينة والطريق الدولي ، سواء لأبناء دمياط أو غيرهم ، مما جعل في دمياط دائما إغنام أجر ومكسب .

- (حلوان) وهذي نجعلها مسك الختام في الحديث عن البلدان وتعبير رؤاها ، فماذا عنها ؟ : " من رأى أنه في مدينة حلوان فإنه يدل على حصول الفوائد وحسن المعيشة " وسيأتي ذكرها عند الحديث عن رؤيا حمزة حبيب الزيات (ت ١٥٦ هـ) وهي غير حلوان القاهرية ، إنها حلوان العراق والتي تقع شمال شرق بغداد العاصمة .

ثانياً: الحضارة والثقافة :

بعد أن تحدثنا عن جانب اللغة في موضوعنا ،

جاء وقت الحديث عن الحضارة ، لنؤكد مرة أخري أن كتب تفسير الأحلام تصور حضارتنا الإسلامية وقتها – أي وقت تأليف هاتيك الكتب – أصدق تمثيل ، كيف ؟ بالمثال دائماً يتضح المقال :

١- إن حضارتنا بدأت بتلك الكلمة المهمة (اقرأ) باسم من نقرأ ؟ " باسم ربك الذي خلق " ثم سورة باسم (القلم) سطرها الأول : " نٓ والقلم وما يسطرون " ألفاظ كثيرات تخص الكتابة – والقراءة أيضاً – زخرت بها آيات الكتاب الكريم والسنة المطهرة ، فقد كانت هذه

الأدوات الكتابيـة أداة مهمـة مـن أدوات صنعت الحضارة الخالـدة التـي خلفـت للناس فكراً خصباً راقياً وعلماً غزيراً نافعاً وفلسفة مثمرة يانعة ومن ثم عاشت تلكم الألفاظ في حياة الناس وعقولهم حتى المنام .

في الباب الخامس والأربعين يتحدث ابن سيرين عن :"القلم والأصابع[1] بل والسكين الذي يبري القلم والدواة والنقش والمداد والورق والمنشور والكتابة والشعر والقصيدة والمحبرة والصحيفة والقرطاس والكتاب والمصحف والرقعة والخط والصك والاصطرلاب والفصاحة [2] ٢١ لفظة في أدوات الكتابة وما يتصل بها ، وإن كان بعضها قد يظهر للباده أنه عنها بعيد ، أما الأصطرلاب فإنه أداة مهمة في علم الفلك وما يكتب فيه ، كما أن الشعر خاصة إلي عصر النبوة كان الإبداع الرئيس للعرب مكتوباً أو شفويا.

ولكن ابن سيرين يضم شيئاً مهماً إلي ما سبق يؤكد روح هذه الحضارة التي تعترف بالأخر وبما له من لغات أو لهجات ، إنه يذكر أن :" من رأي انه يتكلم بكل لسان فإنه يملك أمراً كبيراً في الدنيا ويعز ، لقوله تعالي : حكاية عن يوسف : إني حفيظ عليم ، يعني بكل لسان [3] " .

وجاء في قصص الأنبياء لابن كثير [4] :" وحكي أن يوسف كان يوم دخل على الملك عمره ثلاثين سنة ، وأن الملك خاطبه بأكثرمن لغة ، وفي كل ذلك يجاوبه بكل لغة منها ، فأعجبه ذلك مع حداثة سنه ".

١- لأنها تمسك القلم .
٢- ٢٤٠/١
٣- ٢٤٢/١.
٤- ص ٣٥٠.

ومـن الملاحـظ أن ابـن كثيـر (ت ٧٧٤هـ) يستخدم لفظـة (لغـة) ولـيس (لسان) فهل المقصود المصطلح القديم أي (اللغة) بمعنـي (اللهجـة) أم يقصد (اللسان) ولكن المصطلح الأول تطور من معنـاه حتى أضحي يستخدم بـالمعني الأخير ، كما هو الحال في الاستخدام الحديث ؟ الظاهر من فهم ابن سيرين أن القصد (اللسان) وليس اللهجة .

أمـا أن يوسـف – عليـه السـلام – كـان يعرف عديـداً من اللغـات أو كثيراً منها ، فهو يتفق مع طبيعة حياته وحياة أبيه يعقوب – عليه السـلام – الذي:" صار إلي آرام – شمال العراق – ثم عاد إلى فلسطين – ومنها إلي مصرنا .

أما يوسف نفسه فقد جاء من بيت المقدس :" وبعد أخذه إلي مصر بيـع في عاصمة الهكسوس – صان الحجر حالياً – قرب بحيرة المنزلة ، وبعد حياة حافلة بالمصاعب أكرمه الله بالحكم والاستقرار في مصر ، فأسكن أبـاه يعقوب وبنيه شمال بلبيس ، في صفط الحنة حالياً [1] " .

ومن ثم فإن هذه الحيـاة الصعبة الخشـنة والتنقل بين هاتيك البلدان ممـا يتيح له أن يتعلم أكثر من لغة ، ويجيدها أيضـاً ، ومـن ناحيـة أخـري فـإن متعلم أكثـر مـن لغـة أجنبيـة هـو الآن أوفـر النـاس حظـاً فـي المناصـب والوظـائف المرموقة في أي بلد من البلدان ؛ ولذا فإن من المنطقي أن يؤول المتكلم بـأكثر من لغـة بأنـه :" يملـك أمـراً كبيـراً فـي الـدنيا ويعز [2] " كمـا حـدث لنبـي الله يوسف عليه السلام ، وكما يمكن لأي إنسان في واقع النـاس الآن ، يقظـة قبـل المنام .

١- أبو خليل د. شوقي : أطلس القرآن ، أماكن أقوام أعلام ، ص ٦٤، ٦٧.
٢- ابن سيرين : ١ / ٢٤٢.

وبعد هذي الإفادة والاستطرادة نعود إلي تفسير أدوات الكتابة في المنام ودلالة هذا التفسير ، فنبدأ أولاً بأهم شيء في الكتابة وإلي الآن ، إنه القلم الذي تعني رؤياه في المنام :" ما يذكّر الإنسان به ، وتنفذ الأحكام بسببه كالسلطان والعالم والحاكم ، واللسان والسيف والولد والذكر [1] " يا ألهي !! القلم يشبه بالسلطان والعالم والحاكم ، مفردات من أهم المفردات في حياة المجتمع المسلم ، وكل هذا لما للقلم وما يكتبه في حياة المسلمين من أهمية .

بل إنه شبه بالسيف لما له من تأثير يصل حد السيف ، بل ربما يفوق تأثيره ، وهو أيضا يشبه باللسان ، أي بالكلمة المنطوقة ، وهي قرينة الكلمة المكتوبة ، فاللسان أداة في الأولي ، والقلم أداة الأخرى ، وكلتا الأداتين مهمتان وفاعلتان إلي حد كبيراً .

يا ألهي !! كيف يشبه القلم بالولد الذكر ؟ لما له من دور في حياة الأسرة إذ هو مطمحها وأملها ، منذ العصر الجاهلي إلي الآن أو إلي عهد قريب ، سجل الذكر الحكيم :" وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه مسوداً وهو كظيم ، يتوارى من القوم من سوء ما بشر به ، أيمسكه على هون ، أم يدسه في التراب ، ألا ساء ما يحكمون[2] " .

لقد كان الولد الذكر سنداً وفرحاً وقرة عين ، خاصة عند مولده صحيح أن الناس سيما في المجتمعات الإسلامية ربما لا يسخطون عند ولادة الأنثى ، لكنهم لا يفرحون بنفس الدرجة عندما يولد الذكر ، وصحيح أيضاً أن الظروف تغيرت تماماً عما كانت عليه ، فأصبح الولد عبئاً كبيراً ، ومثار كثير من

١ـ السابق ١ / ٢٤٠.
٢ ـ ٥٩،٥٨ النحل .

المشكلات في الأسرة ، ولكن الأسر على مستوي العالم ترنو دائماً لأن يكون لها ولد ذكر يحمل اسمها ، ففي الصين مثلاً يسمح بإنجاب ولد واحد ذكر ، فإن جاءت بنتاً سمح بالإنجاب مرة أخري،فإن كانت مثل أختها اكتفي بالبنتين فقط .

ولذا لجأت بعض الأسر للتخلص من البنت الثانية أملاً في ولد ذكر ، مما يدل على رغبة البشر الدفينة – وربما الفطرية – في الميل إلي الذكران ، وإن كانت ربما لم تعد تسخط الآن بإنجاب الإناث . .

آخر ما نذكره عن تأويل القلم أنه :" الأمر والنهي والولاية على كل حرفة ، والقلم قيم كل شيء ، وقيل القلم ولد كاتب " ألهذا الحد والمنزلة يرفع القلم حتى يصبح : (الأمر والنهي – الولاية على كل حرفة – قيم كل شيء) ؟ وبطبيعة الحال ليس هذا إلا تقديرا للكلمة المكتوبة وما تؤديه من أدوار في بناء الحضارات .

مثال آخر بعد أن أسهبنا حول القلم ، ما هو ؟ إنه (القراءة) فإن من:" رأي أنه يقرأ كتاباً ، وكان حاذقاً في قراءته فإنه يلي ولاية إن كان أهلاً لها ، أو يتجر تجارة إن كان تاجراً بقدر حذقه فيه [١] " هكذا تري حضارتنا أن الحذق في القراءة يؤدي إلي ولاية (منصب) أو تجارة إن كان تاجراً ، وانظر إلي هذه الحضارة العظيمة ، إنها تشير إلي ولاية ، لكنها اشترطت أن يكون لها أهلاً ، لانه من المفترض في كل ذي ولاية أن تتوفر فيه الكفاءة والأهلية ، وهذا ملمح مهم حتى لا نصل إلي عهد لا يوسد الأمر – أي أمر – إلا إلي غير أهله ، فتضيع البلاد ويفتن العباد .

١- أبن سيرين ١ / ٢٤٢.

ومن المثالين السابقين يتضح للقارئ مدي الأهمية التي تضعها الحضارة الإسلامية للكتابة والقراءة ، أو للكلمة المكتوبة المقروءة ، وهكذا .

آخر الأمثلة نسطرها هنا هو :" من رأي كأنه أعجمي فصار فصيحاً ، فإنه شرف وعز وملك حتى لا يكون له نظير ، إن كان والياً ، وإن كان تاجراً فإنه يكون مذكوراً في الدنيا ، وكذلك في كل حرفه [1] " .

الأعجمي الذي لا يفصح ولا يبين ، ولو كان عربي النسب [2] وقد تطلق على غير العربي لأنه لا يستطيع أن يفصح عن نفسه بلغتنا ، فمن رأي نفسه انتقل من هذه الحالة إلي نقيضها ، أي ألي الفصاحة ، فإن هذه للولاة وأصحاب المناصب شرف وعز وملك .

ليس هذا فقط بل هو للتاجر ورجل الأعمال ذكر في الدنيا وشهرة في الآفاق ، بل في كل حرفة من الحرف ، أو إلي القمة فيها ، والذروة منها ، فهذا دور الفصاحة في حضارتنا .

٢ـ وهذه الحضارة أيضاً لم تك حضارة قلم وكلمة مكتوبة فقط ، بل كان عليها أن تدافع عن نفسها ضد ظلم العدو الخارجي وغزوه ، بنفس الآليات وبذات الأسلحة المستخدمة في زمانهم .

ففي الباب الحادي والخمسين في رؤيا أنواع الأسلحة والدروع واللبوس وما يناسب ذلك تحدث ابن شاهين عن ثلاثة وعشرين نوعاً من السلاح وما يتصل به ، وفي تأويله لرؤيا السلاح عامة وجهة نظر هذه الحضارة ، إنه

١ـ السابق .
٢ـ أبو الخير : من ألفاظ اللغة في القرآن لكريم ، ص ٨٧.

يقول :" وأما السلاح جملة فقد أجمع المعبرون أنه قوة وشرف ودولة وولاية وحصن ورياسة بقدر قيمة ذلك السلاح [١] ".

إن هذا يشير إلي قيمة السلاح في حياة المجتمع وفي الدفاع عنه أمام المعتدين والطامعين ، ويأتي على رأس أسلحة العصر لديهم السيف يليه القوس والسهم ، ويبدو أن هذي كانت أهم أسلحة ذياك الزمان ، خاصة الأول الذي أفرد له ابن شاهين ثلاث صفحات من جملة أقل من عشر صفحات خصصها للأسلحة ، مما يدل على أن السيف كان أهم أسلحة الحروب، فماذا عن تأويل السيف في المنام ؟ يقول الإمام جعفر الصادق (ت ١٤٨هـ) رؤيا السيف :" تؤول على ستة أوجه ، ولد وولاية وحُجة ومنفعة ومال وظفر على الأعداء ، وربما دل السيف على رجل ذي قوة فصيح القول ".

ومن خلال الكلام الكثير الذي قيل عن تأويل السيف وأحواله وما يستخدم له ، نختار طرفاً مما سبق ، فمن رأي أنه يضرب بالسيف يميناً وشمالاً فيؤثر ضربه على شيء من المخلوقات ، سواء كان حيواناً أو جماداً أو سائلاً فإنه يبسط لسانه بالكلام الذي لا يجوز ، وأولوا السيف باللسان لقوله تعالي :" فإذا ذهب الخوف سلقوكم بألسنه حداد [٢] ".

وعليه فإن من رأي أحدا ضربه بالسيف فإنه يؤول بأن هذا الأحد يؤذيه بالكلام ، ويكون مبلغ ذلك بقدر ما قطع ، وهكذا جاء التأويل معتمداً على آي من آيات القرآن الكريم ، وهو ما يتكرر كثيراً من المؤولين ، لأن جزءاً مهماً من تأويل المنامات يعتمد بشكل واضح على ثقافة المجتمع ، والقرآن الكريم

١ـ الإشارات في علم العبارات ، ص ٢٤٩.
٢ـ ١٩ الأحزاب .

مكون رئيس من مكونات ثقافة المسلمين ، وعن الأسلحة وأدوات الحرب التي ذكرها ابن شاهين نلاحظ ما يلي :-

أ- أنه يفرق بين الألفاظ على أساس دلالي ، مشيراً إلي بعض الدلالات الهامشية ، أو أن الكلمة من أصل غير عربي ، فمن ذلك مثلاً :-

- عندما تحدث عن التركاش والجعبة قال : " هما اللذان يوضع فيهما النشاب ، وبينهما فرق في الهيئة ، ولكن في علم التعبير حكمهما واحد[1] التركاش والجعبة هو ما يوضع فيه النّشاب – أي النّبل – الفرق فقط في الشكل ، وهذه دلالة مركزية ، لا هامشية".

- ويفرق بين (الجوشن) وبين (الدرع) يقول :" وأما الجوشن فإنه يؤول على علو قدر ، لأنه من ملابس الملوك في الحروب .... وقال أبو سعيد الواعظ : الجوشن أحصن من الدروع ... الجوشن لفظ أعجمي " وهكذا يشير إلي أمرين مهمين ، أولهما أن لفظة (الجوشن) هي من أصل غير غربي ، جاء في المعجم الكبير [2] : " في الفارسية جوشن هي نوع من الدروع " والثاني أنه أحصن من الدرع وأقوي ، ولذا كان من ملابس الملوك في الحرب .

ب- ولقد دخل اللون على الخط في تفسير الأحلام ، كيف ؟ إن ابن شاهين عندما يتحدث عن العلَم يري أنه :" في الجملة يؤول برجل عالم أو زاهد أو إمام أو شجاع أو غني أو سخي أو جواد ، يقتدي الناس به " هكذا يؤول رؤيا العلَم بشكل عام .

١- ابن شاهين ٢ / ٢٥٣.
٢-٦٨٢/٤.

أما الأعلام الحمر فإنها تدل على الحرب ، والصفر تدل على وقوع البلاء في العسكر ، والخضر تدل على سفر في خير، والبيض تدل على مطر ، والسود تدل على القحط .

هذا التأويل في رأيي يشي بوجهة نظر المجتمع آنذاك في هذي الألوان الرئيسة ، وما تمثله في ثقافة نياك المجتمع ، فالحمرة تدل على اشتداد القتال قال على بن أبي طالب :" كنا إذا حمر البأس نتقي به "أي برسول الله – صلي الله عليه وسلم – وقال أحمد شوقي :

وللحرية الحمراء باب   بكل يد مضرجة يدق

أما اللون الأصفر فهو يرتبط في ذهن المجتمع بالمرض والضعف والذبول ، فاصفرار الوجه والجلد مرتبط دائماً بالمرض ، ومن ثم كان تأويل العلَم الأصفر بلاء في العسكر ، وكذا اللون الأسود يرتبط بكثير من الأشياء المقبضة المنفرة التي تثير التشاؤم ، لا التفاؤل ، ولذا كان لبس السواد عند الموت والإحداد ، ويرتبط هذا اللون أيضاً بالغراب والسخام والهباب والرماد لمتخلف عن الحريق ، وسواد الأرض بعدم زراعتها ، على عكس اللون الأخضر الذي يشير إلي زراعة في الأرض .

وفي القرآن الكريم :" يوم تبيض وجوه وتسود وجوه ، فأما الذين اسودت وجوهم أكفرتم بعد إيمانكم [1] – وإذا بشر أحدهم بالأنثى ظل وجهه

١ـ ١٠٦ آل عمران .

مسوداً ، وهو كظيم [١] ــ تري الذي كذبوا على الله وجوهم مسودة" [٢] ولكل ما سبق ناسب أن يؤول العلَم الأسود بالقحط [٣].

وعلى العكس مما سبق نجد موقف المجتمع من اللونين الأبيض والأخضر ، فالأول رمز للطهر والتفاؤل والرضا والخير ، وليس هناك شيء ادعي إلي الفأل وأجلب للرضا من المطر ، ومن ثم دل رؤية العلم الأبيض على نزول المطر ، والذي تسبقه السحب البيضاء .

بقي اللون الأخضر وهو مثل سابقه الأبيض من الألوان المحبوبة ، ذات الإيحاءات المبهجة ، فالأخضر مرتبط بالزروع وبعض الأحجار الكريمة ، إنه لون يرتبط بالخصب ويبعث على التفاؤل [٤] ، ولذا كان تأويل العلم الأخضر سفر في خير ، ولعل إقحام السفر هنا هو أن بلاد العرب لم تك تزدان بالخضرة والزرع إلا في أجزاء قليلة ، أو بعيدة عن جزيرة العرب ، ولذا كان لابد لهما من سفر ، وهو سفر في خير .

على أي الأحوال فقد وردت الخضرة في القرآن الكريم مرتبطة بالخصب والنماء ، بل هي من ألوان الجنان :" ويلبسون ثياباً خضراً من سندس وإستبرق [٥] متكئين على رفرف خضر وعبقري[٦] حسان [٧] ــ ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء فتصبح الأرض مخضرة [٨] " أي بالزرع والنماء ، بل

١- ٥٨ النحل .
٢- ٦٠ الزمر.
٣- القحط : احتباس المطر وجفاف الأرض ، انظر المعجم الوسيط ٢ ٧٤٣١٢.
٤- مختار : اللغة واللون ، ص ٢١٤،١٢.
٥- ٣١ الكهف .
٦- الرفرف : أطراف البسط المفروشة ، والوسائد ، والعبقري البديع الذي لا نظير له .
٧- ٧٦ الرحمن .
٨- ٦٣ الحج.

وصفت الجنتان في سورة الرحمن بأنهما " مدهامتان [1] " أي من شدة الخضرة [2] وكمالها وجمالها .

وفي الحديث الشريف :" ثلاثة يجلين البصر ، النظر إلي الخضرة ، وإلي الماء الجاري وإلي الوجه الحسن " ولذا ذكر ابن عباس – رضي الله عنهما أن رسول الله – صلي الله عليه وسلم –كان يحب أن ينظر إلي الخضرة وإلي الماء الجاري ، وما أحسن قول الشاعر :

ثلاثة تذهب عنا الحزن   الماء والخضرة والوجه الحسن [3]

وحبذا لو قامت بحوث طبية على هذه الفرضية ، فأجريت تجارب على أثر الخضرة والماء الجاري والوجه الحسن ، أو الشكل الحسن في تجلية البصر أو تقويته ، بل نطمح إلي برامج لتفعيل دور هذه الأشياء الثلاثة في دعم أبصارنا أو إبصارنا والأخذ بيده ، أو بيدنا نحو تنوير النظر .

٣- آخر الأمثلة التي نسطرها هنا هو صناع الحضارة ، أو الألفاظ التي تدل على هؤلاء القوم ، إنهم أرباب الصنائع ، وهو ما جاء في الباب السابع والسبعين من كتاب ابن شاهين ، حيث أحصيت على الرجل مائة وست مهنة أو صنعة أبدي عليها بعض ملاحيظي :

أ- إن هذي المهن التي صنعت حضارتنا هي في الجزء الأكبر منها مهن يدوية ، تعتمد على عمل اليد ، هذي المهن اليدوية قد تصل ٩٠% من المحترفين في الحضارة الإسلامية،مثل : (البناء – الحداد – الجاني – البقال – القزاز – الدباغ –

١- ٦٤ الرحمن .
٢- الزمخشري : الكشاف ٥٤/٤.
٣- العجلوني : ١/ ٣٢٤.

الكاتب – التاجر – النجار – الخياط – الوزان – الصياد – الحطاب – الخباز – الطحان – الفاخوري – الفحام – الملاح – الحجار – الجصاص)... الخ .

إن هذا ليشير إلي تأثير عمل اليد أو العمل اليدوي في المجتمع الإسلامي ففي الحديث الشريف :" من أمسي كالا من عمل يده أمسي مغفوراً [1] له - أفضل الكسب عمل الرجل بيده ، وكل عمل مبرور "وفي الأمثال المصرية الدوارة :" اليد البطالة نجسة " .

ب- إن هذي المهن تصور الأنشطة الاقتصادية المهمة على عصرهم ، تلك المهن التي أسهمت في بناء الحضارة الإسلامية مثل : (الحدادة – البناء – جنى المحاصيل – الفلاحة – الغزل – النسيج – الخياطة – النجارة – التجارة – الرعي – دبغ الجلود) ... إلخ .

جـ- إن بالإضافة إلي صنائع اليد وما يقيم الاقتصاد ومعايش الناس فإن مهناً أخري – وإن كانت قليلة في أعدادها – فهي بالغة الأهمية والخطورة في المجتمع المسلم ، مثل : (المعلم – المعبر – الشاعر – المقرئ) إن مثل هاتيك المهن تمثل الجانب الروحي (غير المادي) من المجتمع .

ء - إن بعض هاتيك المهن لا تزال موجودة ومعروفة لنا في عصرنا ، إلا أن بعضها الآخر اندثر ، أو أصبح غير معروف لأبناء العصر الراهن ، فمن الأول : (العطار – الحداد –

١- السيوطي : الدرر المنتثرة ، ص ٣٨٨.

الحلواني – التاجر – الطبيب – الطباخ– الغواص – جماع اللبن – الفاكهاني) ومن الثاني (الحطاب – الكحال – الحمار – المنادي – القواس – الرماح) هذي مهن انقرضت لسبب أو لآخر ، أو لانتهاء الحاجة إليها .

هـ - أما تعبير رؤية صاحب كل مهنة فإنه يدخل في ثقافة المجتمع أو قل يأتي من ثقافة المجتمع ، وهذي بعض [1] أمثلة :-

- الطبيب يؤول برجل عالم مصلح ، وبالفعل الطبيب في نظر المجتمع هو عالم ومصلح لأمراض الجسد .
- الخياط يؤول برجل يمشي بين الناس في صلاح ، كما يؤلف بين القماش يقطعه ، ثم يخيطه ليجعل منه ثياباً صالحة للارتداء .
- السلاخ رجل ظالم كالشرطي [2].

هذي وجهة نظر المجتمع آنذاك ، قد نتفق معها ، أو نختلف ، ولكن على أية حال لكل وجهة نظر ، هو بها مقتنع ، مولٍ وجهه شطرها .

وأما هذي المهن التي فاقت المائة فإن الناظر في صيغها الصرفية يتضح له ما يلي :

- أكثر الصيغ دوراناً في أصحاب المهن جاء على صيغة المبالغة فَعّال حوالي ٦٠ % ، ٦١ لفظة من ١٠٦ للألفاظ الدالة على أصحاب الحرف جاء في شذا العرف [3] : " قد يستغني عن ياء النسب بصوغ فاعل

١- ابن شاهين : ٣٣٨/٢.
٢- لا نري أنه ظالم في كل الأحوال ، إنما يمكن أن يكون مظلوماً ، أو ضحية نظم الحكم الفاسدة الظالمة .
٣- ص ١٤٤.

مقصودا به صاحب كذا، كطاعم وكاسٍ ولابن وتامر " أي : (ذو طعام وذو كسوة وذو لبن وذو تمر).

- كما قد يستغني عن ياء النسب :" بصوغ فعّال ، بفتح الفاء وتشديد العين مقصوداً به الحِرَف ، كنجار وعطار وبزاز ، أي محترف التجارة والعطارة والبزازة " أما عن هذه اللفظة فيقول ابن منظور [1] :" البزّ الثياب ... والبزاز بائع البزّ ، وحرفته البزازة ... والبزّة بالكسرة الهيئة والشارة واللِبْسة "

ومما سبق يتضح أن الصيغة (فعّال)هي بديلة عن صيغة النسب بالياء المشددة آخر الأسماء المعربة ، فالصيغ : (نجار – عطار – بزاز) هي بدائل عن : (نجاري – عطاري – بزازى) والتي هي في الأصل منسوبة إلي : (النجارة – العطارة – البزازه) وقد خصصت العربية هذه الصيغ ، أو خصصت استخدامها لأصحاب المهن المذكورة ، كنوع من التخصيص الدلالي للصيغ الصرفية ، وهلم جرا .

- أما الصيغة التي تلتها في الألفاظ الدالة على أصحاب المهن فهي المختومة بياء النسب ، مثل : (الفاكهاني – الريحاني – الطيوري) والمنسوبة إلي : (الفاكهة – الريحان – الطيور) من يبيعها أو يعمل في تجارتها .

وقد جاء مثل هاتيك الألفاظ ٢١ مرة ، أي بنسبة خمس الصيغ تقريباً ، أما باقي الصيغ فقد تراوحت بين صيغ اسم الفاعل وصيغ أخري ، جاءت على غير اسم الفاعل،ولكن هذه الأخيرة جاءت بعد المحلي بياء النسب ، وخاصة

١- لسان العرب ١٧٥/٧.

صيغة (فاعل) من الثلاثي والتي جاءت ١٤ مرة ، ثم جاء اسم الفاعل من غير الثلاثي ٦ مرات = ٢٠ من ألفاظ المهن الواردة = ١٠٦ ، أي أن ألفاظ اسم الفاعل بشكل عام تشكل أيضاً ١/٥ (خمس) الصيغ تقريباً ، وهي مقاربة للمنسوب بالياء المشددة .

فمن أمثلة اسم الفاعل الثلاثي : (التاجر – الكاتب – الحائك – الراعي – الجاني) وجاء اسم الفاعل من غير الثلاثي مثل : (المشرف – المعبر – المنادي – المفسّر- المطرب – المغني) .

ومن الملاحظ أن اللفظتين الأخيرتين تستخدمان بمعني واحد هذه الأيام ، فالمطرب عندنا هو المغني ، وإن كانت الأولي أكثر احتراماً وتقديراً من الأخيرة ، تماماً مثل : فنان وممثل – إعلامي ومذيع ، ولكن هل كان بين المطرب والمغني من فرق في المعني على أيامهم، وفي عصرهم السابق ؟.

نبدأ من تعبير اللفظين في المنام فنلحظ أن هاتين وضعتا بجوار مهن أخري : (الطبال – الزمار – الشاعر) وهذا من المنطق والبداهة ، أما عن تأويل اللفظين ، فيقول ابن شاهين : " المغني يؤول بالحكيم العالم " يا إلهي المغني يؤول بالحكيم والعالم !! ليس هذا فقط ولكن انظر :" المطرب يؤول برجل مرتكب الحرام "كيف نفسر الهوة الواسعة بين تأويل المغني والمطرب؟.

نستشير ابن منظور [١] :" في الحديث : ليس منا من لم يتغن بالقرآن ، وفي الحديث الآخر : ما أذن الله بشيء كإذنه لنبي يتغني بالقرآن ، عن الشافعي أنه قال : معناه تحسين القراءة وترقيقها ، قال : ومما يحقق ذلك الحديث الآخر : زينوا القرآن بأصواتكم ... قال ابن الأعرابي : كانت العرب

١- لسان العرب ١٩/٣٧٣-٣٧٤

تتغني بالرُّكباني – نشيد بالمد والتمطيط – إذا ركبت الإبل ، وإذا جلست في الأفنية ، وعلى أكثر أحوالها ، فلما نزل القرآن الكريم أحب النبي – صلي الله عليه وسلم – أن يكون " تغنيهم بالقرآن بدل التغني بالرّكابي .

وفي حديث عائشة :" كان عندي جاريتان تغنيان بغناء بعاث " أي تنشدان الأشعار التي قيلت يوم بعاث وهي حرب كانت بين الأنصار ، ولم ترد الغناء المعروف بين أهل اللهو واللعب ، وقد رخص عمر – رضي الله عنه – في غناء الأعراب ، وهو صوت كالحُداء .

من كل ما سبق يتضح أن الغناء هنا ليس أمراً محظوراً أو محرماً ، بل بدأ من الرّكباني – وربما كان نوعاً من الغناء الشعبي قبل الإسلام – إلي الإذن أو الأمر بالتغني بالقرآن الكريم – بالمد والتمطيط – أو بما يشبه القراءة المجودة الآن ، وفي غناء بعاث الذي فسر على أنه : (إنشاد للأشعار) لا غناء اللهو واللعب ، أو على أنه نوع من حداء الإبل ، كل هذا يشير إلي أن الغناء بالشكل الذي ورد في هذي السطور كان مباحاً في المجتمع الإسلامي .

أما (الطرب) و(المطرب) فالأمر فيه مختلف : " الطرب خفة تعتري عند شدة الفرح أو الحزن والهم ، وقيل : حلول الفرح ، وذهاب الحزن ... واستطرب طلب الطرب واللهو ، ويقال : طرّب فلان في غنائه تطريباً إذا رجّع صوته وزينه ، والتطريب في الصوت مده وتحسينه ، وطرّب في قراءته مدّ ورجّع ، وخص بعضهم به المُكاء [1] .

وهكذا نتصور الطرب درجة من درجات الخفة ، وحالة من (السلطنة) تعتري السامع ، وتصل إلي اللهو ، حتى وصل الأمر إلي اعتبار الطرب مختصاً

١- السابق ٢/٤٥-٤٦.

بالمُكاء ، وهو : " الصغير على نحو طير أبيض يقال له المَكَّاء ، وكان بأرض الحجاز [1] " قال تعالي :" وما كان صلاتهم عند البيت إلا مُكاء وتصدية " لقد كانت قريش تطوف بالبيت عراة ، تصفر وتصفق ، فالمكاء الصفير والتصدية التصفيق .

وكان المشركون من قريش يصنعون هذا ليُخلطوا بهذا على النبي – صلي الله عليه وسلم – صلاته ، أو ليستهزئوا بالمؤمنين ، وقيل (التصدية) صدهم عن سبيل الله ، ولهذا كله نري أنه من المنطقي أن يعبر (المطرب) بأنه رجل مرتكب الحرام ،فما رأي القارئ الكريم في هذا التفسير ؟.

خلاصة ما سبق قارئيّ الأكارم أنه تسود ثلاث صيغ صرفية في أسماء المهن كما ورد عن ابن شاهين – هي صيغة (فعَّال – المحلي بياء النسب المشددة – صيغة اسم الفاعل ، خاصة من الثلاثي بزنة فاعل) هذي الصيغ السالفات جاءت في مجموعها = ١٠٢ من مجموع ألفاظ المهن =١٠٦ ألفاظ إذن بقي لدينا أربع فقط ،هي : (الطبيب – الوكيل – السمسار – الإسكاف).

أما الأخيرتان فهما من أصل غير عربي ، جاء في المعجم الوسيط [2] "السمسار" : الوسيط بين البائع والمشتري لتسهيل الصفقة ، وسمسار " الأراضي والعقارات " العالم بها ، الجمع سماسرة ، فارسي معرب " هذا عن اللفظة الأولي .

أما عن الأخرى (إسكاف) والتي تحليها العامة في مصر بياء النسب فتقول : (إسكافي) أو الإسكافي ، فقد جاء في الوسيط أيضاً :" صانع الأحذية

١- ابن كثير : تفسير القرآن العظيم ٣٠٦/٢.
٢- ٤٦٥/١.

ومصلحها ،والجمع أساكفة " ولكني أري أنها لم تعد تستخدم الآن في اللهجة المصرية المعاصرة ، بل نجد الآن لفظتين أخريين : (الجزمجي) أو (الجزماتي) .

ويقول طوبيا العنيسي [1] :" سكّاف واسكاف- أي الخفّاف- مأخوذ من كفش- الفارسي ، أي الخُف" ومن الملاحظ أن العربية جعلت الشين المعجمة سيناً مهملة ، كما قلبت ترتيب صوامت اللفظ الفارسي (ك ف ش) إلي (س ك ف) ثم اشتقت منه صيغة فعّال العربية (سَكّاف) مثل (بيّاع) .

وفي مرحلة لاحقة سقطت حركة السين ، وهي الفتحة القصيرة وخفف تضعيف الكاف بعدها ، لتصبح الكاف متلوة بالفتحة الطويلة فقط بعد الكاف المخففة غير المشددة ، مما جعل العربية تُعوض عن فقد هذين العنصرين من الكلمة (الفتحة بعد السين – تضعيف الكاف) إلي التعويض بعنصرين آخرين: (همزة الوصل – الكسرة القصيرة بعدها) ثم جاء تطور أخير في الكلمة ، حيث تحولت همزة الوصل إلي همزة قطع ، فأصبحت :(إسكاف) وليس (سْكاف) ومن ثم فهذي اللفظة برغم أنها من أصل فارسي ، إلا أنها يمكن أن توضع في صيغ (فعّال) التي تعني النسب إلي المهنة ، كما في (نجار– ملاح – كحّال).

أما لفظتا (طبيب – وكيل) فنبدأ بالأخيرة منها " وكّله على الأمر ، والاسم الوَكالة والوِكالة ، ووكيل الرجل الذي يقوم بأمره سمي وكيلاً لأن موكله قد وكل إليه القيام بأمره ، فهو موكول إليه الأمر ، والوكيل على هذا القول فعيل بمعني مفعول [2] " أي وكيل بمعني موكول .

١- تفسير الألفاظ الدخيلة ص ٣٦، يتفق العنيسي مع المعجم الوسيط في أن (سمسار) ليست عربية إلا انه يري أنها من أصل آرامي ، معناه المساوم .

٢- لسان العرب ٢٦٣/١٤.

الوكالة التجارية بشكل خاص كانت فاشية مشهورة في المجتمعات والتجمعات الإسلامية ، تذكر بعض المراجع التاريخية :" أن المسلمين من المغرب ومصر كانوا في العقود الأخيرة للقرن السابع الميلادي – الأول الهجري – يغشون الأشواق الرئيسة في إفريقية ، بل إن بعضهم كان يقيم هناك سفيراً أو وكيلاً لمن يسكن في ساحل البحر المتوسط من التجار ، فتأتي البضائع ليوزعها على الأهالي ، كما يجمع منهم تلك البضائع التي يصدرها إلي الساحل ، ومن هناك إلي أوربة والشرق ، بعض هؤلاء الوكلاء استقروا فيما بعد ، وتزاوجوا مع الأهالي ، وأصبحوا جزءا لا يتجزأ منهم [١] .

معني هذا أن بعض التجار ، أو كما نسميهم الآن رجال الأعمال كان ذا تجارة واسعة النطاق ، ومن ثم كان يستطيع أن يباشر العمل بمفردة ، فكان يستخدم وكيلاً عنه في بعض الموانئ والمراكز التجارية الرئيسة والأسواق [٢] والمدائن المهمة .

هذه المهنة إذن كانت وكالة تجارية لكبار التجار ، خاصة في التجارة الدولية ، أي بين الدول ، تماماً كما يحدث الآن عندما تفتح الشركات الكبرى توكيلات لها في الأقطار المهمة والعواصم الكبرى لشركاتها فيكون لها وكلاء على مستوي العالم لينوبوا عنها في تصريف البضاعة وبيعها أو الشراء ، أو في التصدير وفي الاستيراد أيضاً .

ونختم بأن كلمة (وكيل) هو اسم من أسماء الله الحسني أي : " الكفيل بأرزاق العباد وكل شئونهم الحافظ لهم " والوكيل الذي يسعى في عمل غيره ،

١- غلادنت ، د. شيخو : حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا ، ص ١٩.
٢- أبو رية ، د. عطا : اليهود في بلاد المغرب ، ص ٧٧.

وينـوب عنـه [١] مثـل تـوكيلات النـاس إلـي المحـامين للـدفاع عنـهم ، أو توكيـل البنـت لمـن يعقـد قرانـها ، أو التوكيـل العـام أو الخـاص فـي البيـع والشـراء أو التوقيع نيابة عن الموكّل ، على ما يعهده الناس في مصر الآن .

إضافة إلي وظيفة (وكيل) فـي الوزارات والكليات والمعاهد والمدارس والمديريات والإدارات المختلفة في الدولة ، مثل (وكيل الوزارة – وكيل الكلية أو المعهد أو المدرسـة أو المديريـة أو الإدارة أو كيل النيابـة) .... الـخ فهـذي وظائف إدارية ن لا تجارية موجودة في إدارة الدولة .

بقـي أن نتسـاءل مـا تأويـل الوكيـل فـي المنـام ؟ يقـول ابـن شـاهين [٢] : "الوكيل يؤول بالخير والإقبال ، فمن رأي أنه وكيل ملك ، وهو قائم في أشغاله بالعدل والإنصاف فإنه يدل علـى حصـول الخيـر والإقبـال ، وكذلك إذا رآه وكيلَ القاضي ، فإن لم يكن في وكالة القاضي منصفاً فإنه لا خير فيه ".

وهكـذا تـرتبط الوكالـة هنـا بـالإدارة لا بالتجـارة ، ويـؤول الوكيـل بـالخير والإقبـال لأنـه يـرتبط بالعظمـاء والأكـابر فـي الـدنيا مثـل الملـك والقاضـي ، كمـا يشترط للتأويل السابق أن يقوم الوكيل بالعدل والإنصاف فيما أوكل إليـه ، و إلا فإنـه لا خير ولا إقبال ، وهكذا يمثل هذا التفسير روح الحضـارة الإسـلامية التـي تتوخي العدل وإنصاف الناس حتى في المنام .

إذن فلفظة (وكيل) هي فعيل بمعني مفعول ، أي موكـول ، وهـي اللفظـة الوحيدة فـي ألفـاظ المهن التـي وجدناهـا هكذا ، والآن لـم يبق لـدينا غيـر لفظـة (طبيب) فمـاذا عنـها ؟:

١ـ المعجم الوسيط : ٢/١٠٩٧.
٢ ـ ٢/٣٤١.

في لسان العرب [1] :" الطبيب في الأصل الحاذق بالأمور العارف بها ، وسمي الطبيب الذي يعالج المرضي ، وكني به هنا عن القضاء والحكم بين الخصوم؛ لأن منزلة القاضي من الخصوم بمنزلة الطبيب من إصلاح البدن ... وجمع القليل أطبة ، والكثير أطباء "

جاء في شرح شافية ابن الحاجب [2] :" ويجيء فعيل فيما حقه فعِل – أي من الصفة المشبهة – كسقيم ومريض ، ومجيء فعيل في المضاعف والمنقوص اليائي أكثر كالطبيب واللبيب والخسيس والتقيّ والشقيّ" ومن ثم فإن (طبيب) صفة مشبهة ، كانت في الأصيل بزنة (فعِل) أي (طَبِب) ولكن العربية رأت أن تمد كسرة الباء القصيرة إلي ياء مد (كسرة طويلة) حتى تتسع المسافة بين الصامتين المتماثلين (الباءين) فهذا أسهل للنطق وأيسر ومن ثم كانت الصفة المشبهة (طبيب – لبيب) بدلاً من زنة (فعِل) منهما .

نخلص من هذا كله فيما يتعلق بألفاظ المهن كما جاءت عند ابن شاهين أن معظم هذي الألفاظ جاءت على وزن (فعّال) ٦٠% من الألفاظ تقريباً ، يقول سيبويه تحت عنوان : (هذا باب من الإضافة تحذِف فيه ياءي الإضافة) لاحظ أن يستخدم مصطلح (الإضافة) وليس (النسب) كما أنه يقول (ياءي الإضافة) بتثنية الياء ، لأنه يعتبر ياء النسب المشددة ياءين ، الأولي ساكنة والثانية متحركة ، كما كنا نحفظ : الحرف المشدد حرفان الأول ساكن ، والثاني متحرك .

١- ٤٢/٢، ٤١.
٢- الاستراباذي : ١٤٧/١.

وقد عالجت هذي النقطة في بعض دراساتي وبحوثي ، فذكرت أن الصامت المشدد – أو الصوت اللين [1] – هو من الناحية النطقية البحتة هو صامت مضاعف الزمن فقط ، مثل الحركة الطويلة التي تتميز عن نظيرتها القصيرة بمضاعفة هذه الحركة الأخيرة .

أما من الناحية الوظيفية فهما صامتان اثنان ، وليس صامتاً واحداً ،ولكن ماذا قال سيبويه تحت العنوان السالف ؟ جاء في الكتاب [2] :" وذلك إذا جعلته صاحب شيء يزاوله ، أو ذا شيء ، أما أن يكون صاحب شيء يعالجه ، فإنه مما يكون فَعّالاً ، وذلك قولك لصاحب الثياب ثوّاب ، ولصاحب العاج عوّاج ولصاحب الجمال جمّال ، ولصاحب الحُمُر التي يعمل عليها حمّار ، والذي يعالج الصرف صرّاف ، وذا أكثر من أن يحصي "

وبعد هذا بسطور يقول الشيخ سيبويه [3] :" ونقول لمن كان شيء من هذه الأشياء – اللبن والتمر والنبل – صنعته : لبّان وتمّار ونبّال ، وليس في كل شيء من هذا قيل هذا ، ألا تري أنك لا تقول لصاحب البر برّار ، ولا لصاحب الفاكهة فكّاه ، ولا لصاحب الشعير شعّار "

وهكذا يشير الشيخ العظيم عبقري العربية إلي حقيقتين مهمتين فيما يخص صيغة (فعّال) لصاحب المهنة :

أولاهما : أن ورود هذه الصيغة لأصحاب المهن كثير ، ولا يحصي وهذا ما يتفق مع الإحصائية التي أجريناها على صيغ ألفاظ المهن لدي ابن شاهين ثلاثة أخماس هاتيك الصيغ جاء على (فعّال) كما سلف .

١- الواو في مثل (وقف – موقف) والياء في مثل (يَمْ – مِنْ).
٢- ٣٨١/٣.
٣- ٣٨٢/٣.

الثانية :- أن هذه الصيغة سماعية ، فلا يقاس عليها غيرها من المهن وهذا تقديرا واعٍ من شيخ شيوخ العربية لواقع اللغة وحقائقها على أرض هذا الواقع .

ومن ثم استخدمت هذه الصيغة (فعّال) وهي في الأصل صيغة مبالغة من اسم الفاعل على نوع من توسيع المعني أو التوسع في المعني من المبالغة في فعل الشيء إلي اتخاذ هذا الشيء حرفه له وصنعة،وهذه مبالغة في المبالغة ، أو مبالغة المبالغات في بابها .

أما الصيغة التي جاءت مضافة إلي يائي النسب – على حد تعبير سيبويه – فقد جاءت في حدود الخمس أيضاً ، وهذا لا شية فيه ، ولا إشكال ، إنما المشكلة في صيغة اسم (فاعل) سيما الذي جاء من غير الثلاثي ، وكلاهما كان ١/٥ الألفاظ تقريباً ، وهنا حاولت أن أقرأ بإمعان ما كتبة علماء الصرف ، خاصة المتأخرين ، أي زمناً وزماناً ، فوجدت الآتي :-

جاء في شرح الأشموني[1] (ت ٩٢٩هـ) لألفية ابن مالك ت ٦٢٩هـ " يستغنى عن ياء النسب غالباً بصوغ <u>فاعل</u> مقصوداً به صاحب الشيء ، كقول الحطيئة:-

وغرَّرْتني وزعمت أنـ :. نكَ لابن في الصيف تامر

قال سيبويه : أي صاحب لبن وتمر ، وقالوا : فلان طاعم كاسٍ،أي ذو طعام وكسوة ، ومنه قول الخطيئة أيضاً :

دع المكارم ، لا ترحل لبغيتها :. واقعد فإنك أنت الطاعم الكاسي

---

[1] - ٣٤٢/٤- ٣٤٥بتصرف.

وقول النابغة:

كليني لهم - يا أميمة – ناصب .:. وليل أقاسيه بطيء الكواكب

أي ذو نصب ، وقد يستغني عن ياء النسب بصوغ فعّال مقصوداً به الاحتراف كقولهم : بزّاز و عكّار[1] ، وقد يقوم أحدهما مكان الآخر ، فمن قيام فاعل مقام فعّال قولهم حائك في معني حوّاك ، لأنه من الحرف "

إذن يقر الأشموني أن صيغة (فاعل) تأتي للتعبير عن (فعّال) لمعني الحرف ، أو بتعبير آخر يمكن التعبير عن صاحب الحرفة بإحدى الصيغتين (فاعل) أو (فعّال) وإن كانت الأخيرة أكثر ، كما رأينا قبل ذلك .

ولكن ماذا عن الصيغ الأخرى؟ قال رضي الدين الاستراباذي (ت ٦٨٦هـ) :" وكما استعملوا فعّالاً لما كان في الأصل للمبالغة في اسم الفاعل في معني ذي الشيء الملازم له ، استعملوا فَعِلا أيضاً ، وهو بناء مبالغة من اسم الفاعل ، نحو : عَمِل للكثير العمل ، وطحِن ولبس ولسِن ، في معني النسبة ، فاستعملوه في الجوامد ، نحو رجل نهر ، لصاحب العمل بالنهار ورجل حَرح – بحاءين مهملتين – وسَتِه[2] بمعني : حِريّ واستي ، أي الملازم لذلك الشغل ، فعلي هذا ليس النسب مقصوراً على فاعل وفعّال ، بل يجيء عليه اسم الفاعل من الثلاثي وغيره نحو مُرضع ومنفطر ، ويجيء من أبنية مبالغة اسم الفاعل ، نحو فعّال وفَعِل ".

١- عكر : فر من قِرْنه ، ثم عَكَر عليه بالرمح ، أي كر عليه كنوع من المناورة والمداورة ، ويقال فلان فَرّار عكّار ، في الحديث : قلنا يا رسول الله ، نحن الفرّارون ؟ قال بل انتم العكّارون ، انظر أساس البلاغة ٢- ١٣٥.

١- الاست : العَجُز ، وقد يراد به حلقة الدبر ، وستِه الرجل ستِها ، عظم عجزه ، فهو أستَه . وهي : ستهاء ، أما (حَرح) فقد جاء في المعجم الكبير :" حَرح الرجلُ المرأة حَرْحا أصاب حِرَها ، وحَرح الرجل حَرحا ، فهو حَرح : أولع بالمرأة " وفي لسان العرب :" الحِرُ مخفف ، وأصله حِرْح ، فحذف على حد الحذف في شفة،والجمع أحراح ، والحِرحِرُ المرأة ، وفي حديث أشراط الساعة : يستحل الحِرُ والحرير ، ومن أمثال العرب :احمل حِرَك أودَعْ ،قالته امرأة أدلت على زوجها عند الرحيل ، تحثه على حملها ولو شاءت لركبت".

وعليه فإننا نضيف باقي الصيغ التي جاءت على غير (فعّال – فاعل) إلي هاتين الصيغتين ، هذه الصيغ التي نضيفها هنا هي على وجه التحديد :

- ما جاء على زنة اسم الفاعل من غير الثلاثي ، مثل : (معبّر – مفسّر – مشعبذ [1]) .
- ما جاء على زنة (فعيل) كما وجدنا في (وكيل – طبيب) وقد حدث الانتقال من معني هاتين الصيغتين (مُفعّل – فعيل) إلي نوع من التوسع لهذا المعني ، حتى غدا هذا العمل حرفة لصاحبه مصاحبة له وملازمة ، تماماً كما حدث للصيغتين (فعّال – فاعل) في أسماء أصحاب المهن .
- ولكن هل هذه الألفاظ المائة والستة هي كل ألفاظ المهن عند ابن شاهين ؟ كلا ، هناك ألفاظ أخر من أبواب أخر في كتاب ابن شاهين وقد جمعنا من هاتيك الأبواب ١٦ لفظاً ، وهي تتراوح في صيغها الصرفية ما بين فاعل = ٨ ألفاظ ، ثم فعّال = ٤ ألفاظ ، وأخيراً فعيل = ٤ ألفاظ ، مثل : (حاجب – نائب – سجّان – جلاد – وزير – فقيه).

فإذا أضفنا ١٠٦ إلي ١٦ كان المجموع = ١٢٢ ، الصيغة الأولي في كثرة الاستخدام (فعّال) ثم (فاعل) ثم المحلاة بياء النسب ، وأخيراً صيغة (فعيل) والتي لم تزد عن ٦ مرات من ١٢٢ = أقل من ٥% تقريباً .

١- الشعودة : خفة في اليد وأخذ كالسحر ، يري الشيء على غير ما عليه أصله في رأي العين ، ورجل مشعوذ ومشعبذ حرفته الشعوذة أو الشعبذة ، جاء في لسان العرب :" الشعوذة مستعمل ، وليس من كلام أهل البادية " ٢٩/٥ ، والدليل على هذا أنه ورد في ألفاظ أصحاب المهن لدي ابن شاهين ، والذي عاش في القرن التاسع الهجري إلي قرب نهايته .

اسس تفسير الأحلام

نحاول هنا بيان الأسس التي يعتمد عليها تفسير المنامات ، إذ المسألة - من وجهة نظري - أكبر من محاولة تفسير ما يراه النائم ؟ إننا لو حصرنا أنفسنا في هذه النقطة الأخيرة نكون قد بسطنا الموضوع وقربناه أكثر من اللازم ، وحصرناه في نقطة صغيرة من السهل جداً التعامل معها ، كما سيأتي .

وسوف نعتمد هنا على مقدمات المؤلفين الثلاثة وخاتماتهم في كتبهم : أي (ابن سيرين ، ابن شاهين ، النابلسي) فماذا عند هؤلاء الرجال الثلاثة ؟ إن في جعبتهم الكثير والكثير ، نبدأ ببعض الممهدات ، نثني خاتمين بأسس تفسير الأحلام فنقول :

١- ما أول رؤيا في التاريخ ؟ إنها رؤيا أبينا آدم - عليه السلام - فعن وهب بن منبه [1] (ت ١١٠ هـ) قال :" أوحي الله تعالي إلي آدم - عليه السلام - أنك قد نظرت في خلقي فهل رأيتَ لك فيهم شبيهاً ؟ قال : لا يارب ، وقد كرمتني وخلقتني وعظمتني فاجعل لي زوجاً يشبهني أسكن إليها حتى توحدك وتعبدك معي ، فقال الله تعالي : نعم .

وألقي علي آدم - عليه السلام - النعاس ، فخلق منه حواء على صورته وأراه في منامه ذلك ، فانتبه وهي جالسة عند رأسه فقال ربه : يا آدم ، ما هذه الجالسة عند رأسك ؟ فقال آدم : الرؤيا التي أريتني في منامي يا إلهي [2].

١- انظر ترجمته في صفوة الصفوة لابن الجوزي ٢٩١/٢.
٢- ابن سيرين ١٦/١.

وجاء في قصص الأنبياء لابن كثير [1] :" أخرج إبليس من الجنة ، وأسكن آدم الجنة ، فكان يمشي فيها مستوحشاً غير مؤتنس بأحد ، فليس له فيها زوج يسكن إليها ، فنام نومة استيقظ بعدها وعند رأسه امرأة قاعدة،خلقها الله من ضلعه فسألها: ما أنت ؟ قالت: امرأة ، ولم خلقتِ ؟ قالت : لتسكن إليّ ، فقالت له الملائكة – ينظرون ما بلغ من علمه - ما اسمها يا آدم ؟ فقال : حواء ، قالوا ولم كانت حواء ؟ قال : لأنها خلقت من شيء حي.

وهكذا قضت العناية الإلهية بأن يكون أول حالم في تاريخ البشرية هو رجل أو هو الرجل ، لأنه لم يك معه غيره ، ولكن موضوع هذا الحلم الأول لأبينا آدم – عليه السلام – هو المرأة الأولي في تاريخ بني آدم ، أمنا جميعاً حواء .

٢- ولكن هل الإيمان بالرؤيا الصادقة جزء من الإيمان بالله تعالي ؟ قد أورد النابلسى في مقدمة كتابه [2] حديث :" من لم يؤمن بالرؤيا الصالحة لم يؤمن بالله ، ولا باليوم الآخر " إذ رؤيا الأنبياء وحي – كما سبق – ورؤيا غيرهم إن فسرها نبي كانت حقاً صادقة ، والرؤيا الصالحة الصادقة جزء من النبوة أو هي من المبشرات .

٣- فإذا رام المرء رؤيا صادقة فماذا يصنع [3] ؟

أ- ينام على وضوء وعلى جانبه الأيمن .

ب- يذكر الله ويدعو بهذا الدعاء المروي عن الإمام جعفر الصادق - رضي الله عنه - وهو :" اللهم إني أسلمت نفسي إليك ،ووجهت

١- ١٤،١٥.

٢- ١/ ٣.

٣- ابن شاهين ٢/ ٣٦٢.

وجهي إليك ، وفوضت أمري إليك ، رهبة ورغبة إليك ، لا ملجأ ولا منجي إلا إليك ، آمنت بكتابك الذي أنزلت ونبيك الذي أرسلت تباركت ربنا وتعاليت ، أنت الغني ونحن الفقراء إليك ، أستغفرك وأتوب إليك ، يارب : أنا هارب منك إليك ، اللهم أرني رؤيا صادقة غير كاذبة ، صالحة سارة، غير محزنة ، نافعة غير ضارة ".

يقول ابن شاهين [1] : وإذا استيقظ يذكر الله تعالي ، ويقص رؤياه على معبر ، ومهما عبر له يعتمد عليه .

أما ابن سيرين [2] فيري أنه لكي تصدق الرؤيا فعلي المرء ما يلي :

أ- أن يتعود المرء الصدق في أقواله ، كما سبق .

ب- أن يحافظ على الفطرة جهده ، كيف ؟ لقد كان النبي – صلي الله عليه وسلم – يسأل أصحابه كل يوم : هل رأي أحد منكم البارحة رؤيا ؟ فيقصونها عليه فيعبرها لهم ، ثم سألهم أياما فلم يقص عليه أحد منهم رؤيا ، فقال لهم:" كيف ترون وفي أظفاركم الرُّفغ[3] " وذلك أن أظفارهم قد طالت ، وتقليمها من الفطرة .

جـ- أن لا ينام على فكرة وتمني شيء مما رآه .[4]

ء - أن يحدث بالصدق ، ويكره الكذب من غيره .

هـ - أن يحذر الثلاثي المدمر : (الكذب – الغيبة – النميمة [5]).

١- السابق .

٢- ١/ ١٨.

٣- الرُّفغ : كل موضع يجتمع فيه الوسخ من البدن ، انظر : المعجم ، الوسيط ١/٣٧٤.

٤- ابن سيرين ص ١/١٨.

٥- النابلسي ص ١/٦.

ومن الجدير ذكره هنا أن الميت في دار الحق ، فما قاله للرائي في المنام فهو حق ، كذلكم الطفل الذي لا يعرف الكذب ، إضافة إلي أن الدواب وسائر الحيوان والطيور إذا تكلمت في المنام للرائي فقولها حق ، وبشكل عام فإن كلام مالا يتكلم كالجمادات هو آية وأعجوبة ، وهو كلام مصدق .

ومن ناحية أخري وتأسيساً على ما سبق فإن كلام الكاذب في اليقظة كالمنجم والكاهن هو أيضاً كاذب في المنام كذلك [1]، فالصدق في اليقظة يؤدي إلي صدق المنام ، والعكس صحيح، كاذب اليقظة غير مصدق أيضاً في الرؤى والمنامات .

٤- فما جزاء من يكذب في رؤياه ؟ روي عن النبي – صلي الله عليه وسلم - :" من كذب في الرؤيا كلف يوم القيامة عقد شعرتين ، ومن كذب على عينيه لا يجد رائحة الجنة ، وإن أعظم الفرية أن يفتري الرجل على عينيه ، يقول : رأيت ولم ير [2] شيئاً ".

وينقل النابلسى [3] عن بعض العلماء :" الكاذب في الرؤيا مدعي النبوة لأنه ورد في الحديث أن الرؤيا جزء من أجزاء النبوة ، ومدعي الجزء كمدعي الكل.

٥- فهل من الممكن أن تكون الرؤيا لغير الرائي ؟ نعم ، فكيف ذلك ؟ يقول النابلسي :" وقد يري المرء الرؤيا فتكون لغيره كأبي جهل بن هشام الذي رأي في المنام أنه دخل في دين الإسلام ، وبايع رسول الله –

١- السابق .
٢- النابلسي ، ٧/١.
٣- السابق .

صلي الله عليه وسلم – فكان لهذا لابنه عكرمة ، رضي الله تعالي عنه[1] .

أما حَبْر المعبرين ابن سيرين فيقول :" وربما رأي الإنسان الشيء فعاد تأويله إلي شقيقه أو سميّه أو صديقه أو جاره أو شبيهه في فن من الفنون " ولكن ابن سيرين [2] ينبه إلي شيء مهم ، هو :" ولا تنقل الرؤيا أبداً برأسها عمن رؤيت له إلا أن تليق به معانيها ".

ويفهم مما سبق أن الأصل في الرؤيا إنما يكون لمن رؤيت له ، لا تنصرف لغيره إلا أن تليق به ، ولا تليق بمن له رؤيت ، فقد رأيت ذات مرة أن أحد أصدقائي واسمه (عمر) قد بني قصراً في دمياط الجديدة ، ولكن اتضح أن الباني ليس عمر ، وإنما هو (مصطفي) إنه يعمل معي في نفس بالجامعة وفي ذات التخصص ، وقامته قريبة من قامة الصديق الآخر ، ويجمع بينهما معرفتي بهما وصداقتي لهما . والرأي أن الذاكرة مسئولة عن هذا اللبس ، إن الذاكرة قد تخون صاحبها في حال اليقظة ، فما بالنا في الرؤى المنامية ، هذا ما أراه ، والعلم عند ربي .

٦- فما هي أصناف الرؤيا الحق وأضرابها ؟ يجيب النابلسي عن هذا التساؤل بقوله : الرؤيا الحق خمسة أصناف [3] :

أ- الرؤيا الصادقة الظاهرة ، مثل رؤيا الأنبياء ، إبراهيم ومحمد – عليهما الصلاة والسلام – وهي جزء من النبوة ، أو هي وحي من الله – تعالي لأنبيائه.

١- السابق .
٢- ١/٥ .
٣- النابلسي ١/ ٤.

ب- بشري من الله : قال – صلي الله عليه وسلم - :" خير ما يري أحدكم في المنام أن يري ربه أو نبيه أو يري أبويه مسلمين[1]" فالرسول – عليه الصلاة والسلام – يحدد للرائي خير ما يراه ، رؤيا الله أو النبي أو الأبوين المسلمين .

جـ- ما يريه ملك الرؤيا – واسمه صديقون – على ما علمه الله من نسخة أم الكتاب ، وألهمه من ضرب أمثال الحكمة لكل شيء من الأشياء بمثل معلوم معروف .

ء- الرؤيا المرموزة : وهي من الأرواح ، ومثالها أن يري إنسان في منامه من يقول له :(إن امرأته تريد أن تسقيه السم على يد صديقه فلان) والتفسير هنا هو أن امرأته تريد أن تخونه مع صديقه ، فالخيانة مستورة كاسمها ، هي موضوعة تحت مسمي (السم) ومن هذا القبيل ما يكون من كلام الأموات ، إذ لا يكون إلا بأرواحهم .

هـ - الرؤيا التي تصح بالشاهد ، ويغلب الشاهد والدليل عليها ، فيجعل الخير شراً ، والشر خيراً ، كمن يضرب بالطنبور[2] في المسجد فإنه يتوب إلي الله من الفحشاء والمنكر [3] ذلك أن ضرب الطنبور وإن كان شراً في حد ذاته في الثقافة الإسلامية ، إلا أن وقوعه في المسجد – وهو خير البقاع في الأرض – جعله خيراً ، ومن ثم لا تدخله الشياطين .

١- السابق .
٢- آلة موسيقية قديمة ،انظر شكلها في المعجم الوسيط ٥٥٨/٢
٣- النابلسي ٤/١.

والعكس صحيح تماماً فإن المكان يمكن أن يحول العمل الخيّر المرغوب فيه إلي شر مستطير، كمن يري أنه يقرا القرآن في الحمام فإنه يشتهر في أمر فاحش أو بعَوَر ، لأن الحمام موضع كشف العورات ، ولا تدخله الملائكة [1] .

ومن ثم فإن قراءة القرآن في مثل هاتيك الأماكن هي شر صراح ، لا خير فيه ، بسبب مكان القراءة ، مع أن القراءة في حد ذاتها هي خير لا شية فيه.

ومن أصناف الرؤى ما ذكره ابن سيرين [2] :" إن الرؤيا الصادقة قسمان ، قسم مفسر ظاهر ، لا يحتاج إلي تعبير ولا تفسير ، وقسم مكني مضمر ، تودع فيه الحكمة ، والأنباء في جواهر مرئياته ".

ونعود إلي ملك الرؤيا لنقتبس قول دانيال [3] – عليه السلام - :" اسم الملك الموكل بالرؤيا صديقون ..." يضرب الأمثال للآدميين فيريهم بضياء الله من علم غيبه في اللوح المحفوظ ما هو كائن من خير أو شر ، ولا يشتبه عليه من ذلك .

ومثل هذا الملك كمثل الشمس ، إذا وقع نورها على شيء أبصرت ذلك الشيء به ، كذلك يعرفك هذا الملك بضياء الله – تعالي - كل شيء ، ويهديك ويعلمك – أيها القارئ – ما يمكن أن يصيبك دنياك وآخرتك من خيرٍ أو شر يبشر الناس بخير قدموه أو يقدمون ، وينذر بمعصية قد ارتكبت أو يمكن أن ترتكب [4] .

١- السابق .
٢- ٤/١.
٣- عن نبي الله دانيال – عليه السلام - انظر ابن كثير : قصص الأنبياء ، ص ٥٣٤ وما بعدها .
٤- النابلسي ٥/١.

آخر ما نذكره هنا عن أصناف الرؤى ما يقوله المعبرون من المسلمين:
" الرؤيا يراها الإنسان بالروح ويفهمها بالعقل ... فإذا نام الإنسان امتدت روحه مثل السراج أو الشمس ، فيري بنور الله وضيائه تعالي ما يريه ملك الرؤيا ... فإذا عادت الحواس – باستيقاظها – إلي أفعالها ذكرت الروح ما أراه ملك الرؤيا وخيل له [1]".

٧- فإذا رأي النائم ما يكره ، ماذا يصنع ؟ إذا انتهي من نومه قرأ آية الكرسي ، ثم دعا بهذا الدعاء :" أعوذ برب موسي وعيسي وإبراهيم الذي وفي ، ومحمد المصطفي ، من شر الرؤيا التي رأيتها أن تضرني في ديني ودنياي ومعيشتي ، عز جاره وجل ثناؤه ،ولا إله غيره"[2].

٨- فهل هناك أحلام باطلة ، وما هن هذي الأحلام البواطل ؟ يجيب ابن سيرين بقوله :" وأما الباطل منها فما تقدمه حديث نفس وهمة وتمنٍ ولا تفسير لها ، وكذلك الاحتلام الموجب للغسل جارٍ مجراه في أنه ليس له تأويل ، وكذلك رؤيا التخويف والتحزين من الشيطان ، قال الله تعالي : إنما النجوي من الشيطان ليحزن الذين آمنوا ، وليس بضارهم شيئاً،إلا بإذن الله [3]".

ويقول ابن سيرين أيضاً :"ومن ذلك " أي من الأحلام الباطلة " أضغاث الأحلام ، وهي أن يري الإنسان كأن السماء صارت سقفاً ، ويخاف أن يقع عليه ،أو أن الأرض رحى تدور ، أو ينبت من السماء أشجار ، أو طلع من الأرض نجوم ، أو تحول الشيطان ملكاً ، والفيل نملة ، وما أشبه ذلك ،ولا

١- النابلسي ١/٥.
٢- ابن سيرين ١٢/١.
٣- ١٠ المجادلة.

تأويل لها ، ومن ذلك رؤيا يراها الإنسان عند تشويش طبائعه " واضطراب نفسه ، فهذا من الرؤيا لا تأويل له أيضاً [1] .

وهكذا يوضح لنا ابن سيرين أنواع الرؤى التي لا يجب الالتفاف إليها ولا تأويل لها ، وهي : (حديث النفس وتمنياتها – الاحتلام الموجب للغسل – كوابيس الشيطان – وأخيرا المنامات العبثية اللامعقولة كما مثل شيخ المعبرين ابن سيرين).

٩- فعلي من تُقص الرؤيا ؟ سبق أن الرؤيا لا تقص إلا على عالم أو ناصح ، فلا تقص على حاسد ، لقد قال يعقوب ليوسف – عليهما السلام - :"يا بني لا تقصص رؤياك على إخوتك فيكيدوا لك كيداً [2]".

كما لا تقص الرؤيا على جاهل ، ولا صبي ولا امرأة ، ولا يقص المرء رؤياه على معبر وفي مصره أو إقليميه معبر أحذق منه وأكفأ ، فإن فرعون يوسف لما قص رؤياه على معبري بلده فقالوا : أضغاث أحلام ، لم تبطل رؤياه وسأل عنها يوسف- عليه السلام- فعبرها له ، فكانت كما عبر نبي الله[3].

١٠- وتتحدث كتب تفسير الأحلام عن طبقات المعبرين ، وقد وصل عددهم في بعض الكتابات إلي سبعة آلاف وخمسمائة معبر ، ثم اختصروا إلي ستمائة ، يقول النابلسى :" إن أشهرهم مائة ، وهم على طبقات" فما هي هذه الطبقات وما عددها [4] :

١- السابق ١٩/١.
٢- ٥ يوسف .
٣- النابلسى ٧،٦/١
٤- السابق ٣٥٥/٢وما بعدها .

الطبقة الأولي : المعبرون من الأنبياء ، مثل : (إبراهيم – يعقوب – يوسف – محمد) عليهم الصلاة من ربنا والسلام .

الطبقة الثانية : الصحابة ، مثل : (على بن أبي طالب – عبد الله بن عباس – سلمان الفارسي – أسماء بنت أبي بكر) ".

الطبقة الثالثة : التابعون (سعيد بن المسيب – الحسن البصري – سعيد بن جبير ...) رضي الله عنهم .

الطبقة الرابعة : الفقهاء (الشافعي – ابن حنبل – عبد الله بن المبارك ...) رحمهم الله .

الطبقة الخامسة : الزهاد (شفيق البخلي – مالك بن دينار ...) رحمهما الله .

الطبقة السادسة : من أصحاب التآليف في تفسير الأحلام (ابن سيرين – الحسن بن الحسن الخلال ...) رحمة الله عليهما .

الطبقة السابعة : الأطباء (جالينوس – أبقراط – محمد بن زكريا الرازي ...) .

الطبقة الثامنة : المعبرون من اليهود (حيي بن أخطب – كعب بن الأشرف) .

الطبقة التاسعة : النصارى (حنين بن إسحاق) .

الطبقة العاشرة : المجوس (أنو شروان) .

الطبقة الحادية عشر : المعبرون من مشركي العرب (أبو جهل – عمرو بن عبد ود – أبو طالب) .

الطبقة الثانية عشر : من الكهنة (سطيح – شق) .

الطبقة الثالثة عشر : من السحرة (عبد الله بن هلال – قرظ بن زيد الأيلى).

الطبقة الرابعة عشر: من أصحاب الفراسة (سعيد بن سنان – إياس بن معاوية).

وتري – عزيزي القارئ – أننا أسهبنا قليلاً في سرد هذي الطبقات الأربع عشرة لنشير إلي أمرين مهمين :

أولهما : ضخامة هذا التراث في فرع واحد أو جانب واحد ، هو تفسير الأحلام ، فما بالنا بباقي الفروع والجوانب الأخرى ، مما يوجب مزيداً من الاهتمام والإجلال لهذا التراث الضخم الذي نحن بأمس الحاجة إليه لإعادة النهضة إلي أمتنا العربية مرة أخري .

ثانيهما : وهو الأهم هنا أن هذا التراث العربي كان تراثاً عالمياً بكل ما للعالمية من المعاني ، وكان سبب هذه العالمية المتألقة هو قبول العرب والمسلمين للآخر وتفاعلهم مع هذا الآخر ، لقد أعطوا لكل ذي حق حقه ، فإنه لا يعرف الفضل لذوي الفضل إلا ذوو الفضل ، انظر لقد تحدث العرب عن معبري الرؤى ليس من العرب فقط ، وليس من المسلمين فقط ، بل ذكروا هؤلاء المعبرين من اليهود والنصارى والمجوس ومن مشركي العرب أيضاً ، بل ومن السحرة، كما نري .

ليس هذا فقط ، ليس هذا فقط ، بل أيضاً ذكروا شخصيات لها مواقف عدائية صارخة ضد المسلمين : (أبو جهل – عمر عبد ود – حيي بن أخطب – كعب بن الأشرف) ومع هذا لم يغمطوا هؤلاء المعاندين حقهم في الذكر والإشارة فوضعوهم ضمن طبقات المعبرين .

وقد يكون القارئ يعرف ماذا صنع أبو جهل مع محمد وصحبه ، ولكنه ربما لا يعرف ماذا صنع حيي بن أخطب وكعب بن الأشرف ، وفي إشارة عجلي نذكر طرفاً مما فعلاه ، تاركين التفصيل إلي المراجع المهتمة ، والتي نشير في الهامش إلي بعضها :

- حيي بن أخطب : كان من أشراف بني النضير ، وعند إجلاء القوم من المدينة سار إلي خيبر ، ولكنه لم يترك المسلمين في المدينة وشأنهم ، وإنما حاول التحريض عليهم ، وقد لعب مع فريق من بني النضير دوراً مهماً في الإعداد لغزوة الأحزاب ، لقد حرضوا قريشا وغطفان ضد المسلمين ، وقالوا :" إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله " يقصدون محمدا ، صلي الله عليه وسلم.

وعندما تساءلت الزعامة القرشية :" يا معشر يهود ، إنكم أهل الكتاب الأول والعلم بما أصبحنا نختلف فيه نحن ومحمد ، أفديننا خير أم دينه ؟" فماذا كان رأي الفريق المحرض ، ومنهم حيي ، لقد قالوا لقريش :" بل دينكم خير من دينه وأنتم أولا بالحق منه " فهم الذين أنزل الله تعالي فيهم : " ألم تر إلي الذين أوتوا نصيباً من الكتاب ، يؤمنون بالجبت [1] والطاغوت ، ويقولون للذين كفروا : هؤلاء أهدي من الذين آمنوا سبيلا ، أولئك الذين لعنهم الله ، ومن يلعن الله ، فلن تجد له نصيرا ... أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله " أي النبوة " فقد آتينا آل إبراهيم الكتاب والحكمة ، وآتينهم [2] ملكاً عظيماً ، فمنهم من آمن به ، ومنهم من صد عنه ، وكفي بجهنم سعيراً [3] " .

ولم يكتف ابن أخطب بهذا ، بل لعب الدور الحاسم في نقض بني قريظة عهدهم مع الرسول – صلي الله عليه وسلم – كيف ؟ لقد ذهب لمقابلة الزعيم

---

١ - ما يعبد من دون الله .
٢ - الضمير "هم " عائد على اليهود .
٣ - ٥١ - ٥٥ النساء.

القرظي كعب بن أسد " صاحب عقد بني قريظة وعهدهم ، وكان قد وادع رسول الله ـ صلي الله عليه وسلم ـ على قومه وعاقده على ذلك وعاهده[1] ".

وكان كعب بن أسد رجلاً عاقلاً فاهماً ، لما سمع بمقدم حيي أغلق دونه باب حصنه ، فأستأذن عليه ، فأبي أن يفتح له ، فناداه حيي من وراء الأبواب ودار الحوار التالي بين الرجلين :

كعب : ويحك يا كعب ، إنك امرؤ مشئوم ، وإني قد عاهدت محمدا ، فلست بناقض ما بيني وبينه ، ولم أرَ منه إلا وفاء وصدقاً .

حيي : ويحك !! افتح لي أكلمك .

كعب : ما أنا بفاعل .

حيي : والله ما أغلقت الحصن دوني إلا تخوفك على جشيشتك[2] أن آكل معك منها .

وهنا ثارت حفيظة كعب ففتح له ، فقال : ويحك يا كعب جئتك بعز الدهر وبجيوش جرارة ، جئتك بقريش وقادتها وسادتها ، وبغطفان وقادتها وسادتها قد عاهدوني وعاقدوني على أن لا يبرحوا حتى نستأصل محمدا ومن معه .

ويرد كعب ببصيرته الثاقبة : جئتني بذل الدهر وبسحاب لا ماء فيه ، فهو يَرْعد ويبرق ، ليس فيه شيء ، ويحك يا حيي ، فدعني وما أنا عليه ، فأنا لم أرَ من محمد إلا صدقاً ووفاء .

ولكن الداهية لم يزل يراوغه في الكلام والجدال ، يفتل له المبررات والافتراء حتى أثناه عن موقفه ، بل وأعطاه عهدا وميثاقاً : لئن رجعت قريش

---

١ ـ ابن هشام : السيرة النبوة ٢٢٠/٣.

٢ ـ طعام يصنع من (الدشيشة) والمقصود أن حيي يتهم الرجل بأن لم يفتح له لخوفه وبخله على طعامه أن يشاركه إياه .

وغطفان ولم يصيبوا محمدا أن يدخل حيي مع كعب في حصنه حتى يصيبه ـ أي حيي بن أخطب ـ ما يصيب زعيم بني قريظة ، الذي نقض عهده ، وبرئ مما كان بينه وبين محمد ، صلي الله عليه وسلم .

ولكن الرياح أتت بما لم يشته ابن أخطب ن لقد انسحب الأحزاب مذعورين مقهورين تحت جنح الظلام ، أشرق نور الصبح ، وبدأ المسلمون بوضع أسلحتهم والعودة إلي حياتهم المدنية ، ولكن جبريل ـ عليه السلام ـ جاء بالأمر الإلهي صريحاً صراحاً بالمسير إلي بني قريظة ، فأذن في الناس: " من كان سامعاً مطيعاً ، فلا يصلين العصر إلا في بني قريظة ".

وبعد حصار خمس وعشرين ليلة دب الرعب في قلوب القوم ، فقد أجهدهم الحصار ، وأيقنوا أن محمدا غير منصرف حتى يحاربهم ، وعندها خاطبهم زعيمهم قائلاً : يا معشر يهود ، قد نزل بكم من الأمر ما ترون ، وإني عارض عليك خلالاً ثلاثاً ، فخذوا أيها شئتم ، قالوا : وما هي ؟! .

قال : " نتابع هذا الرجل ونصدقه ، فوالله ، لقد تبين لكم أنه لنبي مرسل وأنه للذي تجدونه في كتابكم ، فتأمنون على دمائكم وأموالكم وأبنائكم ونسائكم" وكان هذا نعم الرأي من كعب ، ولكن قومه ردّوا عليه اقتراحه بقولهم : لا نفارق حكم التوراة أبداً ، ولا نستبدل به غيره .

قال كعب :" فإذا أبيتم عليّ هذه ، فهلمّ نقتل أبناءنا ونساءنا ، ثم نخرج إلي محمد وأصحابه رجالاً مصلتين السيوف ، لم نترك وراءنا نسلاً نخشى عليه ، وإن نظهر فلعمري لنجدن النساء والأبناء " أي يمكن أن نجد نساء نتزوجهن ، وننجب منهن أبناء لنا وبنات .

ولكن هذا الرأي رد كسابقه ، لقد قال القوم : نقتل هؤلاء المساكين فما خير العيش بعدهم ؟ ولكن الرجل لم ييأس منهم فأخرج آخر اقتراح من جعبته ، لقد قال : " فإن أبيتم عليَّ هذه ، فإن الليلة ليلة السبت ، وإنه عسي أن يكون محمد وأصحابه قد أمنونا فيها ، فانزلوا لعلنا نصيب من محمد وأصحابه غِرة".

قالوا :" نفسد سبتنا علينا ، ونحدث فيه ما لم يُحدث مَنْ كان قبلنا إلا من قد علمت ، فأصابه ما لم يخف عليك من المسخ " وهنا لم يعد أمام الزعيم ذي البصيرة إلا أن دعا عليهم قائلاً :" فما بات رجل منكم منذ ولدته أمه ليلة واحدة من الدهر حازماً " فكان الأمر كما قال ، حرموا جميعاً صواب الرأي والحزم إلي أن نزلوا على حكم الله ورسوله ، فقتلوا جميعاً ، وسبيت النساء والذرارى – الأطفال – وقمست الأموال .

وبلغ بهم من العَمَه والسذاجة أن قالوا لكعب بن أسد وهم يُذهب بهم إلي رسول الله – صلي الله عليه وسلم – لقتلهم :" يا كعب ، ما تراه يصنع بنا ؟ " يقول كعب :" أفي كل موطن لا تعقلون ؟! ألا ترون الداعي لا يَنزع [1] ، وأنه من ذهب منكم لا يرجع ؟ هو والله القتل " حتى عند القتل لم يفهموا الموقف ، ولم يتبينوه، لقد حرموا الحزم ، كما دعا عليهم زعيمهم .

وجيء بحيي بن اخطب وعليه حلة وردية اللون ، وقد قطع من كل ناحية منها قدر أنملة ، حتى لا ينتفع بها أحد بعد قتله ، أما يداه فقد جمعتا مع عنقه بحبل ، فلما نظر إلي رسول الله – صلي الله علي وسلم – قال :" أما والله ما لمت نفسي في عداوتك ، ولكن من يَخذل الله يُخذل " ثم أقبل على الناس ،

---

١ ـ المزيد من التفاصيل عما قام به حيي بن اخطب ، انظر : ابن هشام : ٢١٤/٣، ٢٢٠، ٢٣٤، ٢٣٦.

فقال : " أيها الناس ، إنه لا بأس بأمر الله ، كتاب وقتل ، ملحمة كتبها الله على بني إسرائيل " ثم جلس فضربت عنقه .

نعم لقد صدقت بأنك ما لمت نفسك في عداوة محمد – صلي الله عليه وسلم – وصدقت في أن من يَخذل الله يخذله الله ، ولكن لم يكتب الله عليك ولا على بني قريظة القتل ، وإنما أنتم سعيتم إليه ورغبتم ، مع يقينكم أن محمدا – صلي الله عليه وسلم – على الحق ، فكيف يموت قوم دفاعاً عن شيء هم على يقين ببطلانه ، ويعادون رجلاً ثبت لهم أنه لنبي مرسل ، وأنه للذي يجدونه عندهم في توراتهم التي يدعون التمسك بها ، لا يستبدلون بها غيرها ، ولا يفارقون حكمها " أم يحسدون الناس على ما آتاهم الله من فضله [1].

- كعب بن الأشرف : فماذا فعل هذا الرجل وماذا نعرف عنه ؟ عندما جاءت البشارة بانتصار المسلمين في بدر – في العام الثاني الهجري قال"أترون محمدا قتل هؤلاء ، إنهم أشراف العرب وملوك الناس والله لئن كان محمد أصاب هؤلاء القوم لبطن الأرض خير من ظهرها ".

وعندما تيقن بصدق الأنباء عن مقتل سادة قريش خرج حتى قدم مكة فنزل على المطلب بن أبي وداعة السهمي وزوجته عاتكة بنت أبي العيص بن أمية فأنزلته وأكرمته ، وجعل يحرض على رسول الله – صلي الله عليه وسلم – وينشد الأشعار ، ويبكي قتلي قريش في بدر :

طحنتْ رحي بدر لمهلك أهلـــــه .:. ولمثل بدر تَسْهَلّ [2] وتدمـع

قُتلت سَراة الناس حوله حياضهم .:. لا تُبْعدوا ، إن الملوك تُصرَّعُ

١- ٥٤ النساء .

٢- تسيل بالدمع .

كم أصيب به من أبيض ماجـــد .: ذي بهجة يأوي إليه الضُيّـــع [١]

طلق اليدين إذا الكواكب أخـلفت [٢].: حمـــال أثقـــال يسود ويربع [٣]

وعندما رجع كعب لم يكتف بما سبق بل ارتكب جريمة كبري وفعلة شنعاء ، لقد شبب بنساء المسلمين وتغزل فيهن ، وهو ما لا يطيقه أحد من بني يعرب حتى في هذه الأيام ، وقد عجبت لهذا الرجل وقد عاش في بيئة عربية وتأكد من خطورة التشبيب والغزل بالنساء،كيف جرؤ على فعل كهذا؟ يبدو أن غرور القوة قد أودي به [٤] ، كما أودي قبله بكثير من المغرورين فرعون وهامان وقارون ...الخ .

هذا ما ذكره ابن هشام في السيرة النبوية عن كعب بن الأشرف ، وهو ما يتطابق مع ذكرته بعض المصادر اليهودية ، فهذا إسرائيل ولفنسون [٥] يقول:" كان كعب بن الأشرف من أصحاب النفوذ والبطش بالسيف واللسان ، لا على اليهود فحسب ، بل على قريش أيضاً " وكلمة قريش هنا مغالطة واضحة،إنه لم يك يهاجمها ، بل على العكس رثي قتلاها في بدر ، وأشاد بهم ولذا فإني أعتقد أن صحة العبارة :" لا على اليهود فقط ، بل على المسلمين أيضاً".

---

١ ـ الفقراء.
٢ـ تخلفت الكواكب لم يعد لها مطر .
٣ـ هو زعيم يأخذ الربع من الغنائم ، كما كانت تفعل الزعماء والرؤساء في الجاهلية .
٤ـ عن مقتل كعب بن الأشرف ، انظر ابن هشام : السيرة النبوية ٣/٥١،٥٦.
٥ـ تاريخ اليهود في بلاد العرب ص ٣٢ ، القاهرة ١٩٢٧م.وقد كان هذا الكتاب أطروحة ولفنسون للدكتوراه ، بإشراف الدكتور طه حسين ، والذي قدم لهذا الكتاب ، في الطبعة المشار إليها هنا .

ويدعي ولفنسون[1] أن كعباً كان عربيا أكثر منه يهوديا ، إذ كان أبوه من عرب طيء ، وأمة من بني النضير ، وقد توفي أبوه وهو صغير ، فحملته أمه إلي أخواله ، فنشأ فيهم ، وساد وكبر أمره ، وكان شاعرا فارساً ، وله مناقضات مع حسان بن ثابت وغيره في الحروب التي كانت بين الأوس والخزرج ، لقد كان شاعراً فحلاً وخطيباً فصيحا ، وكان يهجوا النبي ويهجو أصحابه فبعث النبي نفراً من أصحابه فقتلوه).

وهكذا يعترف ولفنسون بأن كعب بن الأشرف كان يهجو النبي – صلي الله عليه وسلم- وأصحابه ، لكنه لم يشر من بعيد أو قريب إلي تشبيبه بنساء المسلمين وإيذائهم بهذا الجرم الأشنع .

على أية حال نعود نؤكد أن العرب كان من عبقريتهم الاعتراف بالآخر ، بل والتفاعل والاختلاط به ، ومعرفة قدره ، وإعطائه قدره ، حتى لو كان لهذا الآخر موقف شديد العداء والعناد لنا ، وهذا ما لمسناه في عدّ هذي الشخصيات من مفسري الأحلام سيما الثلاثي : (أبو جهل – حيي بن أخطب – كعب بن الأشرف) ثم عمر بن عبد ود الذي تحدي جيش المسلمين بكامله حتى خرج له الفتي علي بن أبي طالب فقتله .

لقد تعلم العرب هذا الحياد وهاتيك الموضوعية من دينهم ، ففي الكتاب الكريم :" يأيها الذين آمنوا كونوا قوامين لله شهداء بالقسط ، ولا يجرمنكم

١- إسرائيل ولفنسون أو (أبو ذؤيب) يهودي مصري ، عمل مدرساً للغات السامية بدار العلوم ، كما كان عضواً بجمعية الأبحاث التاريخية الإسرائيلية بالقاهرة التي أسست ١٩٢٥، وكانت تصدر مجلة بعنوان : (تاريخ الإسرائيليين في مصر).ولكن ولفنسون هاجر إلي فلسطين واشتغل في التدريس بالجامعة العبرية بالقدس التي أنشئت ١٩٢٥ – وسمي نفسه هناك (بتسرائيل بن زئيف) وفي ١٩٤١ عين أول موجه للغة العربية في قسم التعليم بالسلطة اليهودية ، ثم أصدر مجلدين بعنوان (العربية المنطوقة) وكتاب (الفصول المختارة) في تعليم العربية لليهود في فلسطين ، انظر العربية بين اليهود والعبرية بين العرب ، ترجمة د. أحمد أبو الخير - د. أحمد فريد القاهرة ٢٠٠٢.

شنآن قوم على أن لا تعدلوا ، اعدلوا هو أقرب للتقوى ، واتقوا الله ، إن الله خبير بما تعملون[1] " وفي عهد أمير المؤمنين [2] على بن أبي طالب إلي مالك بن الحارث الأشتر حين ولاه مصرنا : إن الرعية ، أو الناس :"صنفان ، إما أخ لك في الدين " أي مسلم مثلك " أو نظير لك في الخلق " أي مثلك في كل شيء لا ينقص عنك شيئاً ، ولا تزيد عنه – يا مالك – في أي شيء .

على أية حال فإنني عندما قلت طرفا مما سبق ، في إحدى الندوات القاهرية – أغسطس ٢٠٠٥ - وجدت معارضة قوية صارخة بأن العرب لا يعترفون بالآخر ، ولا يقيمون له وزناً ، وقد قلت لمعترضٍ : هذا الذي تقولون إنما ينطبق على زمن التردي والتراجع والسقوط والخيبة الكبرى ، أما زمن إقامة الحضارة العربية فالأمر جد مختلف ، ولكن أكثر الناس لا يعقلون .

والآن وقد أفضنا كثيراً وأسهبنا في الحديث عن معبري الرؤيا ، وعن طبقاتهم ، وعن اعتراف العرب بالآخر وفضله ، نترك هذه النقطة سريعاً إلي النقطة التي تليها ، وهي الأخيرة التي نمهد بهن جميعاً لأسس تفسير الأحلام :

١١ - مسك الختام في ملاحظاتنا ، هو آداب المعبرين أو شروط التعبير، نعم آداب تعبير الرؤيا ، وهل هناك آداب لمعبري الرؤيا ؟ بكل تأكيد ويقين فما هي هاتيك الآداب ؟ إنها :

أ- أول ما ينبغي أن يقال هنا إن الرؤيا لا تقص إلا على معبر، ويجب على من لا يعرف علم التعبير ألا يعبر ، فإنه يأثم على ذلك ، لأنها كالفتوى ، وهو علم نفيس .

---

١ - ٨ المائدة .
٢ - نهج البلاغة، ص ٣٣٤.

وهكذا بنيت الحضارة العربية على أساس التخصص واحترام التخصص فالعرب هم أصحاب المثل القائل:" أعط القوس باريها"،وفي المثل المصري: "أعط العيش لخبازيه حتى لو أكلوا نصفه "مبدأ مهم لبناء الحضارات ، وهو من لا يعرف لا يفتي فيما لا يعرف .

ب- وبما أن تعبير الرؤيا هو كالفتوى ، وهو علم نفيس – كما سلف – فإن علماء هذا العلم أشاروا إلي كراهة التعبير في أوقات بعينها ، قال ابن سيرين [1] :" تتوقف في التعبير عند طلوع الشمس وعند الزوال [2] وعند الغروب " فلماذا ؟.

أعتقد أن السبب أن هذي الأوقات تكره الصلاة فيها ، أو بمعني أدق نهي رسول الله – صلي الله عليه وسلم – عن الصلاة فيها وخاصة صلاة التطوع ، فعن عقبة بن عامر – رضى الله عنه أنه قال :" ثلاث ساعات نهانا رسول الله – صلي الله عليه وسلم – أن نصلي فيهن ، وأن نقبر فيها موتانا : حين تطلع الشمس بازغة حتى ترتفع ، وحين يقوم قائم الظهيرة وحين تُضيف[3] للغروب حتى تغرب [4].

والمقصود بكلمتي (ثلاث ساعات) أي ثلاثة أوقات ، مع ملاحظة أن الساعة في عرف الناس الآن هي محددة بالستين من الدقائق ، في حين أن الساعة قبل ذلك ، وقبل أن تظهر الساعات إلي عالم الوجود كانت أقل بكثير

١- ١/٢٠.
٢- عندما تكون الشمس في وسط السماء .
٣- تقترب من الغروب .
٤- انظر تفصيل مسألة النهي عن الصلاة في الأوقات الثلاثة المذكورة في - سابق : فقه السنة ١٨٣/٣-١٨٨أما قولة عقبة بن عامر ، فهي في ذات المرجع ١٨٤/٣.

ربما كانت - في تقديري – أو تقدير الوقت الآن دقيقة ، أو أكثر قليلاً أو حتى أقل .

ومن ثم نستطيع القول بأن كلمة (ساعة) حدث لها توسيع للمعني من مرادف كلمة (وقت) بل ووقت قليل إلي زيادة في هذا الوقت ، والذي حدد بستين من الدقائق ، والدليل على أن الوقت قليل في الاستخدام القديم أن النص يقول :" حتى تطلع الشمس " ولا يكتفي بهذا ، بل يضيف أيضاً فيصف الشمس بأنها " بازغة " .

وعند تعبير النص عن الوقت الثالث يقول :" وحين تضيَّف للغروب " أي تقترب الشمس إلي الغروب ، ثم يضيف :" حتى تغرب" أي أنه ينظر إلي الساعة على أنها وقت قليل ، وهو ما يتضح أيضاً في تعبيره عن الساعة الثانية ، أو الوقت الثاني :" حين يقوم قائم الظهيرة " أيَ عندما تكون الشمس في كبد السماء ، أي في وسطها ، وهو وضع لا يستمر كثيراً .

وهذا الذي فهمناه من كلمة (ساعة) ليس خاصاً بهذا النص فقط ، بل في نصوص أخر، ولكن لا مجال لها هنا ، ويؤيد هذا الفهم أيضاً ما ورد في المعجم الوسيط [1]، والذي يعبر عن رأي مجمع اللغة العربية بالقاهرة .

وبعد هذا كله نعود مرة أخري إلي قولة ابن سيرين بعدم تعبير الرؤيا في الأوقات الثلاثة أو الساعات الثلاث التي ذكرت بأن هذا يؤكد جدية هذه الحضارة حتى في هذا الشأن الذي ربما لا يعيره بعض الناس اهتماماً أو التفافاً ، بل قد لا يهتمون بما يراه النائم أصلاً ، أو يفكرون في شيء منه ،

١- انظر ١/ ٤٨١.

ومن ثم فإننا نري أن الجدية في كل أمر ، وفي كل منحي من مناحي الحياة هي أساس ضروري لقيام الحضارة ، أية حضارة .

جـ- وثالث ما يذكر من آداب المعبر أن يستوفي قص الرؤيا من صاحبها فما كان موافقاً للأصول فإنه يجتهد في تعبيره ، وما كان خارجاً عن الأصول فلا يلتفت إليه [١] وهذا يعني أن يستمع إلي كل ما يقص صاحب الرؤيا بجميع تفاصيله حتى يتمكن من التعبير على الوجه الصحيح ، أو الأقرب إلي الصحة والدقة .

د- وبعد أن يستوفي قص الرؤيا من صاحبها على المعبر أيضاً التثبت مما يقول ، وترك العجلة في تفسير المنام :" والتعسف ، ولا يأنف من أن يقول لما يشكل عليه : لا أعرفه ، وقد كان محمد بن سيرين إمام الناس في هذا الفن ، كان مما يمسك عنه أكثر مما يفسر، بل يروي عن ابن سيرين أنه كان يعبر من كل أربعين رؤيا تُعرض واحدة فقط [٢].

فإذا سأل أحد عن رؤيا عنادا ولم يكن رآها ؟ في هذه الحالة لا يترك المعبر سؤاله بغير جواب ، فإنه إن كان خيراً فمصروف إلي المعبر، وإن كان شراً فمصروف إلي المعاند ، فإنه مخذول ، والمجيب منصور على أعدائه ، كما ورد في قصة يوسف :" أما أحدكما فيسقي ربه خمرا ، وأما الآخر فيصلب فتأكل الطير من رأسه ، قضي الأمر الذي فيه يستفتيان [٣] " وهكذا كان الأمر كما عبر عنه نبي الله ، عليه السلام.

١- ابن شاهين ٢/٣٦١
٢- ابن سيرين ١/١٠.
٣- ٤١ يوسف.

ويلاحظ أن الآية تختم بقوله :" قضي الأمر الذي تستفتيان " مما يؤكد ما سبق قوله من أن تعبير الرؤيا كالفتوى ، وليس مجرد كلام في كلام ، وهو عاطل عن المعني والمغزى .

وعلى أي الأحوال فإن المعبر نفسه إذا عبر عنادا على سبيل الاعوجاج فإن كان خيرا فهو للسائل ، وإن كان شرا انصرف إلي المعبر نفسه [1]، فإن تعبير الرؤيا وما يتصل به يجب أن يُنأى به عن العناد والمكابرة .

ومن ناحية أخري فقد كان المعبرون على جانب واضح من التواضع عندما نصوا على أن تعبير الرؤيا :" قياس واعتبار وتشبيه وظن ، لا يقطع بها ، ولا يحلف على غيبها ، إلا أن يظهر في اليقظة صدقها ، أو يري سرها بها [2]وكل هذا يتسق مع تشبيهها بالفتوى ، أي في المشكلات والمعضلات ، و إلا فإن الأمور الواضحات في الدين لا يُحتاج فيها إلي فتوى من أحد ، كمن صلي بغير وضوء ، أو حج ولم يقف بعرفات ، أو أخرج الزكاة قبل أن يحول عليه الحول ، أي السنة الهجرية القمرية ، وهكذا .

هـ ـ ومن الآداب المهمة في تعبير الرؤيا والتي هي مفخرة للعرب والمسلمين ما نص عليه شيخ المعبرين ابن سيرين [3] :" وإذا وردت عليك من صاحب الرؤيا في تأويل رؤياه عورة قد ستره الله عليه ، فلا تجبه منها بما يكره أن يطلع عليه مخلوق غيره ،فإن كان مبتلي ، لا حيلة له عَرّضه [4] له حتى يعلمها ، إلا أن يكون له من

١ـ النابلسي ٦/١.
٢ـ السابق ٣٥/٢
٣ـ ١٢/١.
٤ـ عرّض يُعرّض تعريضا ، أي لم يصرح بالشيء.

ذلك مخرج ، فإن كان مصراً على معصية الله ، أو قد همّ بها ، فعظه عند ذلك ، واستر عليه ، كما أمر الله تعالي ، ولا تحك عن أحد رؤياه إن كان فيها عورة يكرها ،إنك إن فعلت ذلك اغتبت صاحبها".

هكذا كان احترام الفرد في أسراره وما يكتمه عن الآخر في حضارة العرب الإسلامية ، حتى اعتبر إفشاء السر ولو كان في رؤيا تفسر غيبة لهذا الرائي ، وهو أمر محرم في شريعة المسلمين .

ولا يقتصر الأمر على أسرار الفرد ومخفياته ، بل يمتد ليشمل أسرار الأمة ، حتى في الرؤى والأحلام ، ومرة أخري مع ابن سيرين [١] :" واستر ما يرد عليك من الرؤيا في التأويل من أسرار المسلمين وعوراتهم ، ولا تخبر بها إلا صاحبها ، ولا تنطق بها عند غيره ، ولا تحكها عنه ، ولا تسمّه فيها إن ذكرتها ".

وقد وصل الأمر- كما رأينا في النص – أن على معبر الرؤيا أن يحكيها عن صاحبها ، وإذا ذكر الرؤيا فعليه أن لا يذكر اسم الرائي ، كل هذا حفاظاً على أسرار الفرد والأمة على السواء ، قيمة أخري من قيم هذا الحضارة التي شيدها أجدادي العرب .

و- ومما يحتاجه المعبر أيضاً :

- إصلاح حاله في طعامه وشرابه [٢].
- إخلاصه في عمله ليرث بذلك حسن التوسم في الناس عند تعبير مناماتهم[٣].

١- ١٢/١.
٢- النابلسي ٣٥٢/٢.
٣- السابق .

- أن يكون عالماً فطناً ذكيا أديبا تقياً نقياً من الفواحش [1] .
- عالماً بالكتاب والحديث ولغة العرب وأمثالها ، وما يجري على ألسنة الناس[2] .
- عارفاً بحالات الناس وشمائلهم وأقدارهم [3] وهيئاتهم .
- عارفاً بالأزمنة وأمطارها ونفعها ومضارها وبأوقات ركوب البحار ، وأوقات ارتجاجها وهيجانها (معلومات جغرافية) [4] .
- وعارفاً بعادات البلاد وأهلها وخواصها ، وما يناسب كل بلدة ، وما يجئ من ناحيتها [5] .
- ونختم هاتيك النقاط بما ذكره الشيخ ابن سيرين [6] :" وليس نوع من العلم مما ينسب إلي الحكمة ، لا يُحتاج إليه في تأويل الرؤيا ، حتى الحساب وحتى الفرائض والأحكام والعربية وغرابتها لمعاني الأسماء ، وغيرها ، وما فيها من أمثلة الحكمة وشرائع الدين والمناسك والحلال والحرام والصلاة والوضوء وغير ذلك من العلم ... وليكن ما في يدك من الأصول المفسرة لك أوفق عندك وأهم مما يأتيك به صاحب الرؤيا ليزيلك عنها ، وإن كان ثقة صدوقا عندك ".

١- السابق ٦/١.
٢- ابن سيرين ٦/١.
٣- السابق .
٤- السابق .
٥- ابن سيرين ٦/١.
٦- السابق ١٣/١.

ز- ولا ينبغي أن يعبر الرؤيا حتى يعرف لمن هي [١] ؟ فإن أقدار الناس قد تختلف في بعض التأويل حسب اختلافها في نقصانها في الجدود والحظوظ ، وإن تساووا في الرؤيا ،فلا يجيد تعبير ذلك المرئي الذي يتفقون في رؤيته في المنام إلا واسع المعاني متصرف الوجوه[٢].

فالرمانة ربما كانت للسلطان كورة – قرية - أو مدينة ، يلي عليها ، ويكون قشرها جدارها أو سورها ، وحَبُّها أهلها ، وتكون للتاجر داره التي فيها أهله ،حَمّامه أو فندقه أو سفينته الموقرة بالناس ... أو دكانه العامر بالناس ، أو كيسه الذي به دراهمه ودنانيره ، وقد تكون للعالم العابد الناسك كتابه ومصحفه ، وقشرها أوراقه ، وقد تكون للأعزب زوجة بمالها وجمالها ، أو جارية بكراً [٣] .

ك- ومن آداب تعبير الرؤيا حسن العبارة من جانب المعبر للرؤيا ، وأذكر أنه عندما كنا طلاباً في جامعة القاهرة كان أستاذنا [٤] في الشريعة الإسلامية يكرر على مسامعنا هذي الحكاية :"روي أن بعض الخلفاء قال لمعبر : إني رأيت جميع أسناني سقطت ، فقال له: جميع أقارب مولانا يموتون ، فتغير من ذلك ، واستدعي عابراً آخر غيره ، وقص عليه الرؤيا ، فقال : إن صدقت رؤيا مولاي ، فإنه يكون أطول عمراً من أقاربه " أي آخر من يموت من أقاربه.

١- النابلسي ٦/١.
٢- ابن سيرين ٥/١
٣- السابق .
٤- الدكتور مصطفي زيد ، رحمه الله .

فاقبل عليه ، وأحسن إليه [1] " المعني واحد في كلا التعبيرين ، ولكن التعبير من جانب المفسرين لرؤيا الملك ، مختلف متفاوت .

ل - كان أستاذنا - رحمه الله - يدلل لنا على أن المرء يمكن أن يعبر عما يريد من المعاني بطريقة لا تجرح مشاعر الآخر ففي الآية :"وقل لعبادي يقولوا التي هي أحسن ، إن الشيطان ينزغ بينهم ،إن الشيطان كان للإنسان عدواً مبيناً[2]" لاحظ أيها القارئ الكريم أن الأمر في (قل) ليس موجهاً للمؤمنين فقط ،أو المسلمين ولكن(لعبادي) للعباد كلهم.

فماذا لدي معبري الرؤيا من حسن العبارة :

- إذا قصّت عليه رؤيا فيها ما يكره الرائي عرّف صاحبها بعبارة حسنة بحيث يفهم صاحب الرؤيا ما يجب أن يحذره ، ومن العلماء من قال : يعبر الرؤيا الجيدة ، ويترك ضدها ، بحيث يحذر الرائي ، ويأمره بالتوبة والصدق [3] مع ترك التعنيف [4].
- يقول النابلسي :" إن كانت الرؤيا تدل على قبيح سترت ذلك ، وواريت عنه بأحسن ما تقدر من اللفظ ، وأسررته إلي صاحبها ".
- بل إن المعبر يتلقى صاحب الرؤيا بأدب رسول – صلي الله عليه وسلم – الذي كان إذا قصت عليه رؤيا قال[5] :

١- النابلسي ٣٥٩/٢.
٢- ٥٣ الإسراء.
٣- ابن شاهين ٣٦١/٢.
٤- النابلسي ٣٥٢/٢.
٥- ابن سيرين ١٩/١.

خيرا تلقاء ، وشرا تتوقاه ، وخيرا لنا وشرا لأعدائنا ، الحمد لله رب العالمين ، اقصص رؤياك .

وبعد هذي الملاحظات المفصلة إلي حد ما ندلف إلي أسس تفسير الأحلام كما نجدها في تراثنا العربي ، وهي :

- المنطق العام .
- الثقافة .
- اللغة .
- تباين أقدار الناس .
- علاقة الضد.

وهاك التفصيل :-

أولاً- المنطق العام : أول شيء يعتمد عليه تفسير المنام هو هذا المنطق العام الذي يفهمه عامة الناس وخاصتهم وهذي أمثلة :

١- الصعود ضد الهبوط : فمن رأي أنه صعد إلي السماء فإنه ينال ولاية ورياسة شريفة عظيمة ، فالصعود رفعة ، والهبوط ضعة ، وإن صعد عقبة فهو ارتفاع ورياسة مع تعب بسبب هذه العقبة ، وكل صعود إلي جبل أو تل أو سطح أو غير ذلك فإنه ينال ما يطلبه من قضاء مأربه الذي يرنو إليه ويرومه[1].

ومن رأي في المنام أنه قائم في الهواء ، بين السماء والأرض ، نال عزاً من سلطان وقدرة ، ومن رأي أنه يمشي في الهواء عرْضاً من غير صعود نال عزاً عظيماً ومالاً حلالاً ، إن كان أهلاً لذلك ، لاحظ إن كان أهلاً لذلك ، ومن رأي أنه متعلق بين السماء والأرض فإن قلبه مشغول ، ولا يدري ماذا يصنع .

ومن سقط من الهواء فإنه يسقط عن مرتبته وجاهه ، وإن لم يك له مرتبة ولا جاه فإنه ييأس عن أمر يقصده ويؤمله ، والهبوط من السماء بعد صعودها ذل بعد عز ، ومن رأي أنه هبط عن موضع مرتفع أو سطح أو قصر فإنه يرجع عن حال كان عليه ، ومن رأي أنه يهبط من سلم قديم لم يربح في تجارته ، وإن انكسر السلم وهو عليه انتصر خصمه عليه .

ومن رأي أنه يبني في الهواء بيتاً أو داراً أو ضرب فيه فسطاطاً أو خباء أو ركب فيه دابة أو غير ذلك ، فإن كان مريضا أو عنده مريض فإنه موته و نعشه ، و إن رأى ذلك سلطان أو أمير أو حاكم عزل عن عمله ، وزال عن سلطانه بموت ، وإن رأي ذلك من هو في البحر عُطبت سفينته ، أو أسره

١- النابلسى ، ص ٤٤/١.

عدوه ، أو أشرف على الهلاك ، وقد يدل ذلك على عمل فاسد عمله على غير كتاب ولا سُنّة ، لأنه كان بناء على غير أساس ، بناء في الهواء ، فإن البناء لا يكون إلا على أرض وأساس وقرار ، وليس في الهواء [1] .

٢- الزمان والمكان : ويختلف تعبير المنام باختلاف الزمان والمناخ ، فالاصطلاء بالنار والتدفي بالشمس وملابس الشتاء واستعمال الماء في الزمان البارد (أو للمصاب بالبرد) خير وراحة على عكس الصيف ، فهي فيه أمراض ونكد [2].

كذلك الذي يرى في بلاد الحر ثلجا أو جليدا أو بردا فإنه يدل على الغلاء والقحط ، لكن ذلك في بلاد البرد خصب وسعة ، والأمطار ما ينتج عنها من طين ووحل خصب ونماء في بعض البلاد التي تزرع على المطر ، أو فيها المطر قليل ، ولغيرهم محنة وبلية [3] .

٣- الجنس والصنف والطبع : يقول النابلسي [4] :" واعلم أن أصل الرؤيا جنس وصنف وطبع ، فالجنس كالشجر – والسباع والطير – وهذه - أي في المنام - تؤول بأنهم " رجال ، والصنف أن تعلم من أي صنف تلك الشجرة – وذلك السبع أو الطير – فإن كانت الشجرة نخلة كان ذلك الرجل من العرب ، وإن كان الطائر طاووسا كان رجلا من العجم [5] ، وإن كان ظليما [6] كان بدويا من العرب ، والطبع أن

١- السابق ، ٢/٣١٦ – ٣١٧ .
٢- السابق ٢/٣٦٠ .
٣- السابق ١/٥ .
٤- ١/٥ .
٥- العجم غير العرب ، والمفرد عجمي ، أما أعجم جمع أعاجم ، وأعجمي جمع أعجمين ، والأعجم والأعجمي من لا يفصح في كلامه ولا يبين ولو كان عربيا .
٦- ذكر النعام .

تنظر لطبع تلك الشجرة ، فتقضي و تحكم على الرجال بطبعها ، فإن كانت نخلة قضيت بأنه رجل نفاع بالخير ، وإن كان طائرا علمت أنه رجل ذو أسفار ، ثم نظرت في طبعه ، فإن كان طاووسا كان ملكا أعجميا ذا جمال ومال ، وكذلك إن كان نسرا كان ملكا ، وإن كان غرابا كان فاسقا كذابا " .

ويكمن المنطق هنا في أن معبر الرؤيا ينظر إلى جنس ما يره النائم ، فالأشجار والسباع والطير هي في المنام تؤول بالرجال ، نعم ، ولكننا ننظر إلى أصناف هذه الأشياء الثلاثة وأطباعها ، فبما أن النخلة هي في المنام رجل ، وبما أن النخلة تنبت أكثر في بلاد العرب فإنها تؤول برجل عربي ، وبما أن النخلة نفاعة بالخير ، فكل ما فيها ينتفع منه حتى الخوص والجريد . . الخ فإنها في المنام أيضا تمثل الرجل النفاع بالخير ، وفي الحديث الشريف :" مثل المؤمن مثل النخلة ، ما أخذت منها من شيء نفعك [1] " وقال رسول الله – صلى الله عليه وسلم :" أكرموا عمتكم النخلة ، فإنها خلقت من الطين الذي خلق منه آدم [2] " .

وعلى العكس من كل ما سبق الغراب ، لماذا ؟ لأن من طبعه أنه لا يتعاطى الصيد ، بل إن وجد جيفة أكل منها ، وإلا مات جوعا ، ويتقمقم [3] كما يتقمقم ضعاف الطير " وفي الحديث الشريف :" الحية فاسقة ، والفأرة فاسقة والغراب فاسق " كما أن هذه الثلاثة التي ذكرت إضافة إلى الحدأة والكلب

---

١ - العجلوني : ٣٠٧/٢ .
٢ - السيوطي : الدرر المنتثرة ، ص ١٠٧ .
٣ - يأكل القمامة والقاذورات .

العقور ، كل هذه الخمس الفواسق ليس على قاتلها جناح [1] ، ومن ثم كان من المنطق ومن المنطقي أن يفسر الغراب في المنام بأنه رجل فاسق ، وأن تفسر النخلة بأنها رجل عربي نفاع .

ثانيا – الثقافة : وهي أس وأساس مهم من أسس تعبير الرؤيا ، كيف ؟ بالمثال يتضح المقال :

١ـ أول ما يكون التعبير بالقرآن والسنة ، إن وجد المعبر فيهما شاهدا للرؤيا كمن يرى نفسه في السفينة ، إذ هي نجاة من الخوف ، قال تعالى :" فأنجيناه وأصحاب السفينة " وكمن يرى في منامه أنه في بئر ، فإنه يمكر به ، لقوله – صلى الله عليه وسلم ـ :" البئر جبار " وقد يكون التعبير بالشعر ، كمن يرى غنما ترعى ، فأتى الذئب عليها ففرقها ، وقتل بعضها ، فإن هذا يدل على أن سلطان تلك الناحية يضيع رعيته حتى يتولى أمرهم عدوه لقول الشاعر :

ومن رعى غنما في أرض مأسدة ونام عنها ، تولى رعيها الأسد [2]

وبعد القرآن والسنة وشعر العرب نجد أيضا تفسيرا معتمدا على الأمثال ، لقولهم فيمن رأى أنه غسل يديه ـ في المنام – بالأشنان [3] – أو بغيره – بأنه اليأس من شيء يطلبه ، لقول الناس لمن يُيأس منه " قد غسلت يدي منك بأشنان " وكقولهم في تأويل الكبش إنه رجل عزيز منيع لقول الناس " هذا

١ـ الدميري – حياة الحيوان الكبرى ، ١/١١٠.
٢ـ النابلسي ١/٧ .
٣ـ الأشنان : شجر ينبت في الأرض الرملية يستعمل هو أو رماده في غسل الثياب والأيدي ، انظر : المعجم الوسيط ١/١٩ .

كبش القوم " وكقولهم في الصقر إنه رجل له شجاعة أو شوكة ، ففي المثل :

" هو صقر من الرجال [1] " .

وهكذا نجد القرآن والحديث المكونين الأهم في ثقافة المسلمين يأتيان على قمة ما يعتمد عليه في تفسير الرؤيا ، يليهما الشعر فهو ديوان العرب ، ثم الأمثال ، وهذه الأربعة مكونات رئيسة في ثقافة العرب .

٢- ويختلف تعبير الرؤيا باعتبار الأديان ، فإن الدين مكون مهم ورئيس في ثقافة الناس ، خاصة العرب ، ولإيمان العرب بالآخر ، سيما من اختلف معهم في الدين فإنهم قد اعترفوا في أدبياتهم الخاصة بتفسير الأحلام باختلاف تفسير المنامات عند أصحاب الأديان الأخرى ، كيف ؟

يقول النابلسي [2] : " ويختلف التعبير أيضا باختلاف الأديان ، كمن يرى أنه يأكل الميتة ، فالميتة مال حرام أو نكد في المنام عند من يعتقد تحريمها ، ورزق وفائدة عند من يحلل أكلها " .

" وكمن يرى أنه يأكل "(الباقلا [3]) الأخضر فإنه عند الصابئة [4] مال حرام ونكد لكونه محرما عليهم ، والمجوس [5] يحرمون اللحوم – فهم نباتيون – واليهود يحرمون لحم الجمال ، وبعض اليونانيين يحرمون الدجاج والمسلمون يحرمون الخمر ، فهذا وما أشبهه مال حرام عند من يعتقد ذلك ، ولكنها أرزاق وفوائد عند من يحللها [6] " .

١- ابن سيرين .
٢- ٣٦٠/٢ .
٣- البقول .
٤- قوم يعبدون الكواكب ، ويزعمون أنهم على ملة نوح .
٥- الذين يعبدون النار .
٦- النابلسي ٣٦١/٢ .

ويستمر النابلسي في ضرب الأمثلة حتى يذكر بعض الأمثلة الصارخة في عرف المسلمين ، منها أن المرأة إذا رأت أنها تزني في العلن وفي مجتمع من الناس فهي شهرة رديئة ونكد – فضيحة – إلا أنها في بعض البلاد التي سماها النابلسي تدل على أنها تتقرب إلى الله بعبادة وبرّ ، ويكون لها ثناء مليح ، كيف ولم ؟ لأن بعض الكفار يتقربون إلى آلهتهم بالزنا بمقتضى دينهم الباطل[1] .

والمجوس يعبدون النار ، فإذا رأى أحدهم أنه أوقد نارا أو صرف عنها الأذى أو سجد لها كان ذلك عندهم فائدة وعبادة ، وكذلك عباد الشمس إذا رأوها في صفة حسنة ، هذا جيد عندهم ، وإن نزلت بالنار أو الشمس آفة فنقصان يقع في دينهم وبلادهم ،وكذا الحكم في كل من يعظم شيئا في السماء أو الأرض .

بل إن السمك تدل رؤياه في بعض البلاد – أو كانت – على العفونة ، وفي بعضها تزويج ، خاصة إن كان من واحدة إلى أربع ، سيما في المجتمعات الإسلامية ، حيث الزواج من واحدة إلى أربع فقط ، ولكن السمك كان عند بعض الأقوام معصية ؛ لأنهم يحرمون أكل السمك ، وكذلك كل من يحرم أنواعا من السمك ، أو من غيره من اللحوم أو الطعوم ، كمن يحرم أكل سمك القراميط أو لحم الأرنب ؛ اعتقادا أن هذه الأخيرة تشبه القطط ، وهذه قصة أخرى ، قضية تفجرها هذه الدراسة ، أو تثيرها ضمن عديد من القضايا التي فجرتها .

٣- ومرة أخرى مع أصول تعبير الرؤيا ، مما يعتمد على الثقافة ، يقول النابلسي :" وتعبير الرؤيا لا يكون إلا بعد معرفة الأصول ، مثل أن

١- السابق ٣٦٢/٢ .

يعرف أن القمح والشعير والتين والدقيق والعسل واللبن والصوف والحديد والملح والتراب ونحو ذلك أموال ، وأن الفرس والأسد والذئب والجبل والشجر والطير والوحش ونحو ذلك رجال ، وأن السرج والإكاف[1] وإناث الطير وإناث الحيوان ونحو ذلك نساء ، وأن النمارق[2] والوسائد والأباريق والطسوت [3] ونحو ذلك خدم وعبيد[4]" .

إن ثقافة المجتمع آنذاك هي التي حددت معنى كل هذه الأشياء السابقات في المنامات وقسمتها هذه الأقسام الأربعة ، النمارق والوسائد . . . الخ خدم وعبيد ، فهذه أشياء في خدمة الإنسان ولخدمته ورفاهيته ، أما القمح والشعير . . . فهي أموال ، لأنها سلع تقوم بالمال ، حتى التراب ، كيف ؟ منه وفيه تنبت الزروع والثمار ، ومنه كانت – ولا تزال – تبنى منه البيوت ، وتستخرج منه المعادن . . . الخ .

كما أن الفرس والأسد . . . رجال لما كان ينظر إلى الرجل من صفات هذه المخلوقات من القوة والنفع والاحترام والحركة ، وكذلك الشأن في اعتبار إناث الطير والحيوان نساء ، أما السرج والبرذعة وما أشبهها فلأنها دائما في خدمة الرجل وفي طاعته ، كما أن المرأة في خدمة الرجل وطاعته ، أو من المفترض أن تكون كذلك .

١- البرذعة .
٢- مفرد نمرقة الوسادة الصغيرة يتكأ عليها أو توضع فوق الرحل وتسمي في العامية المصرية (التكاية) لأنه يُتكأ عليها .
٣- مفرد طست ، في العامية المصرية (تشت) أو (طشط) بالتفخيم .
٤- النابلسي ٣٥٤/٢ .

ثالثا – اللغة : ومن الثقافة ننتقل إلى اللغة ، هذه الأخيرة أساس مهم من أسس تفسير الأحلام ، يقول النابلسي [1] : " والتأويل بالمعني أو باشتقاق الأسماء " كيف ؟ :

١- يقول الرسول – صلى الله عليه وسلم :" إذا أشكل عليكم الرؤيا فخذوا بالأسماء " يفسر ابن سيرين [2]:"وبيانه أن اسم سهل من السهولة وسالم سلامة ، وأحمد ومحمد محمدة ، ونصر نصرة ، وسُعاد سعادة" و هكذا .

٢- أما ابن سيرين فيقول :" فأما التأويل بالأسماء فتحمله على ظاهر اللفظ ، كرجل يسمى الفضل تتأوله إفضالا ، ورجل يسمى راشدا تتأوله إرشادا أو رشدا ، أو سالما تتأوله السلامة ، وأشباه هذا كثيرة " .

وروى عن النبي – صلى الله عليه وسلم – انه قال :" رأيت الليلة كأنا في دار عقبة بن رافع فأتينا برطب لِين طابٍ " وطاب بمعني طيب ، أما (لِين) بكسر اللام فهو التمر الجيد ، ولكن كيف أول الرسول – صلى الله عليه وسلم – ما رأى ؟ يقول سيد الخلق :" فأولت الرفعة لنا في الدنيا والآخرة ، وان ديننا قد طاب ".

ويوضح ابن سيرين [3] بقوله :" فأخذ من رافع الرفعة ، واخذ من :" رطبٍ لِين طابٍ " طيب الدين ، وهو ما تدل عليه الكلمات الثلاث ، خاصة الأخيرتين ، أي (لِين) و (طاب) أي جيد طيب ، كما سبق .

١- ٢٤٩/٢ .
٢- ٢٠/١ .
٣- ٧/١ .

٣- ويقول النابلسي :" والمنام الواحد قد يختلف باختلاف لغتين كالسفرجل ، هو عز وجمال وراحة لمن يعرف لغة الفرس ؛ لأنه بلغتهم بهاء ، وهو للعرب ولمن عاشرهم دال على السفر والجلاء لاشتقاقه " منهما ، أي من (سفر + جل) .

رابعا – تباين أقدار الناس : وهذه قيمة أخرى مهمة في حضارتنا ، وهي أنها تعرف لكل إنسان قدره وفضله ، ففي الكتاب الكريم :

١- " ليسوا سواء [١] " مَنْ هؤلاء الذين يتحدث عنهم القرآن الكريم ؟ " من أهل الكتاب أمة قائمة يتلون آيات الله آناء الليل وهم يسجدون ، يؤمنون بالله واليوم الآخر ، ويأمرون بالمعروف ، وينهون عن المنكر ويسارعون في الخيرات ، وأولئك من الصالحين " فما جزاؤهم عند الله ؟ " وما يفعلوا من خير فلن يكفروه ، والله عليم بالمتقين ".

إن القرآن الكريم يقرر مبدأ مهما في التعامل مع الآخرين ، وهو عدم التعميم ، فهؤلاء هم أهل الكتاب ، إن منهم من يتلو آيات الله آناء الليل ، بل وهم يسجدون ، يؤمنون بالله واليوم الآخر ، ويأمرون . . . الخ ، فالقرآن الكريم يعترف لهؤلاء القوم بالفضل ، بل يقرر أنهم لن يحرموا جزاءَ ما فعلوا ومن هنا تعلم المؤمنون أن يقروا لكل ذي فضل بفضله .

٢- " أفمن كان مؤمنا كمن كان فاسقا ، لا يستوون [٢] " فرق بين المؤمن والفاسق ، فما الجزاء ؟ " أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات فلهم جنات المأوى نزلا بما كانوا يعملون ، وأما الذين فسقوا ،

١- ١١٣ آل عمران .
٢- ١٨ السجدة .

فمأواهم النار ، كلما أرادوا أن يخرجوا منها ، أعيدوا فيها ، وقيل لهم ذوقوا عذاب النار الذي كنتم به تكذبون " .

٣- " لا يستوي القاعدون من المؤمنين غير أولي الضرر والمجاهدون في سبيل الله بأموالهم وأنفسهم ، فضل الله المجاهدين بأموالهم وأنفسهم على القاعدين درجة – وكلا وعد الله الحسنى – وفضل الله المجاهدين أجرا عظيما ، درجات منه ومغفرة ورحمة ، وكان الله غفورا رحيما [(١)] .

اعترف القرآن الكريم بما للمجاهد من فضل وأجر على القاعد ، غير المجاهد ، وبرغم هذا فإنه لم يمنع المؤمنين الآخرين أجرهم ، بل قال : " وكلا وعد الله الحسنى " أي الجنة .

٤- " قل : هل يستوي الذين يعلمون ، والذين لا يعلمون ، إنما يتذكر أولو الألباب [(٢)] " .

٥- " وما لكم ألا تنفقوا في سبيل الله ، ولله ميراث السماوات والأرض ، لا يستوي منكم من أنفق من قبل الفتح وقاتل ، أولئك أعظم درجة من الذين أنفقوا من بعد وقاتلوا ، وكلا وعد الله الحسنى ، والله بما تعملون خبير [(٣)] " .

فرق بين من أسلم في مرحلة مكة فصبر مع محمد – صلى الله عليه وسلم – واحتسب ، ثم قاتل معه في المدينة قبل الفتح ، فرق بين المهاجرين والأنصار وبين من أسلم بعد الفتح حين استقر للمسلمين الأمر ، ورضخت

١- ٩٥ ، ٩٦ النساء .
٢- ٩ الزمر .
٣- ١٠ الحديد .

قريش في النهاية ، ومع هذا فالقرآن الكريم يعرف لمن أسلم بعد الفتح حقه وقدره فيقول :" وكلا وعد الله الحسنى " الجنة جزاء لكلا الفريقين المؤمنين.

وفي الحديث الشريف أيضا مما يشير إلى تقدير الإسلام لكل صاحب قدر:

١- فضل العالم على العابد كفضلي على أدناكم [١] .

٢- فُضّل العالم على العابد بسبعين درجة ، ما بين كل درجتين ، كما بين السماء والأرض [٢] .

٣- " المؤمن القوي خير وأحب إلى الله من المؤمن الضعيف ، وفي كل خير [٣] " برغم أن المؤمن القوي خير وأحب إلى الله ، إلا أن الحديث لم يَغمط من شأن المؤمن الضعيف ، بل عرف له قدره لإيمانه ، فنص الحديث على أنه : (في كل) في كليهما ، أي المؤمن القوي وأيضا المؤمن الضعيف ، في كليهما (خير) وهكذا .

بعد تيك التقدمة ندلف إلى اعتبار أقدار الناس في تفسير الأحلام ، إن هذا جزء من الثقافة الإسلامية التي عرفت لكل ذي فضل فضله وقدره ، فنقول :

يرى النابلسي [٤] أن الرؤيا تتغير باختلاف هيئات الناس وصنائعهم وأقدارهم وأديانهم ، فتكون لواحد رحمة ، وعلى آخر عذاب ، كيف ؟ يشير ابن شاهين [٥] إلى أن رؤيا الملوك الصالحين إلهام من الله تعالى [٦] ، ورؤيا النسوة تخرج عن قريب ، ورؤيا الفساق حجة يوم القيامة عليهم ، ورؤيا

١- العجلوني : ٨٦/٢ .

٢- السابق .

٣- السابق ٢٩٨/٢ .

٤- ٣٥٢/٢ .

٥- ٣٦١/٢ .

٦- في الحديث الشريف :" ثلاثة لا ترد دعوتهم : الصائم حتى يفطر ، والإمام العادل ، ودعوة المظلوم . . . " العجلوني ٣٢٥/٢ .

الأغنياء آكد في الصحة من رؤيا الفقراء ، لأن الفقراء في هم وغم من العسر والإقتار ، ورؤيا الفقراء تتأخر إن كانت حسنة ، وإذا كانت غير جيدة تظهر سريعا .

كما يرى ابن شاهين أن رؤيا الصغار الذين لم يبلغوا الحلم أصح من غيرهم ؛ لكونهم لم يعصوا الله ، ورؤيا الذي بلغ منهم أضعف ؛ لكونهم مشتغلين بشهواتهم . . . ورؤيا المسلم أصدق من رؤيا الكافر ، ورؤيا العالم أصدق من رؤيا الجاهل ، ورؤيا المستور أصدق من رؤيا الرجل النحس ، ورؤيا الشيخ أصدق من رؤيا الشاب .

أما النابلسي [1] فيقول : وتتغاير رؤيا المؤمن والكافر والمستور والفاسق ؛ فإن المستور إذا رأى في منامه أنه يأكل عسلا فإن تأويله حلاوة القرآن والذكر في القلب ، وهو للكافر حلاوة الدنيا وغنيمتها .

شيخ المفسرين ابن سيرين [2] يصرح بأن كل ماله وجهان ، وجه يدل على الخير ، ووجه يدل على الشر ، أعطى لرائيه من الصالحين أحسن وجهيه وأعطى لرائيه من الطالحين أسوأهما وأقبحهما ، كيف ؟

وهذا مثال آخر يستشهد به المعبرون على ما سبق ؟ إن الرجل يرى أنه مغلول اليد أو العنق ، فإن كان للرائي سيماء الخير والدين فهو صلاح في حقه، واجتناب الشر والفساد ، وإن كانت سيماه ضد هذا وعكسه فهو كثير المعاصي ومن أهل النار ، أجارنا الله منها بكرمه ومنه [3] .

١- ٣٥٤/٢ .
٢- ٤/١
٣- ابن سيرين وجعفر الصادق : تفسير الأحلام ، يقدمه حسن البارودي ، القاهرة ، ص ٩ .

مثالان أخيران نقتبسهما من ابن سيرين :

- الأصل في باب الأذان أن من رآه إذا كان أهلا له وأذن في موضع الأذان كان محمودا وخيرا للرائي ، فإن كانت الأخرى ، أي رآه من ليس بأهله أو في غير موضعه كان مكروها ؛ وهو ما توضحه هذه الحكاية :

جاء رجل إلى ابن سيرين ، فقال : رأيت كأني أؤذن ، فقال : تحج ، وأتاه آخر فقال : رأيت كأني أؤذن ، فقال : تقطع يدك ، وعجب الناس من جلساء ابن سيرين فقالوا له : كيف فرقت بينهما ؟ قال : رأيت للأول سيما حسنة ، فأولت :"وأذن في الناس بالحج . . ." ورأيت للثاني سيما غير صالحة ، فأولت :"فأذن مؤذن أيتها العير ، إنكم لسارقون".

وهكذا تجد الحضارة الإسلامية تعرف أقدار الناس ، وتفرق بين خيِّرهم وشريرهم ، فتضع كلا في مكانه اللائق به ، أما حضارة اليوم فلعلها تضع الشرير ، المجرم المعتدي في المكان الأعلى السامق السامي ، في الصدارة والقمة ، ولعلها تحارب الخير وأهله حربا ، لا هوادة فيها .

لكنها في معظم الأحيان أو في بعضها لا ترى فرقا بين المجرم والمصلح فقد يسافر أحد عباد الله المساكين الذين لا حول لهم ولا طول ليجد في جوازه تهديدا يقول :(تاجر المخدرات عقوبته الإعدام) وهو لا ناقة له ولا جمل ، لا في المخدرات ، ولا يحزنون .

وقد يسافر مريض للعلاج ، ربما محمولا على نقالة أو على كرسي المقعدين المتحرك ، ويكون غرض السفر وبيانات الحالة ومؤشراتها تشير إلى مرضه المُقعِد ، ولكن المسكين يحظى بتحذير شديد اللهجة بأن تأشيرة الدخول

لا تسمح له بالعمل أو الشغل في البلد المضيف ، بل وقد يهدد بعقوبة صارمة إن هو سمح لنفسه ، أو سمح أحد له بالعمل .

هذي نمطية الحضارة الحاضرة التي لا تفرق بين صالح وطالح ، بل لعلها تنظر إلى الجميع بعين واحدة ، أو قد ترى عباد الله الضعفاء المساكين على أنهم سبب كل الويل والثبور وعظائم الأمور ، أين هذا كله من حضارة الإسلام التي تفرق الخيِّر والشرير حتى في تفسير أحلامها ، نقول : أين وأين ، بل أين وأين !! .

خامسا – التفسير بالضد والعكس : بقى لدينا أساس أخير – في رأينا – لتفسير الأحلام في التراث العربي ، وهو التفسير بالضد والعكس ، فماذا نجد من هذا في تراثنا العربي المرموق السامق ؟

يقول ابن سيرين [١] :" وأما التأويل بالضد والمقلوب فقولهم في البكاء إنه فرح ، وفي الضحك إنه حزن ، وكقولهم في الرجلين يصطرعان والشمس والقمر يقتتلان إذا كانا من جنس واحد أن المصروع هو الغالب ، والصارع هو المغلوب ، وقولهم في الطاعون إنه حرب ، وفي الحرب إنه الطاعون وفي العدو إنه سيل ، وفي السيل إنه عدو ، وفي أكل التين إنه ندامة ، وفي الندامة إنه أكل تين ، وقولهم في الجراد إنه جند ، وفي الجند إنه جراد ".

وفي موضع آخر يقول الشيخ ابن سيرين [٢] :" والبغي على الباغي والمبغي عليه منصور ، لقوله تعالى : إنما بغيكم [٣] على أنفسكم - . . . ثم بغى

١- ٢/٨،٩ .
٢- ٢/ ٢٦٨، ٢٦٩ .
٣- ٢٣ يونس .

عليه لينصرنه الله ، والتهدد ظفر للمتهدَّد بالمتهدِّد ، وأمن له وأمان ، وأما الحسد فهو فساد للحاسد وصلاح للمحسود ، وأما الخداع فإن الخادع مقهور ، والمخدوع منصور ؛ لقوله تعالى : وإن يريدون أن يخدعوك فإن حسبك الله ، والخصومة المصالحة ، فمن رأى أنه خاصم خصما صالحه . . . وأما الغالب في النوم فمغلوب في اليقظة ، وأما المصارعة فإن اختلف الجنسان فالصارع أحسن حالا من المصروع ، كالإنسان والسبع ، فإن كانت المصارعة من رجلين فالصارع مغلوب ".

ويحكى أن عبد الله بن الزبير – رضي الله عنه – رأى في منامه أنه تصارع هو وعبد الملك بن مروان فصرعه ، وسمره في الأرض بأربعة أوتاد ، فلما أصبح بعث رجلا إلى محمد بن سيرين – رحمة الله عليه – وأخبر الرسول أن لا يذكر صاحب المنام ، لا الصارع ولا المصروع ، فلما دنا الرسول من الإمام ، وقص عليه الرؤيا ، قال : ما هذه رؤياك ، وما يصلح أن يرى هذه الرؤيا إلا عبد الله بن الزبير وعبد الملك بن مروان ، فأنكر الرجل ، وقال : إنها رؤياي ، فقال الإمام : لا أقص عليك تعبيرها حتى تصدقني القول ، فلما قص الرجل عليه حقيقة الرؤيا ، قال ابن سيرين – رحمة الله عليه : إن عبد الملك إبن مروان هو الغالب لعبد الله بن الزبير ، وهو قاتله ، وأن أولاد عبد الملك ليخلفون أباهم على الحكم ، وذلك لتسميره في الأرض بالأوتاد ، فكان الأمر كما عبر الشيخ ابن سيرين [1] .

١- ولم يكتف القوم بهذا بل صلبوه أيضا ، جاء في كتاب الروح لابن القيم : " دخل ابن عمر المسجد الحرام بعد قتل ابن الزبير وهو مصلوب ، فلتى أسماء يعزيها ، فقال لها : عليك بتقوى الله والصبر ، فإن هذه الجثث ليست بشيء ، وإنما الأرواح عند الله " فماذا قالت الأم الصابرة المحتسبة ، بنت أبي بكر ، وزوج الزبير بن العوام – رضي الله عنهم أجمعين ، لقد قالت لابن عمر : " وما يمنعني من الصبر وقد أهدى رأس يحي بن زكريا إلى بغى من بغايا بني إسرائيل " .

بقي عبد الله بن الزبير يقاوم الأمويين عشر سنين حتى دكوا مكة دكا بالمجانيق ، بل أحرقوا الكعبة ، ولم يكتفوا بهذا بل أمطروها بالمجانيق والحجارة ، فسقط واحد منها على رأس ابن الزبير فلقى ربه – رحمه الله – فاحتز قائد الجيش الأموي (الحجاج بن يوسف الثقفي) رأسه ؛ ليرسل بها إلى عبد الملك بن مروان ، وكان هذا سنة ثلاث وسبعين هجرية [١] .

ونختم التفسير بالضد باقتباس من النابلسي [٢] :" من رأى في المنام أنه يعادي رجلا فإنه يواده ويصحبه ، ويفشو أمره ويظهر منه ما كان يكتمه ، ومن رأى أن إنسانا أظهر له عداوة فإنه يصادقه ، والعداوة إظهار الكتمان ، والعدو هو في المنام يدل على رفع القدر على المعاند والمضاد ، والتأييد من الله تعالى والنصر على المخاصم .

وفي مكان آخر يقول النابلسي [٣] :" صبي : هو في المنام هم وغم إذا كان طفلا يُحمل . . . ومن رأى أن في حجره صبيا يصيح فإنه يضرب العود ، والصّغار في المنام تدل رؤيتهم على الإجرام . . . وربما دلت رؤية الصّغار إذا كانوا أولاد الرائي على الفتنة بالمال ، وربما دلت رؤية الصغار على اطراح الكلف ، والقناعة بالأدنى ، أو العجز عن الأسباب ، وربما كان الصغير غلاما للقنية [٤] – والخدمة – لأنه معدود [٥] لقضاء الحاجة كالغلام ، وربما دل قتله على العلم الوافر لقصة الخضر ، عليه السلام " الذي قتل الغلام ، كما جاء في قوله تعالى :" فانطلقا حتى إذا لقيا غلاما فقتله " ويعجب نبي الله موسى –

---

١ - ابن الجوزي : صفوة الصفوة ، ٧٧٢/١ ، وانظر – ابن قتيبة ؛ الإمامة والسياسة ، ص ٣١ .
٢ - ٨٧/٢ .
٣ - ٤٦/١ ، ٤٧ .
٤ - للاقتناء .
٥ - يبدو أنه يقصد الرقيق من الأطفال الذي يعد ويقتنى للخدمة ، أو لخدمة صاحبه .

عليه السلام – فلم يملك إلا أن :" قال : أقتلت نفسا زكية بغير نفس ، لقد جئت شيئا نكرا [1] " ويفسر الخضر – عليه السلام – ما فعله في آية لاحقة ، هي : " وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فخشينا أن يرهقهما طغيانا وكفرا ، فأردنا أن يبدلهما ربهما خيرا منه زكاة وأقرب رحما [2] " .

وهكذا نجد الصبي والغلام والولد يفسر – أو قد يفسر – بأنه عدو ، وشتان شتان بين الأولاد والأبناء وبين الأعداء ، ولعل هذا التفسير متأثر أو مقتبس من قوله تعالى :" وإن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم [3] " والذي أفهمه من الآية ، أو من بدنها " وإن من . . . " أي بعض هؤلاء الأزواج أو الأبناء قد يكونون أعداء لأزواجهم وأبنائهم ، بعض هؤلاء ، بعض فقط ، قد يكونون لنا أعداء ، وليس كلهم ، أو في كل الأحوال .

ولذا يقول الله – تعالى :" فاحذروهم " أي احذروا أن تطيعوهم في التخلف عن الخير ، كالجهاد والهجرة [4] ، وفي الآية التالية لهذا التحذير :" إنما أموالكم وأولادكم فتنة ، والله عنده أجر عظيم [5] " وفي الحديث الشريف:" إن الولد مَجْبنة مَبْخلة [6] " أي قد يؤدي حبه إلى الجبن والبخل .

والآن انتهينا من الأسس التي رأيناها حاكمة ومؤطرة لعملية تفسير المنام ، وقد آن الآوان وحان كي ننتقل إلى الموضوع التالي والذي سيخصص لذكر بعض نماذج الرؤى الصادقة .

١- ٧٤ الكهف .
٢- ٨٠ ، ٨١ الكهف .
٣- ١٤ التغابن .
٤- تفسير الجلالين ص ٦٣ .
٥- ١٥ التغابن .
٦- ابن ماجة : ١٢٠٩/٢ .

من الرؤى الصادقة

نذكر هنا بعض نماذج الرؤى الصادقات ، كما وجدناها في التراث العربي وخاصة في الكتب الثلاث التي اعتمدت عليها الدراسة ، وهي كتب ابن سيرين وابن شاهين والنابلسي ، وقد فصلنا الكلام عن هذي الكتب ومؤلفيها قبلا في بدء الدراسة .

وقد حاولنا انتقاء هذه الرؤى مما لا شهرة له بين الناس ، ولا عهد لكثير منهم بها ، ولنبدأ في المنامات ولا نضيع وقتا في المقدمات :

١ ـ أبيات ابن الصيفي : قرأت في كتاب ابن شاهين [1] أن الشيخ نصر الله وكان من ثقاة أهل السنة رأى في المنام علي بن أبي طالب ـ رضي الله عنه ـ فقال له : يا أمير المؤمنين ، تفتحون مكة فتقولون : من دخل دار أبي سفيان فهو آمن ، ثم يتم على ولدك الحسين يوم الطف[2] ما تم ، فقال له الإمام علي : أما سمعت أبيات ابن الصيفي في هذا ، ويرد نصر الله : لا ، فقال عليّ له : لتسمعها منه .

ويبدو أن الرجلين كانا صديقين جارين ، لأن صاحب المنام عندما استيقظ بادر إلى دار ابن الصيفي ، وعندما خرج إليه حكى له الرؤيا ، وإذا بالشاعر

---

١ ـ ٣٥٢/٢ .

٢ ـ يوم قتل الحسين في كربلاء ٦١ هـ ، وسميت الواقعة بيوم الطف ، لأنها وقعت على طف الفرات ، أي على شاطئه .

يشهق ويجهش بالبكاء ، يقسم بالله بأن هذه الأبيات لم تخرج من فمه ولا من خطه لأحد ، وأنها لم تنظم إلا في ليلتي هذه فقط ، ثم أنشده :

ملكنا فكان العفـــو منا سجية	فلما ملكتمْ ســال بالدم أبطـــح
وحللتمُ قتل الأســـارى وطالما	غدونا على الأسرى نعفّ ونصفح
وحسبكمُ هذا التفـــاوت بيننـا	وكل إنـــاء بالذي فيه ينضـــح

فمن هو ابن الصيفي هذا ؟ سألنا المختصين ، لم نحظ بإجابة شافية ، اتجهنا إلى الشبكة الدولية ، ظهرت لنا معلومات وافرة عن الشاعر الكريم ، وقد أحالتنا الشبكة إلى مجموعة من المراجع ، منها وفيات الأعيان لابن خلكان الذي ترجم لابن الصيفي :

هو أبو الفوارس سعد بن محمد بن سعد الصيفي التميمي الملقب بشهاب الدين ، الشاعر المشهور ، كان فقيها شافعي المذهب تكلم في مسائل الخلاف إلا أنه غلب عليه الأدب ، ونظم الشعر ، وأجاد فيه مع جزالة لفظه ، وكان من أخبر الناس بأشعار العرب واختلاف لهجاتهم ، كما أن له رسائل فصيحة بليغة.

ويقال بأن الرجل كان شديد الاعتزاز بنفسه وبلغته ، فكان لا يخاطب أحدا إلا بلسان العرب ، بل كان يلبس زي العرب ، متقلدا السيف ، كما كان يفعل أجدادنا العرب ، لقد كان شاعرنا يرى أنه من ولد أكثم بن صيفي التميمي ، حكيم العرب .

ويقال بأن أبا الفوارس رأى الناس في حركة مزعجة مضطربة وأمر شديد ، فقال : ما للناس في حيص بيص (شدة واضطراب) فلقبه بعض الناس بلقب (حيص بيص) توفى – رضي الله عنه – ليلة الأربعاء سادس شعبان

سنة ٥٧٤ هـ ، وذلك ببغداد ، ودفن بالجانب الغربي ، في مقابر قريش ، رحمه الله تعالى [١] .

٢- دعاء للفرج : قال عبد الله بن مالك : كنت شرطيا عند هارون الرشيد ، فأتاني رسوله ليلا في وقت لم يأتني فيه قط ، فانتزعني من فراشي ، ومنعني من تغيير ثيابي ، فراعني ذلك ، فلما صرت إلى الدار ، أذن لي في الدخول ، فدخلت فوجدت هارون الرشيد قاعدا على فراشه ، فسلمت عليه ، فمكث ساعة ، فطار عقلي ، وتضاعف الجزع عليَّ ، ثم قال : يا عبد الله ، أتدري لماذا طلبتك في هذا الوقت ؟ قلت : لا يا أمير المؤمنين ، قال : رأيت الساعة في منامي كأن عبدا حبشيا قد أتاني ومعه حربة ، فقال : إن خليت عن موسى بن جعفر الساعة ، وإلا نحرتك بهذه الحربة ، فاذهب فخلِّ عنه ، فقلت : يا أمير المؤمنين ، أطلق موسى بن جعفر ، وعاودته ثلاث مرات ، قال : امض الساعة حتى تطلقه ، وأعطه ثلاثين ألف درهم ، وقل له : إن أحببت المقام قِبَلنا ، ولك عندنا ما تحب ، وإن أحببت السير إلى المدينة فالإذن في ذلك لك .

قال الشرطي : فجئت إلى الحبس وأخرجته ، وأعطيته ما أمر به أمير المؤمنين ، ثم قال للإمام موسى بن جعفر : قد رأيت في أمرك عجبا ، وقص عليه ما كان في هذه الليلة ، يقول الإمام : فإني أخبرك ، إني كنت بين النائم واليقظان ، فأتى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – فقال :" يا موسى ، حُبست مظلوما ، فقل هذه الكلمات ، فإنك لا تبيت هذه الليلة في الحبس"

١- ابن خلكان : وفيات الأعيان ٣٦٢/٣ .

فقلت: بأبي وأمي ما أقول ، قال :" قل يا سامع كل صوت ، ويا سابق الفوت ، ويا كاسي العظام لحما ، ومنشزها لحما بعد الموت ،أسألك بأسمائك الحسنى ، وباسمك الأعظم الأكبر المخزون المكنون ، الذي لم يطلع عليه أحد من المخلوقين ، يا حليما ذا أناة ، ارحم من لا يقوى على أناة ، يا ذا المعروف الذي لا ينقطع أبدا ، ولا يحصى عددا ، فرج عني " فكان أن فرج الله عنه ، كما سبق [١] .

٣- قراءة الزيات : قال سليم بن عيسى : دخلت على حمزة بن حبيب الزيات – رضي الله عنه – يمرغ خديه في الأرض ويبكي ، فقلت : أعيذك بالله ، ما هذا البكاء ؟ فقال : رأيت البارحة في منامي كأن القيامة قد قامت ، وقد دعي بقراء القرآن ، فكنت ممن حضر ، فسمعت قائلا يقول بكلام عذب :" لا يدخل إلا من عمل بالقرآن " فرجعت القهقري ، فهتف هاتف باسمي :" ابن حبيب الزيات" فقلت : لبيك داعي الله ، فبادرني ملك ، فقال : قل لبيك اللهم لبيك ، فقلت كما قال . فأدخلت دارا سمعت بها ضجيج القراء ، فوقفت أرعد ، فسمعت قائلا يقول :" لا بأس عليك ، اقرأ وارق ، فرقيت " فأدرت وجهي فإذا أنا بمنبر من در أبيض ومرقاة [٢] من ياقوت أحمر ، ومرقاة من زبرجد أخضر ، فقيل : اقرأ وارق ، فرقيت ، فقال لي :" اقرأ سورة الأنعام " فقرأت ، وأنا لا أدري على من أقرأ ، حتى بلغت رأس الستين آية :

١- ابن شاهين ٢/٣٥٢ .

٢- درجة من درجات المنبر .

" وهو القاهر فوق عباده " قال:" يا حمزة ، ألست القاهر فوق عبادي " فقلت : بلى .

قال :" صدقت ، اقرأ " فقرأت الأعراف ، حتى بلغت آخرها ، فأوميت بالسجود ،قال:" حسبك ، فامض لا تسجد يا حمزة ، من أقرأك هذه القراءة ؟" قلت : " سليمان " يقصد شيخه سليمان بن مهران الأعمش ت ١٤٨ هـ ، قال : "صدق ، من أقرأ سليمان ؟" قلت :" يحيى " قال :" صدق يحيى ، على من قرأ يحيى " أي ابن وثاب ، ت ١٠٣ هـ ، قلت :" على أبي عبد الرحمن [1]" عبد الله بن حبيب السلمي ، ت ٧٣ هـ .

قال :" صدق أبو عبد الرحمن ، من أقرأ أبا عبد الرحمن " قلت : ابن عم نبيك علي بن أبي طالب ، قال : صدق عليّ ، فمن أقرأ عليا ؟ فقلت : نبيك محمد – صلى الله عليه وسلم – قال : صدق نبيي ، فمن أقرأ نبيي ؟ فقلت جبريل – عليه السلام – قال : فمن أقرأ جبريل ؟ فسكتّ ، قال يا حمزة : قل أنت ، قلت : لا أحسن أن أقول ، قال : قل أنت ، فقلت : أنت ، قال : صدقت يا حمزة ، وحق القرآن لأكرمن أهل القرآن ، لا سيما إن عملوا بالقرآن ، يا حمزة: القرآن كلامي ، ما أحببت أحد كحبي لأهل القرآن .

ادن مني يا حمزة ، فدنوت فغمس يده – سبحانه – في الغالية [2] ، ثم ضمخني بها ، ثم قال : لست أفعل بك وحدك هذا يا حمزة ، قد فعلت بنظرائك ، من فوقك ومن دونك ، ومن قرأ القرآن كما قرأت ، لم يّرد غيري ، وما خبأت

١- كان أبو عبد الرحمن يقول : قرأت على أمير المؤمنين عليّ – رضي الله عنه – القرآن كثيرا ، وأمسكت عليه المصحف ، فقرأ عليّ ، وأقرأت الحسن والحسين – رضي الله تعالى عنهما – حتى قرآ عليّ القرآن ، وكانا يدرسان على أمير المؤمنين ، عليّ رضي الله عنه ، انظر – ابن مجاهد : كتاب السبعة في القراءات ، ص ٦٩ .

٢- أخلاط من الطيب كالمسك والعنبر . . . الخ .

لكم عندي فأكثر ، فاعلم أصحابك بمكاني من حبي لأهل القرآن ، فهم المصطفون الأخيار ، يا حمزة : وعزتي وجلالي لا أعذب لسانا تلا القرآن بالنار ، ولا قلبا وعاه ، ولا أذنا سمعته ، ولا عينا نظرته ، فقلت : سبحانك يارب .

فقال : يا حمزة ، أين نظار المصاحف ، فقلت : يارب أي حفاظها ؟ فقال " هم ، ولكني لهم حتى يلقوني إلى يوم القيامة ، فإذا لقوني رفعت لهم بكل آية درجة " وبهذا ينتهي الحوار بين حمزة وبين ربه ليقول لمحدثه سليم بن عيسى : أفتلومني أن أبكي ، وأن أمرغ وجهي في التراب [١] ؟!.

وتحتاج هاتيك الرؤيا إلى الوقوف عند بعض رجالاتها ، فمن هو سُليم الذي روى عن ابن الزيات كل ما سبق ؟ إنه سليم بن عيسى الحنفي الكوفي ، أضبط أصحاب حمزة ، وأقومهم بحَرفه ، كان – رضي الله عنه – إماما في القراءة ، ضابطا محررا حاذقا ، وكان أخص أصحاب حمزة ، وهو الذي خلفه في القيام بالقراءة في الكوفة ، قال يحيى بن عبد الملك :" كنا نقرأ على حمزة فإذا جاء سُليم ، قال لنا حمزة : تحفظوا – أو – تثبتوا ، فقد جاء سليم " الذي توفى ١٨٨ هـ ، رضي الله عنهم أجمعين [٢] .

ثم من هو حمزة ؟ الزيات الكوفي هو أحد القراء السبعة ، وقراءته قراءة سبعية ، أي من القراءات السبع ، ما معنى هذه السبع وهؤلاء السبعة ؟ وللإجابة نقول باختصار:عندما نزل القرآن الكريم على قلب سيدي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – كان يشترط لصحة القراءة أن تثبت عن رسول الله ،

١- ابن شاهين : ٣٦٠/٢ ، ٣٦١ ، وقد وردت الرؤيا بنصها السابق في (صفوة الصفوة لابن الجوزي) ١٥٦/٣.

٢- ابن الجزري : النشر في القراءات العشر ١٦٦/١ .

أي أن تكون صحيحة السند عنه ، وعندما كتب المصحف الإمام أو المصحف العثماني ؛ لأنه كتب في عهد عثمان بن عفان – رضي الله – أضيف شرط ثان هو موافقة الرسم العثماني أو المصحف العثماني ، أو أحد المصاحف العثمانية الخمسة .

لأن هذه المصاحف الخمسة أرسلت إلى الأمصار ، واحد إلى مكة ، وآخر إلى البصرة وثالث للكوفة ، ورابع إلى دمشق ، وبقى الخامس في المدينة المنورة ، فاشترط للقراءة الصحيحة أو لكي تكون القراءة صحيحة أن توافق أحد هذي المصاحف ولو احتمالا .

وبعد فترة اشترط العلماء شرطا ثالثا للقراءة الصحيحة هو موافقة قواعد اللغة العربية ، ولو بوجه ، أو بوجيه ، بوجه ضعيف عند النحاة أو غريب أو شاذ ، إذا توافرت للقراءة صحة السند وموافقة الرسم العثماني .

وعليه فقد أصبحت القراءة الصحيحة ، التي يصح القراءة بها في الصلاة وخارج الصلاة تعتمد على ثلاث ركائز مهمة :

- صحة السند وهي الأهم .
- موافقة الرسم العثماني ، ولو احتمالا .
- موافقة قواعد اللغة العربية ، ولو بوجه ، أو وجيه.

ولكن العلماء أدركوا أن هذي الشروط لا يستطيع تطبيقها علمة الناس ، ومن ثم رأوا أن يحددوا للناس القراءات الصحيحة التي توافرت فيها الشروط والمشهور أن محمد بن أبي بكر مجاهد (ت ٣٢٤ هـ) هو أول من سمى هؤلاء القراء الذين رأى أن شروط القراءة تنطبق عليهم ، وكان هؤلاء سبعة ،

فسموا القراء السبعة ، وقراءاتهم هي القراءات السبع ، وكل قراءة منها تسمى قراءة سبعية ، أي واحدة من هذه السبع ، وهي قراءات :

١- عبد الله بن عامر اليحصبي الشامي ، نسبة إلى الشام ، ت ١١٨ هـ .

٢- عبد الله بن كثير المكي ، ت ١٢٠ هـ .

٣- عاصم بن أبي النجود الكوفي ، ت ١٢٧ هـ .

٤- أبو عمرو بن العلاء البصري ، ت ١٥٤ .

٥- حمزة بن حبيب الزيات الكوفي ، ت ١٥٦ هـ .

٦- نافع بن أبي نعيم المدني ، ت ١٦٩ هـ .

٧- على بن حمزة الكسائي الكوفي ، ت ١٨٩ هـ .

ولكن العلماء أضافوا إلى هذي السبع ثلاث قراءات أخر ، هي قراءات كل من :

١- أبو جعفر ، يزيد بن القعقاع المدني ، ت ١٣٠ هـ .

٢- يعقوب بن إسحاق الحضرمي البصري ، ت ٢٠٥ هـ .

٣- خلف بن هشام البغدادي ، ت ٢٢٩ هـ .

فأصبحت القراءات التي يصح القراءة بها في الصلاة وفي خارجها هي قراءات سبع – كما سبق – ما عداها شاذ ، لا يصح القراءة بها ، وإن كان يصح دراستها والإفادة منها في دراسة تاريخ العربية وظواهرها المختلفة ، وخاصة القراءات الأربع الزائدة عن العشر ، وقد خصصت لها رسالتي للدكتوراه بدار العلوم ١٩٨٣ م .

على أية حال فإن هؤلاء القراء العشرة والأربعة الزائدة عن العشرة ، كان لهم تلاميذ كثيرون ، اختار العلماء لكل واحد منهم تلميذين فقط ، يسميان بالراويين ، مثل حمزة بن حبيب الزيات ، راوياه ، هما :

- خلف بن هشام البزار ، ت ٢٢٩ هـ .
- خلاد بن خالد الصيرفي الكوفي ، ت ٢٢٠ .

ولكن هذه القراءات كلها والروايات لم يبق منها غير ثلاث روايات فقط ، يقرأ الناس بها ، وتطبع بها المصاحف :

١- رواية حفص عن عاصم بن أبي النجود ، أي حفص بن سليمان بن المغيرة ، الأسدي الكوفي ، ت ١٨٠ هـ ، وهي أشهر الروايات التي يقرأ بها المسلمون في شتى أرجاء المعمورة ، وقد فسرنا في كتابنا (الأصوات في رواية حفص عن عاصم) أسباب ذيوع هذه الرواية وانتشارها .

٢- رواية ورش – عثمان بن سعيد ت ١٩٧ هـ - عن نافع بن أبي نعيم ، وهي موجودة في مصر والمغرب وغرب القارة الأفريقية ، وكانت في الأندلس قبل ذلك .

٣- رواية قالون – عيسى بن مينا ت ٢٠٥ هـ عن نافع ، ويختص بها غالبية أهل ليبيا وموريتانيا ، وبعض أهالي تونس والجزائر .

بقيت رواية رابعة ، هي رواية الدوري – أبي عُمَر – حفص بن صهبان ت ٢٤٦ هـ عن أبي عمرو بن العلاء ، وهي موجودة في بعض مناطق السودان وتشاد ، ولكنا لم نر لها مصحفا ، أو لم نعرف أن مصحفا لها طبع ،

مثل الروايات الثلاث السابقات روايات (حفص – ورش – قالون) التي لها الآن مصاحف مطبوعة .

نعود إلى القراء لنقول : إذا كان الله قد اصطفى الأمة الإسلامية من بين الأمم ، فقد اصطفى من هذه الأمة قراءها ، فهم خيار من خيار ، ليس الزيات وحده الذي رأى بشارة ، أو رؤيت له بشارة ، وإن كانت بشارته في أعلى عليين ، أو هو كالكوكب الدري في الجنان ، ونذكر الآن بعض الرؤى الصادقة لغير حمزة من قراء القرآن الكريم :

١- نافع بن أبي نعيم : كان إذا تكلم يشم من فيه رائحة المسك ، فقيل له : تتطيب كلما قعدت تقري الناس ؟ قال : ما أمس طيبا ، ولا أقرب طيبا ، ولكني رأيت فيما يرى النائم النبي – صلى الله عليه وسلم – وهو يقرأ في فيّ – فمي – فمن ذلك الوقت وأنا أشم من فيّ هذه الرائحة [١] .

وقيل لنافع أيضا : ما أصبح وجهك وأحسن خلقك ؟ قال : كيف لا أكون كذلك ، وقد صافحني رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وعليه قرأت ، يعني في المنام [٢].

٢- أما شيخ نافع ، أي يزيد بن القعقاع فقد رئي بعد وفاته في صورة حسنة ، فقال لرائيه : " بشر أصحابي وكل من قرأ قراءتي بأن الله قد غفر لهم [٣] ، وأجاب فيهم دعوتي ، وأمرهم أن يصلوا هذه الركعات في جوف الليل كيف استطاعوا [٤] "

١- أبو الخير ، د. أحمد : قراءة المدينة في القرن الأول الهجري ، دراسة صوتية تاريخية ، ماجستير غير مطبوعة ، دار العلوم ١٩٧٧ ، انظر ص ٣٠ .
٢- السابق .
٣- القسطلاني : لطائف الإشارات لفنون القراءات ، ص ٩٧ .
٤- ابن الجزري : النشر ١/١٨٨ .

٣- قال سفيان بن عيينة : رأيت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – في المنام ، فقلت : يا رسول الله قد اختلفت عليَّ القراءات ، فبقراءة من تأمرني أن أقرأ ؟ قال : اقرأ بقراءة أبي عمرو بن العلاء [١] .

وبعد هذه الاستطرادة نعود مرة أخرى للتعريف بابن حبيب الزيات ، فنقول : ولد سنة ٨٠ هـ ، وكان إمام الناس في القراءة بالكوفة بعد عاصم بن أبي النحود (ت ١٢٧ هـ) وأستاذه سليمان بن مهران الأعمش [٢] الذي سنفصل الحديث عنه بعد ذلك .

كان حمزة – رضي الله عنه – ثقة كبيرا حجة رضيا قيما بكتاب الله مجودا عارفا بالفرائض والعربية حافظا للحديث ، ورعا عابدا خاشعا ناسكا زاهدا قانتا لله ، لم يكن له نظير ، قال له الإمام أبو حنيفة :" شيئان غلبتنا عليهما ، لسنا ننازعك عليهما ، القرآن والفرائض " وكان شيخه الأعمش إذا رآه يقول :" هذا حبر القرآن " وقال حمزة :" ما قرأت حرفا في كتاب الله إلا بأثر [٣]" ولهذا كله استحق حمزة – رضي الله عنه – أن يرى ربه يبشره بكل هذي البشارات السابقات .

وبرغم مكانته العظيمة تلك فقد كان يتاجر في الزيت ، ومن ثم لقب بالزيات ، الذي كان يجلبه من الكوفة إلى حلوان [٤] العراق ، والتي توفي بها سنة ١٥٦ هـ ، ويجلب من حلوان الجبن والجوز إلى الكوفة ، وعندما مات على بن حمزة الكسائي – ت ١٨٩ هـ - رؤى في النوم كأن وجهه البدر ،

١- السابق ١٣٤/١ .
٢- ابن الجزري : النشر في القراءات العشر ١٦٦/١ .
٣- السابق .
٤- وهي غير حلوان مصر التي تقع جنوب القاهرة .

فسُئل : ما فعل الله بك ؟ قال : غفر لي بالقرآن ، ثم سُئل : ما فعل بحمزة الزيات ؟ قال : ذاك في عليين ، ما تراه إلا كما يرى الكوكب الدريّ [1] .

وبعد هذا الذي قيل عن حمزة في عليين كأنه الكوكب الدري ، ننتقل إلى شيخه سليمان بن مهران المشهور بالأعمش الذي ولد يوم مقتل الحسين بن علي – رضي الله عنهما ، عاشر المحرم سنة ٦١ هـ ، قال عنه سفيان الثوري (ت ١٦١ هـ) :" منذ ولد الأعمش عز الإسلام " نعم لقد كان سليمان بن مهران فصيحا لم يلحن قط ، بقى قريبا من سبعين سنة لم تفته التكبيرة الأولى مع الإمام ، وكان شعبة إذا ذكر الأعمش قال :" المصحف المصحف ، سماه بهذا لصدقه ، وكان يسمى سيد المحدثين [2] .

أما السخاوي فيقول :" لم ير السلاطين والملوك والأغنياء في مجلس أحقر منهم من مجلس الأعمش مع شدة حاجته وفقره [3] " وعن عيسى بن يونس أيضا :" ما رأينا في زماننا مثل الأعمش ، ما رأيت الأغنياء والسلاطين في مجلس أحد أحقر منهم في مجلس الأعمش وهو محتاج إلى درهم [4]".

جاء رجل من الشام فسأله الأعمش : كيف تركت بني أمية ؟ ولم يملك الرجل إلا أن يقول : تركتهم بخير ، ولكن الإمام يرد بقوله : تركتهم يجيعون الناس ويشبعون الكلاب .

أرسل إليه أحد الأمويين يسأله أن يكتب له مناقب عثمان ومثالب عليّ ، وكان إلى جانبه شاة فألقى إليها الرسالة فأكلتها ، ولكن المبعوث الأموي ألح

١- المضيء.
٢- أبو الخير ، د. أحمد : قراءة الأربعة الشواذ ، رسالة دكتوراه غير منشورة ، دار العلوم ١٩٨٣ ، انظر ص ٤٨ .
٣- السابق .
٤- ابن الجوزي ١١٧/٣ .

في تلقي الإجابة ، فقال الإمام :" لقد رأيت إجابتي " ويلح الناس على الأعمش متوسلين له :" إنك تشيط بدمك " أي يمكن أن يقتل ويهدر دمه ، والرجل لا يلين ، غير أن الناس ألحوا مرة أخرى بأن هذا المسكين سوف يقتل إن رجع بدون إجابة ، وعندها رق الإمام فكتب للسائل :" اعلم يا فلان " ذكره باسمه ، ولم يلقبه بأمير المؤمنين : (اعلم أن مناقب عثمان لو كانت ملء الأرض لن تفيدك شيئا ، واعلم أن مثالب عليّ لو كانت ملء الأرض لن تضرك شيئا " .

جاء الحجاج بن أرطاة فاستأذن على الأعمش بقوله :" قولوا له أبو أرطاة بالباب " فقال الإمام :" أيكتني عليّ ! " فلم يأذن له ، لقد اعتبر الأعمش أن اكتناء هذا الرجل عن نفسه وبنفسه يجافي الأدب ، لأنه علامة كبر إذ الأولى والأجدر أن يكنيه غيره ، أي يناديه بكنية غيره ، وليس هو نفسه[1].

وبرغم هذا كله فقد كان لين الجانب ذا دعابة مع أصحابه والمقربين إليه لقد كان معاصرا للإمام أبي حنيفة صاحب المذهب الذي زاره مع آخرين في مرض له ، وعندما أطالوا المكث معه حمل وسادته على رأسه قائلا لزواره : " شفى الله مريضكم فقوموا " أي انتهت الزيارة بشفاء المريض الذي جئتم لزيارته .

وفي زيارة أخري سأل الإمام أبو حنيفة صاحبة الأعمش: " هل أثقلنا عليك في الزيارة ؟ " يرد ابن مهران على ضيفه : " بل أنتم في بيوتكم أثقل عليّ " وهو ما يدل على عمق الصلة بين الإمامين .

١- ابن سعد : الطبقات الكبرى ٣٦٨/٦ .

وغضبت زوجة مرة فسعى أحد تلاميذه للصلح بينهما ، فقال لها :" لا تنظري إلى عموش عينيه وحموش [1] ساقيه؛ فإنه إمام" غضب الرجل ونهر تلميذه قائلا له :" قم ، والله ما أراك إلا دللتها على عيوبي " بقى أن نذكر أن الأعمش كان مولى بني كاهل [2] ، وبرغم هذا ، وبرغم كونه من الموالي إلا أن هذا لم يحل بينه وبين أن يتبوأ هذه المكانة في المجتمع العربي الإسلامي حتى قيل : " منذ ولد الأعمش عز الإسلام " هذه حضارتنا التي ترفع من مكانة المسهمين الحقيقيين فيها ، دون نظر إلى أصل وفصل ، وطبقة دون أخرى ، أو فقر أو غنى .

ومن ناحية أخرى فقد لقب الإمام بالأعمش لإصابته بالعَمَش ، وهو" ضعف البصر مع سيلان دمع عينيه في أكثر الأوقات " ومع هذا لم يحل هذا العَمَش بين الرجل وبين الاندماج في المجتمع ، وأن يتقبله المجتمع هذا القبول الحسن ، قيمة أخرى تضاف إلى قيم حضارتنا الراسخة الراقية ، والتي تهتم بالناس كل الناس اهتماما صادقا ، بلا رياء ولا مراءاة ، ولكن حضارة الغرب واللاهثين خلف حطامها وفتاتها ومخلفاتها تذكروا بعد دهر أو دهور ، تذكرت ما يسمى بذوي الاحتياجات الخاصة ، فاتخذت من الدعوة إلى الاهتمام بهم زيفا تُدّثر به لإخفاء الوجوه المنكرة المخيفة لحضارة اليوم الوافدة إلينا رغما عنا .

والآن نذكر بعض الرؤى ، ولكن دون تعليق عليها ، كما علقنا عن الرؤيا الأخيرة عن الإمام حمزة الزيات :

---

١ ـ دقة الساقين ، فقد كان الأعمش نحيلا جداً.

٢ ـ ابن سعد : ٣٦٧/٦

١- حكي أن الإمام الشافعي – رضي الله عنه – لما كانت أمه حاملا به رأت في منامها كأن الكوكب الذي يقال له المشتري قد خرج منها ونزل بمصر ، ثم فرقع فرقعة وطار منها شرر عظيم كالقِطع ، فلم تبق مدينة ولا قرية إلا وساد فيها علمه ومذهبه [١].

٢- ويحكى أن الإمام الحسين بن علي– رضي الله عنه –رأي في المنام كأنه كتب بين عينيه سورة الإخلاص ، فأرسل إلى سعيد بن المسيب رحمه الله تعالى ، فقصها عليه ، فقال : إن صدقت رؤياه فإنه سيموت سريعا ، يقول النابلسي [٢] معقبا : " فمات الحسين غريبا " في كربلاء .

٣- وذكر رجل من الأزد أن أحد عظماء قبيلته صلى معهم صلاة العشاء الآخرة صحيحا بصيرا ، فأصبح وهو أعمي ، فأتيناه وقلنا له : ما هذا الذي طرقك [٣] ، قال : أوتيت في منامي فأخذت، فذهب بي إلى رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وإذا هو قاعد وبين يديه طستٌ مملوء دما ، قال : إنك كنت ممن قاتل الحسين ؟ قلت: نعم فأخذ أصبعي هاتين – يعني السبابة والوسطى – فغمسهما في الدم ، ثم مال بهما هكذا في عيني، وأومأ بإصبعيه ، قال فأصبحت لم أبصر شيئا [٤] .

٤- وحكي أن رجلا جاء إلى ابن سيرين قائلا له : رأيت كأن رجلا قائما وسط مسجد البصرة متجرداً ، بيده سيف ،يضرب به الصخر فيفلقها ،

١- ابن سيرين وجعفر الصادق: ص ٢١، ٢٢ .
٢- ١/٣٦ .
٣- أصابك .
٤- ابن سيرين ، ص/١٢١.

فقال ابن سيرين : ينبغي أن يكون هذا الرجل الحسن البصري ، فقال الرجل هو والله ، قال ابن سيرين : قد علمت أنه الذي تجرد في الدين أي لوسط المسجد[1] ، وأن سيفه الذي كان يضرب لسانه الذي يفلق بكلامه الحجر بالحق في الدين [2] .

والآن نستأذن القارئ في وضع بعض الرؤى التي جاءت في كتاب الروح لابن القيم [3] :

١- الإمام عليّ يقتص : كان رجل يسب أبا بكر وعمر – رضي الله عنهما – وما أن انتهى الناس من صلاة الصبح في مسجد سيدي رسول الله – صلى الله عليه وسلم – حتى أقبل هذا السابّ للصاحبين وقد خرجت عيناه وسالتا على خديه ، يا إلهي ! ماذا فعل الله به ولماذا وكيف ؟ ويجيب الناس الذين سألوه عن قصته ، هذه هي الحكاية ، يقصها صاحبها :

رأيت البارحة رسول الله – صلى الله عليه وسلم – وعليّ بن أبي طالب بين يديه ، ومعه أبو بكر وعمر ، فقالا : " يا رسول الله ، هذا الذي يؤذينا ويسبنا " فقال لي رسول الله – صلى الله عليه وسلم : " من أمرك بهذا يا أبا قيس ؟ " .

ويزج الرجل باسم أمير المؤمنين على بن أبي طالب – رضي الله عنه - إنه يدعى زورا وإفكا وبهتانا ، ويقول : " عليّ " مشيرا إليه ، وهنا يقبل عليه أمير المؤمنين بوجهه ويده ، وقد ضم أصابعه ، وبسط السبابة والوسطى ،

١- في قيامه وسط المسجد بتجرده للدين والدفاع عنه .
٢- ابن سيرين، ص/٧٣ .
٣-ص ١٩٨ .

وقصد بها إلى عينيّ أبي قيس قائلا له : " إن كنت كذبت ففقأ الله عينيك " وأدخل أصبعيه في عينيه، وينتبه أبو قيس من نومه ليجد عينيه قد اقتلعتا من مكانهما لتسيل على خديه ، يبكي وهو يخبر الناس ، ثم أعلن التوبة .

٢- دَيْن اليهودي [١] : كان صعب بن جثامة وعوف بن مالك متآخيين ، فقال صعب لعوف – رضي الله عنهما : " أي أخي ، أينا مات قبل صاحبه فليتراء له " أي يحاول أن يراه في المنام ، ويقول عوف لأخيه : " أو يكون ذلك ؟ " نعم يكون ذلك .

ويموت صعب ويراه أخوه عوف فيما يرى النائم فيسأله : " أي أخي ، ما فعل بكم ؟ " قال : " غفر لنا بعد المصائب " ولكن عوفا يرى في عنق أخيه مصعب لمعة سوداء ، فيتساءل : " أي أخي ، ما هذا ؟ " قال : عشرة دنانير استلفتها من فلان اليهودي ، فهن في قرَني[٢] ، واعلم أي أخي أنه لم يحدث في أهلي حدث بعد موتي إلا قد لحق بنا خبره ، حتى هرة لنا ماتت منذ أيام ، واعلم أن بنتي تموت بعد ستة أيام ، فاستوصوا بها معروفا .

وعندما أصبح عوف ذهب إلى بيت أخيه ، فنظر إلى القرَن فأنزله فرأى الصرة التي فيها الدنانير ، فبعث بها إلى اليهودي ، فهذه واحدة أما الثانية فإن هرة في البيت ماتت قبل أيام ، ثم سأل أين ابنة أخي ؟ قالوا : تلعب ، ثم أتى بها فمسها فإذا هي محمومة ، فماتت في ستة أيام .

١- ص ١٨ .

٢- القرن – بفتح القاف والراء بعدها – الجعبة يشق وسطها قدر فتر – بكسر الفاء وسكون التاء – أما الجعبة فهي وعاء السهام والنبال ، وأما (الفتر) فهو قدر ما بين طرف أصبع الإبهام وطرف أصبع السبابة إذا انفتحتا ، وهي تقدر حسب فتحة أصبعي بحوالي ٢٠ سم طولاً ، والفتر أقل من الشبر الذي أقدره بـ ٢٤ سم ويبدو أن هذا (القرَن) كان عبارة عن جيب سرية في جعبة السهام تخبأ فيه الأموال حتى لا يصل إليها أحد خاصة من أهل البيت ، وإلا فإن هذه الجيب السرية لو كانت معروفة لدى أهل البيت لوصلوا إلى الدنانير ، ولكن هذا المكان لم يعرف إلا من خلال المنام ، حيث دل الميت على مكان المال .

٣- رؤيا العباس [١] - قال العباس بن عبد المطلب : كنت أشتهي أن أرى عمر بن الخطاب في المنام فما رأيته إلا قرب الحول ، فرأيته يمسح العرق عن جبينه وهو يقول : هذا أوان فراغي ، إن كاد عرشي ليهد ، لولا أن لقيت رءوفا رحيما .

٤- صاحب الوقيعة [٢] في عليّ : سار الرجل الشامي بين الناس قد اسود نصف وجهه وهو يغطيه ، وعندما سئل عن هذا قال : " قد جعلت الله عليّ أن لا يسألني أحد عن ذلك إلا أخبرت به " .

يقول الرجل : كنت شديد الوقيعة في علي بن أبي طالب – رضي الله عنه – فبينما أنا ذات ليلة نائم إذ أتاني آت في منامي ، فقال : أنت صاحب الوقيعة فيَّ ؟ فضرب شق وجهي ، فأصبحت وشق وجهي أسود كما ترى .

وبعد هذه المنامات والحكايات ندلف إلى الموضوع الذي يليه لننصح القارئ كيف يفسر حلمه؟.

١- ص ٢٦ .
٢- ص ١٩٦ .

كيف تفسر حلمك

يجب أن نعرف مرة أخرى أن الهدف من هذه الدراسة ليس أن يتمكن المرء من تفسير حلمه، إن هذا تبسيط للموضوع وتقزيم للجهد ، لأن عملية التفسير ليست صعبة على الإطلاق ، بل هي سهلة جدا نشرح لك قواعدها وخطواتها ، ولكننا نساءل هل تفسير الأحلام اختلف عن أيام ابن سيرين (ت ١١٠هـ) أو عن زمن النابلسي في القرن الحادي عشر الهجري؟ (١)

نعم يجيب ابن سيرين عن هذا التساؤل بقوله : "واعلم انه لم يتغير من أصول الرؤيا القديمة شيء ،بل تغيرت حالات الناس في هممهم وآدابهم ، وإيثارهم أمر دنياهم على آخرتهم ، فلذلك صار الأصل الذي كان تأويله همة الرجل وبغيته،وكانت تلك الهمة دينه خاصة دون دنياه ، فتحولت تلك الهمة عن دينة وإيثاره إياه ، فصارت في دنياه وفي متاعها وفي غضارتها (٢) ، وهي أقوي الهمتين عند الناس اليوم ، إلا أهل الدين والزهد في الدنيا ، وقد كان أصحاب رسول الله- صلى الله علية وسلم – يرون التمر فيتأولونه حلاوة دينهم ، ويرون العسل فيتأولونه القرآن والعلم والبرّ ، وحلاوة ذلك في قلوبهم وتلك الحلاوة صارت اليوم عند عامة الناس في دنياهم وغضارتها إلا القليل ممن وصفت"

هذا ما نص علية ابن سيرين ، ونحن نضيف بأن الناس الآن - إلا من عصم ربي- لا تكف عن ثلاثة أشياء :

- الصراع مع الآخرين

١- ص١٣/١.
٢- الغضارة : السعة والنعمة.

- التآمر ضد الآخرين
- التحريض والتأريش بين الآخرين

وفوق كل هذا وأهم من هذا المصلحة الشخصية المباشرة جداً أو ما يتصور أنة المصلحة الشخصية ، دون اعتبار لشيء آخر ، فإذا حدثت إنسانا عن مصلحة العمل أو صالح البلد فانه يعجب من هذه السذاجة والسطحية ، فهو أصم تماما عندما يسمع مفردات كهذه التي تطرق مسامعه، وعليه فان هذي الاعتبارات كلها تؤخذ في الاعتبار عند تفسير أحلام الناس اليوم .

أما عندما تحدثه عن الموت والحساب والآخرة فإن عظام المشركين النخرة هي أفهم لكل هذه الأشياء منه، ولا حول ولا قوة إلا بالله العلى العظيم .

على أية حال نعود سريعا إلى سؤالنا السابق : كيف تفسر حلمك ؟

١- اقرأ هذا الكتاب ، واكتب النصائح التي تنصح بها عندما ترى حلما مرعبا أو كابوسا.

٢- ومن الأشياء التي تعرف بها صدق الرؤيا أن يكون ما رايته معقولا مقبولا في منطق الناس ودنياهم ، فإذا رأيت مثلا انك أصبحت أصغر من نملة ، أوانك تدخل في سم الخياط ، أو تمر من ثقب الإبرة ، فهذا لا أصل له .

٣- إذا رأيت شيئا ما في المنام مثل (الكرسي) رأيت أنك اشتريت كرسيا سليما جيدا جدا ، فعليك أن ترجع إلى كتاب من كتب تفسير الأحلام لتعرف ما تفسير الكرسي في المنام ، إنه :" في المنام رفعة من قبل

السلطان ، ومن رأي أنه جالس على كرسي فإنه يكون وكيلا أو وصيا وإن كان يصلح للسلطان تقلد سلطانا وولاية ونال رفعة [1] " .

٤- ولا يُكتفي بهذا ، بل تنظر في نفسك،إن كنت تسعى لوظيفة مرموقة ، أو منصب ، أو أنت مرشح لشيء منها فهي بشارة لك بتيسير الله لك فإن كنت غائبا عن أهلك ، فان الله سيأذن لك بالعودة لتنال بغيتك ومرادك.

مثال آخر ، تقدم زميل للترقية ، في المرة الأولى رأي المفتاح مكسورا ، وبالفعل لم يوفق تلك المرة ، وفي الثانية رأي المفتاح سليما ، ولكن عليه شيء من التراب الخفيف وبالفعل رقي هذه المرة ، ويقول من شهد جلسة الترقية أنه حدثت معركة حامية ، وهذا تفسير التراب الخفيف على المفتاح .

وأرى أن أجدر الناس بتفسير المنام هو رائيه ، لأنه الأعلم والأدرى بتفاصيل أحواله ، فقد اشتري كلا الشقيقين قطعة أرض للبناء ، وفي ظل حال التآمر بين كثير من الناس أخفى كل من الشقيقين سعيه للحصول على ترخيص البناء ، برغم نقاء العلاقة بينهما التي تصل إلى الحميمية .

يا إلهي ، كيف هذا !! ولكن أباهما – رحمه الله – فضحهما ، أو فضح أحدهما ، عندما جاء إلى الآخر في المنام ليقول له : " أسرع في البناء ، لقد سبقك أخوك فلان" وعندها أسرع إلى شقيقة يسأله : " هل تسعى لاستخراج ترخيص بناء " ياربي ، إن كل شيء على ما يرام ، إنني لم أخبر أحدا من أشقائي أو شقيقاتي أو معارفي ، ولكن الأمر جد صحيح ، فكيف عرف شقيقي قال : جاءني أبى في المنام ... وقص عليه ما كان .

١- ابن سيرين والنابلسي معجم تفسير الأحلام ، القاهرة ٢٠٠٢، انظر ص ٥٢٠- ٥٢١

وفي ظل حالة التآمر والصراع والتأريش بين الناس وإفساد ذات البين جابه أحد عباد الله المساكين جبهة نفاق وتآمر سنوات طويلة مريرة، وفي النهاية تمكن من الشيطان الأكبر في جبهة التآمر ، بعد أن كاد يقضي عليه الآخر ، وعندها ضربه بكل قوة بكلتا رجليه – وكل هذا طبعا في المنام – فألقاه على ظهره، وبجانب هذا المشهد كان في المنام أيضا سفينة من الخشب ، كأنه الجبل ، هذا الجبل من الخشب يمثل في المنام النفاق والمنافقين ، وكما هو معلوم في الأحلام الغالب هو المغلوب، لذا تمكنت الجبهة الأخرى من تحقيق هدفها .

وعندما تقدم شاب لوظيفة مرموقة كان يحتاج إلى شهادة حسن السير والسلوك من الوزارة المعنية ، هذه الشهادة غابت ، إلا أن الشاب رأي أن الشهادة في جيبه وأن فيها كلاما طيبا ، ولقد ذهب إلى رئيسه ليبشره ، الذي أجابه بأن الشهادة وصلت فعلا ، وفيها الموافقة المطلوبة .

أي أن رائي الحلم لا يعيش الأحلام أو يستغرق فيها ، بل يعيش الواقع ، فيفسر المنام حسب الواقع المعاش ، وليس العكس

والآن وقد فرغنا من كل ما أردنا قوله ، وبقرنا بطن الموضوع بقراً ، ولم يبقى لنا إلا خاتمة الدراسة .

الخاتمة

عشنا مع الدراسة التي بقرت موضوعها بقرا ، وحاولت الإلمام بكل أطرافه وشوارده ومفرداته ، فما هو المطلوب والمؤجل الآن بعد هذه الدراسة المضنية ؟ نعم نحن بحاجة ماسة إلى ما يلي :

١ـ الاهتمام بكتب تفسير الأحلام ، تحقيقا علميا ونشرا حقيقيا لهذا التراث المهم أو لهذا الجزء المهم ، بل بالغ الأهمية من تراثنا .

٢ـ إن هذه الكتب تنقسم إلى قسمين قسم يرتب الألفاظ ترتيبا معجميا ، من الألف إلى الياء . وهو معجم مهم من معاجم العربية ، ولكنه معجم متخصص في ألفاظ تفسير الأحلام ، هذا المعجم يحتاج إلى تحقيق علمي أمين ، يفسر الألفاظ الغريبة التي لم تفسر ، بعد ضبطها والتحقق منها .

٣ـ كما أننا بحاجة ماسة إلى دراسة المعاني الهامشية للألفاظ من خلال تفسيرها أو معناها في المنام ، إن هذه المعاني الهامشية تمثل وجهة نظر المجتمع في اللفظة التي تكون في الرؤيا المنامية.

فقد فرقت كتب تفسير الأحلام – مثلا- بين الساطور والسكين ، فالأول: " في المعجم رجل قوي شجاع ، مفرق بين الأمور ، سهلها وصعبها ، قاطع للخصومات ، ومن قاتله يفرقه الله في البلاد " أما السكين فشأنها مختلف :" هي في المنام دالة على خادم المكان ، والتصدي لنفع أهله[1]..." كل هذا يمثل موقف المجتمع من كلتا الأداتين اللتين قد تتشابهان في أذهان بعض الناس،ولكن طريقة عمل كل منهما مختلفة ، فالساطور مخصص لكسر العظام

١ـ النابلسي ٣/٦/٢

وما يعسر على الإنسان قطعة ، أما السكين فإن عملها وإن كان القطع أيضاً ، فإنها تقوم بهذا العمل بهدوء وبرفق.

٤- أما القسم الثاني من هذه الكتب فيسير حسب الموضوعات ، أو بعبارة أخري يتكئ على نظرية الحقول الدلالية ، ومن هنا فإن هذا النوع من الكتب يحتاج إلى دراسة علمية من خلال نظرية الحقول الدلالية .

٥- وفوق كل هذا وقبل كل هذا يحتاج تراث تفسير الأحلام إلى القراءة والإطلاع عليه ومدارسته والنظر فيه من جميع جوانبه ، حتى لا يتحول إلى ركن منسي مهمل ، لا ينظر إلية العلماء أو الدارسون ، بل يترك للعامة ، أو لبعض العامة تحاول من خلاله تفسير أحلامها .

٦- كما يحتاج هذا التراث أيضاً إلى محاولة تجديده ونفض الغبار عنه ، حتى يكون موائما ومواكبا لحركة الناس والمجتمع في اليقظة والمنام.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على النبي الأمين

وآله وصحبه الأكرمين الأطهرين .

د. أحمد مصطفى أبو الخير

دمياط الجديدة (عروس المدن الجديدة) في ١٧ رمضان ١٤٢٦هـ

الموافق الخميس ١٩ أكتوبر ٢٠٠٥م

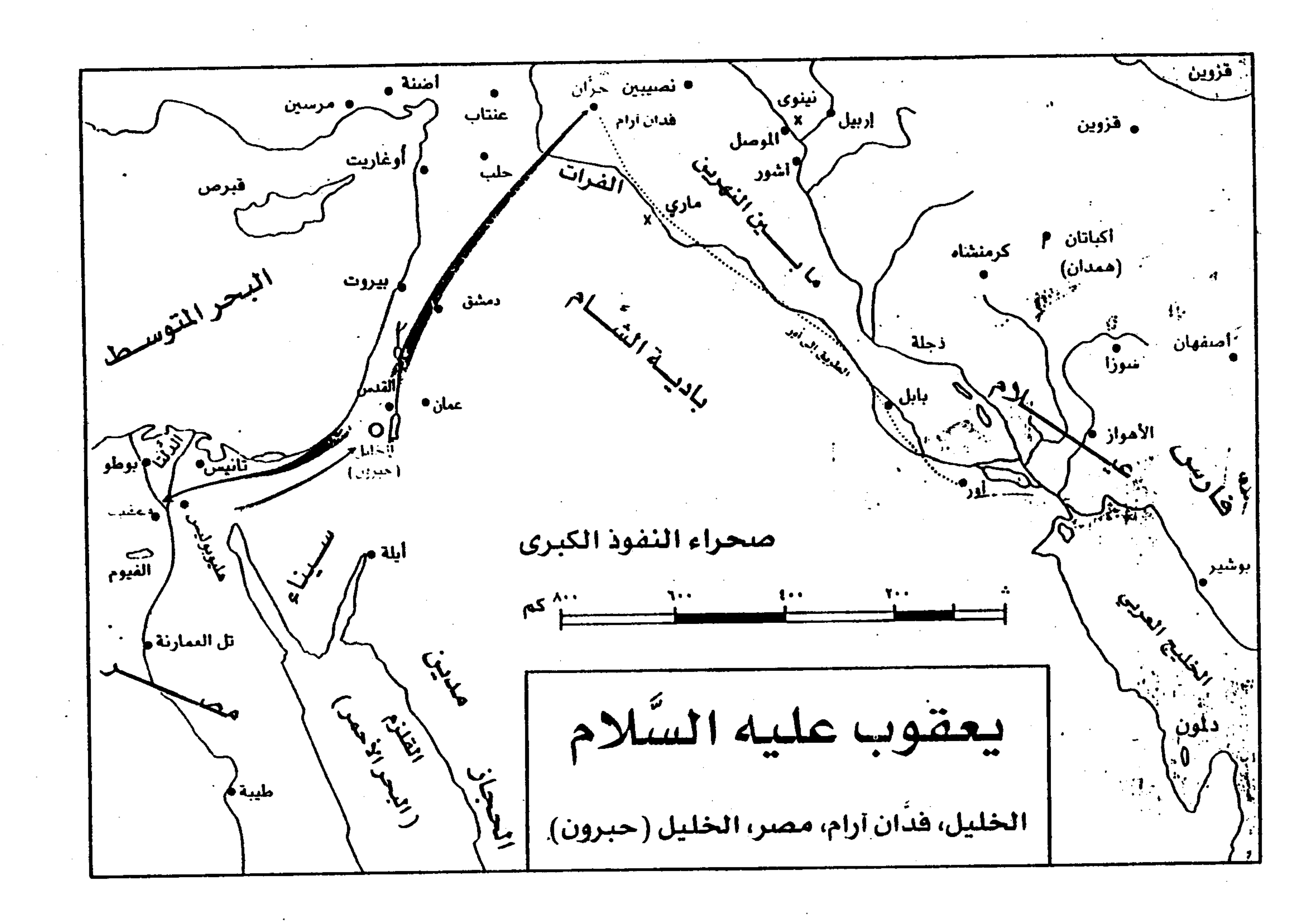
الموقع www.geocities.com/abu_elkher

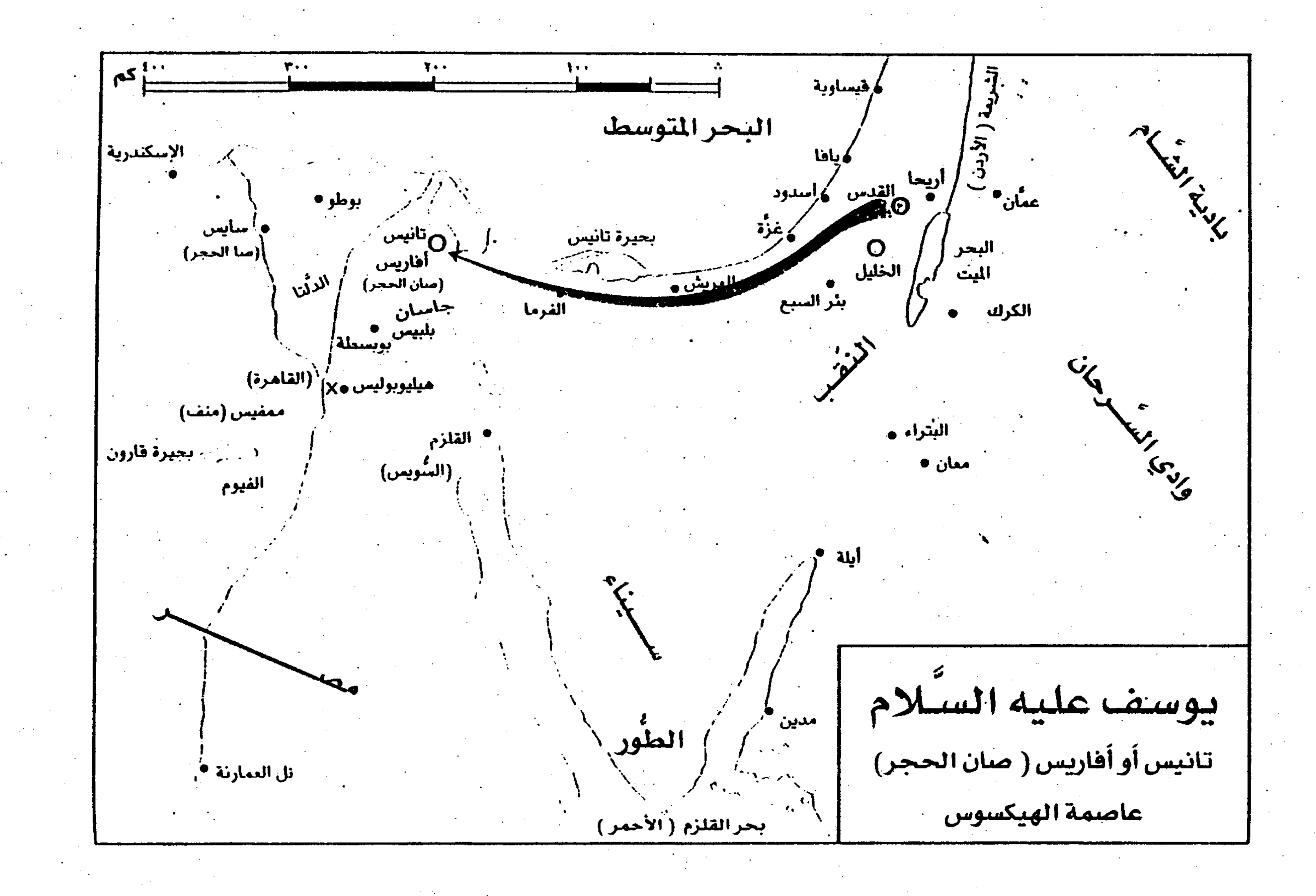
البريد : abu_elkher@yahoo.com

الملاحق

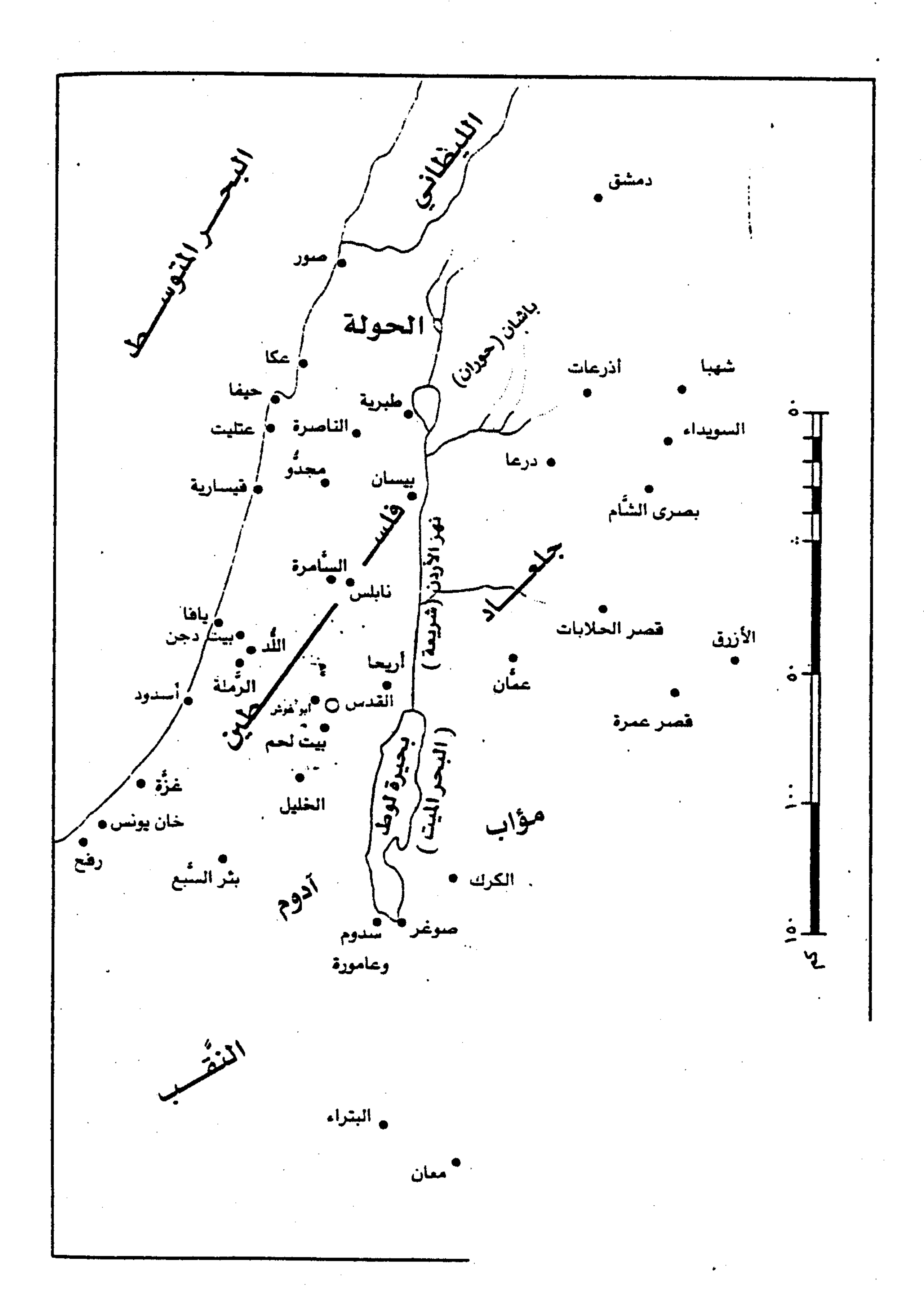
خرايط لبعض ما ورد في الدراسة من المواضع والبلدان مقتبسة من كتاب (أطلس القرآن)

للدكتور شوقي ابو خليل

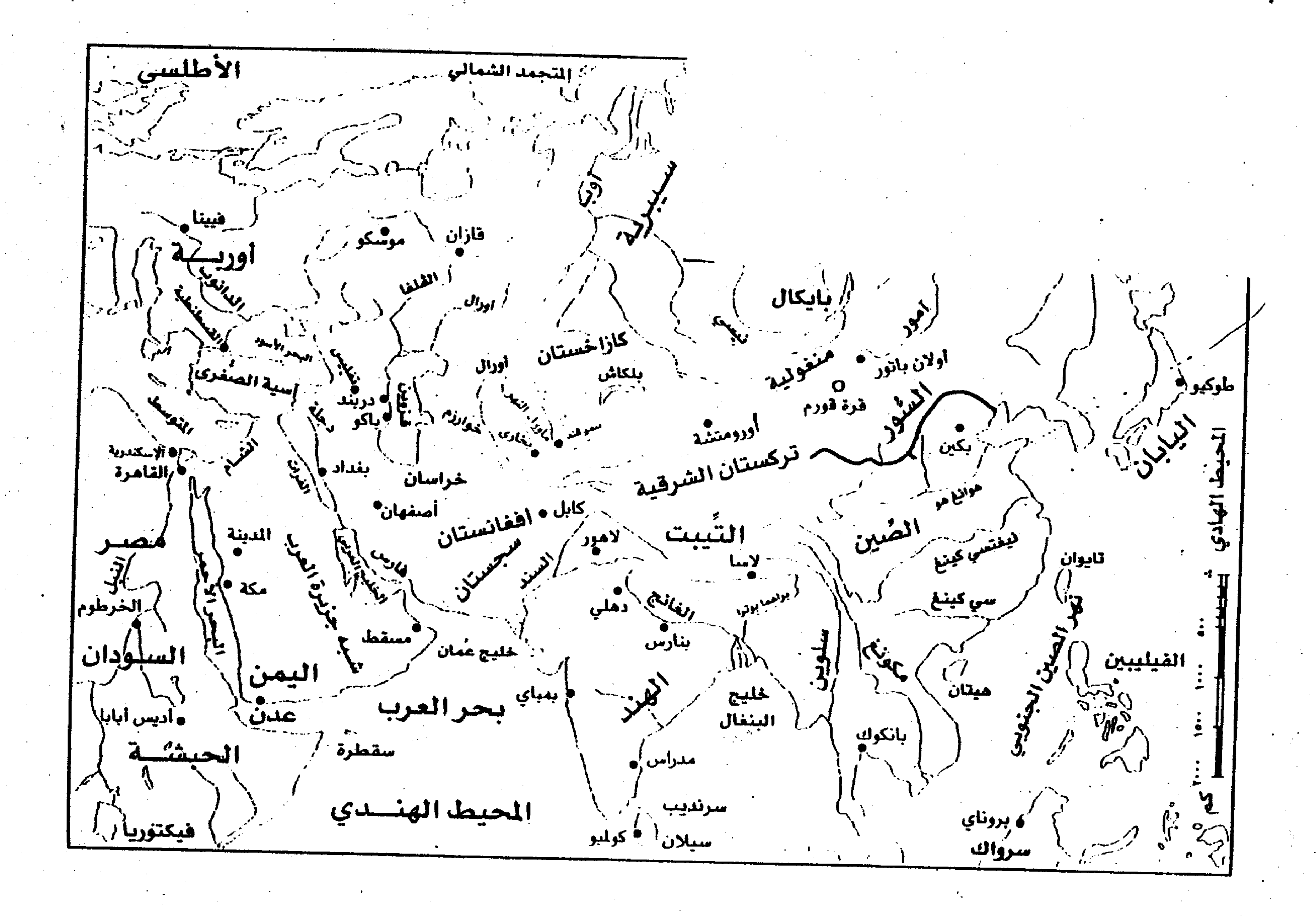

يعقوب عليه السَّلام
الخليل، فدَّان آرام، مصر، الخليل (حبرون)
البحر المتوسط
قبرص
مرسين
اضنة
عنتاب
حلب
أوغاريت
بيروت
دمشق
القدس
عمان
الخليل (حبرون)
تانيس
بوطو
الدلتا
منف
هليوبوليس
الفيوم
تل العمارنة
طيبة
مصر
سيناء
ايلة
مدين
الحجاز
القلزم (البحر الأحمر)
صحراء النفوذ الكبرى
بادية الشام
حرّان
نصيبين
فدان آرام
الفرات
ماري
نينوى
الموصل
اشور
إربيل
ما بين النهرين
دجلة
بابل
اور
الطريق الى اور
كرمنشاه
اكباتان
(همدان)
سوزا
الأهواز
اصفهان
قزوين
فارس
عيلام
بوشير
الخليج العربي
دلمون
كم ٨٠٠ ٦٠٠ ٤٠٠ ٢٠٠ ٠

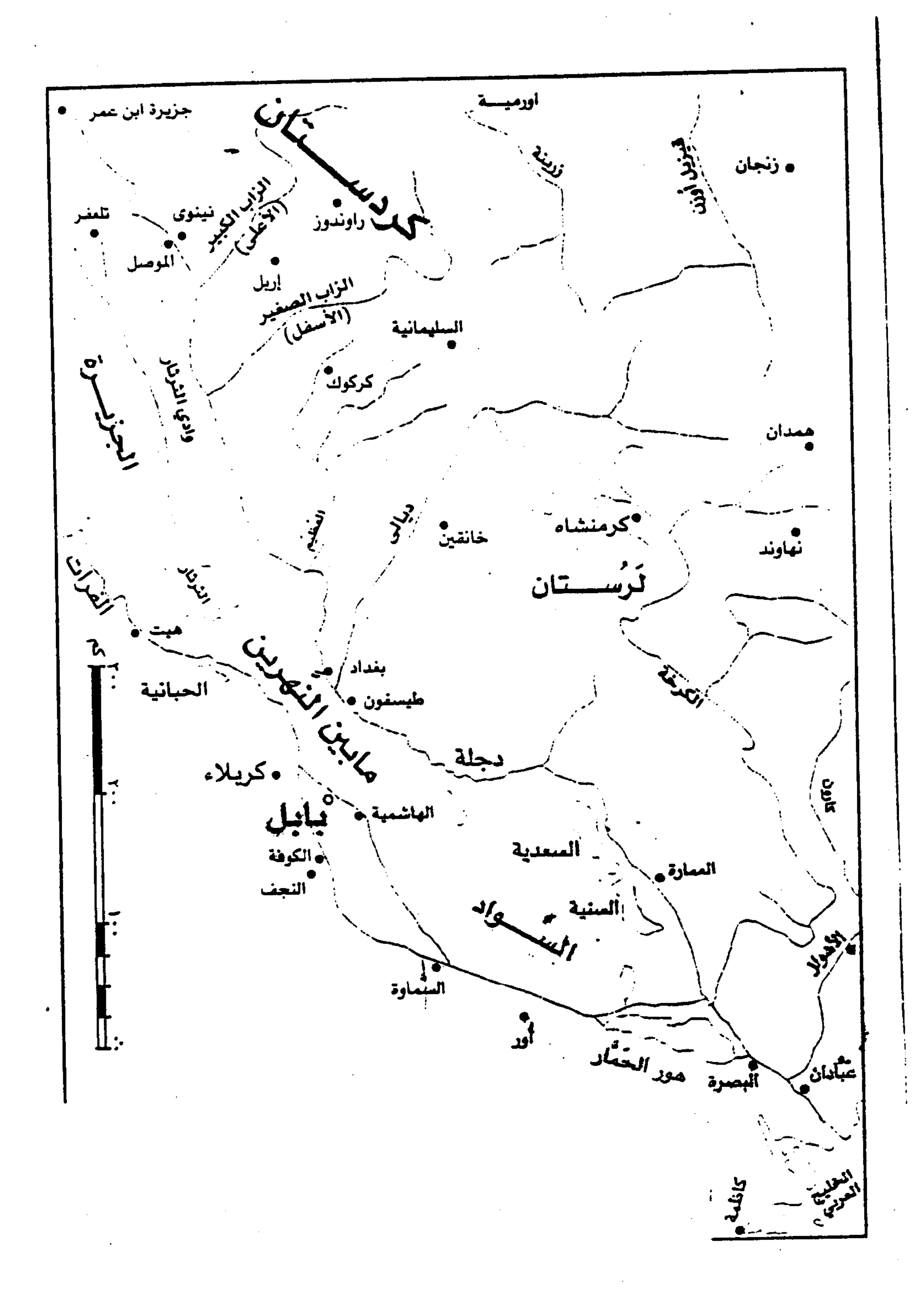


يوسف عليه السَّلام
تانيس أو أفاريس (صان الحجر)
عاصمة الهيكسوس
البحر المتوسط
كم
الإسكندرية
بوطو
سايس
(صا الحجر)
الدلتا
تانيس
أفاريس
(صان الحجر)
جاسان
بلبيس
بوبسطة
(القاهرة)
هيليوبوليس
ممفيس (منف)
بحيرة قارون
الفيوم
القلزم
(السُّويس)
مصر
تل العمارنة
الفرما
بحيرة تانيس
العريش
غزة
اسدود
يافا
قيساوية
القدس
أريحا
الخليل
بئر السبع
البحر
الميت
الكرك
الشريعة (الأردن)
عمّان
بادية الشام
النقب
وادي السرحان
البتراء
معان
أيلة
سيناء
الطُّور
مدين
بحر القلزم (الأحمر)



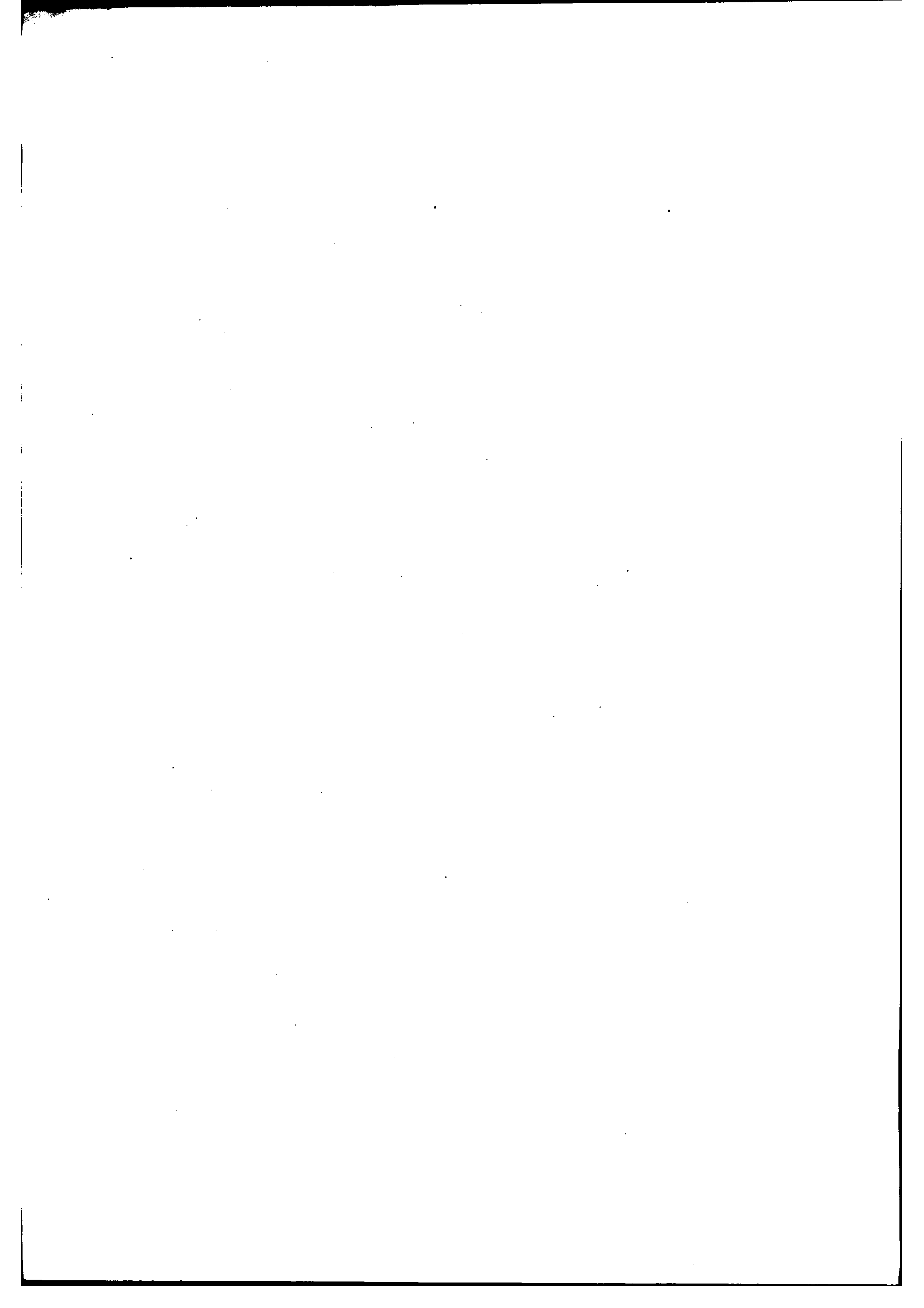
البحر المتوسط
الليطاني
دمشق
صور
الحولة
باشان (حوران)
عكا
حيفا
طبرية
الناصرة
عتليت
أذرعات
شهبا
السويداء
درعا
مجدو
قيسارية
بيسان
بصرى الشام
فلسطين
نهر الأردن (شريعة)
جلعاد
السامرة
نابلس
يافا
بيت دجن
اللد
الرملة
أسدود
أريحا
القدس
أبو غوش
بيت لحم
قصر الحلابات
الأزرق
عمان
قصر عمرة
غزة
خان يونس
رفح
الخليل
بئر السبع
بحيرة لوط
(البحر الميت)
مؤاب
آدوم
الكرك
سدوم
وعامورة
صوغر
النقب
البتراء
معان
٥٠
١٠٠
١٥٠
كم

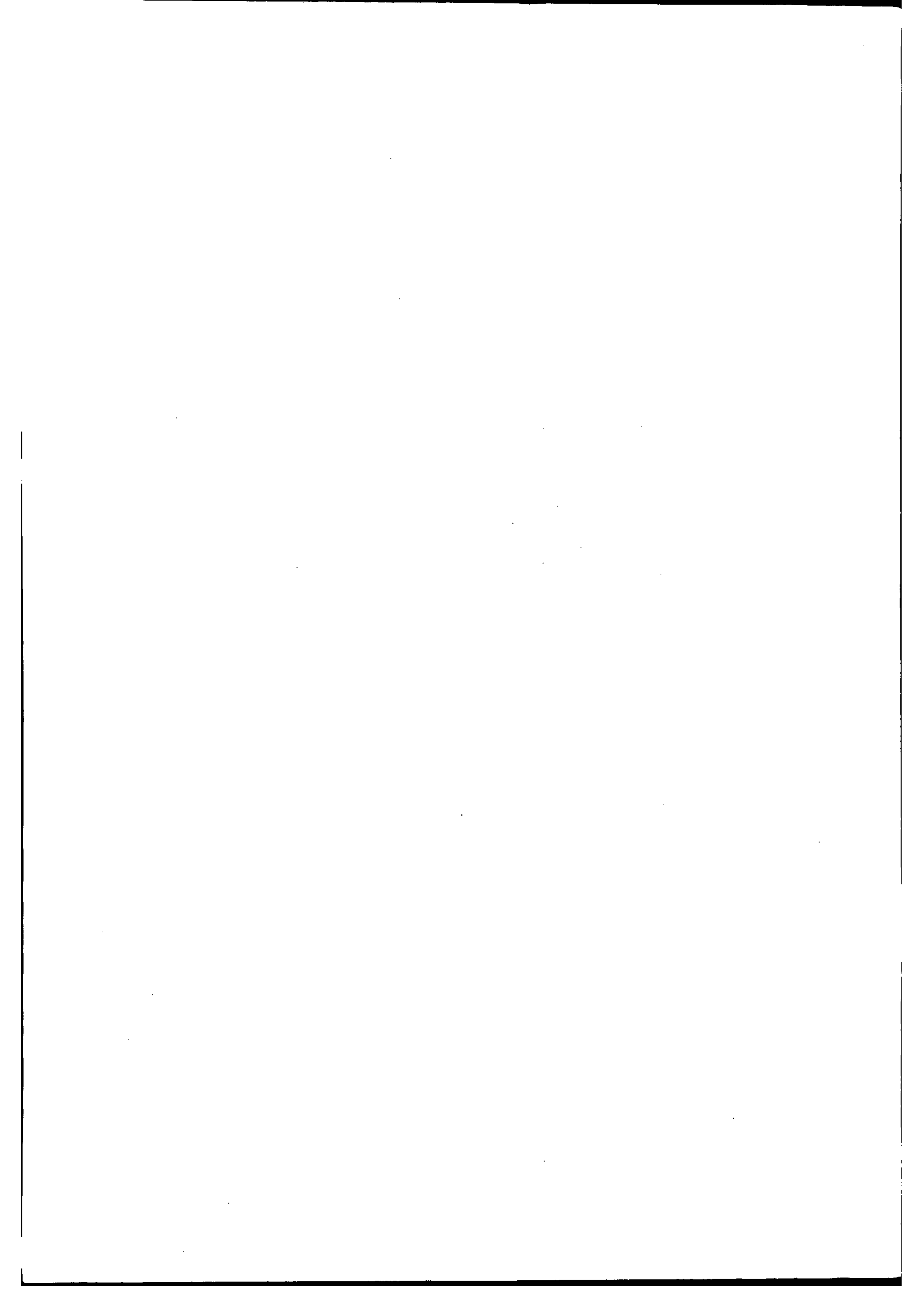

الأطلسي
المتجمد الشمالي
سيبيريا
أوبي
أوربة
فيينا
موسكو
قازان
الفلغا
أورال
الدانوب
القسطنطينية
البحر الأسود
آسية الصغرى
تفليس
دربند
باكو
خوارزم
كازاخستان
بلكاش
بايكال
أمور
أولان باتور
منغولية
قرة قورم
أورومتشة
السور
بكين
طوكيو
اليابان
المحيط الهادي
الإسكندرية
القاهرة
الشام
بغداد
خراسان
أصفهان
كابل
افغانستان
سجستان
السند
تركستان الشرقية
التيبت
لاسا
لامور
دهلي
الغانج
بنارس
براهما بوترا
الصين
ليفتسي كينغ
سي كينغ
تايوان
مصر
النيل
الخرطوم
المدينة
مكة
جزيرة العرب
فارس
مسقط
خليج عمان
السودان
اليمن
عدن
أديس أبابا
الحبشة
سقطرة
بحر العرب
بمباي
الهند
خليج البنغال
سلوين
بانكوك
هيتان
القيليبين
بحر الصين الجنوبي
مدراس
سرنديب
كولمبو
سيلان
المحيط الهندي
فيكتوريا
بروناي
سرواك
كم



جزيرة ابن عمر
اورمية
كردستان
زرينة
زنجان
تلعفر
نينوى
الموصل
الزاب الكبير (الأعلى)
راوندوز
اربل
الزاب الصغير (الأسفل)
السليمانية
كركوك
وادي الثرثار
الجزيرة
همدان
كرمنشاه
خانقين
ديالى
العظيم
نهاوند
لرستان
الفرات
الثرثار
هيت
مابين النهرين
بغداد
طيسفون
الحبانية
دجلة
الكرخة
كربلاء
بابل
الهاشمية
الكوفة
النجف
السعدية
العمارة
السنية
السواد
كارون
الأهواز
السماوة
أور
هور الحمار
البصرة
عبادان
كاظمة
الخليج العربي

المحتويات





بسم الله الرحمن الرحيم

إلي اللقاء

في الإصدار القادم

بعنوان

لغة المهاجرين اللبنانيين في البرازيل

(دراسة معجمية)

كتبت الدراسة نيوزا نبهان من جامعة ساو باولو في البرازيل

باللغة الإنجليزية

وهي عبارة عن دراسة للتداخل بين اللغتين العربية والبرتغالية كما جاء

على لسان المهاجرين من لبنان، وقد استخدمت الباحثة نظرية

المجالات الدلالية ، كما قدمنا للترجمة العربية ببعض الملاحظات على

مستويات التركيب والصرف والأصوات

المترجمان